ولما أورد الله عليهم هذه الحجة التي لا دافع لها، قال بعده على وجه التهديد: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي أنتم تعتقدون في أنفسكم أنكم في غاية القوة والشدة، فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم، فإني عامل أيضاً في تقرير ديني ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني سوف تعلمون أن العذاب والخزي يصيبني أو يصيبكم والمقصود منه التخويف"[١٣٦٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١) ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، "اعلم أن النبي ﷺ كان يعظم عليه إصرارهم على الكفر كما قال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾[الكهف:٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[فاطر:٨]، فلما أطنب الله تعالى في هذه الآية، وفي إفساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبينات، وتارة بضرب الأمثال، وتارة بذكر الوعد والوعيد، أردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول ﷺ، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكامل الشريف لنفع الناس، ولاهتدائهم به، وجعلنا إنزاله مقروناً بالحق وهو المعجز الذي يدل على أنه من عند الله، فمن اهتدى فنفعه

[١٣٦٠] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٤-٤٥٥.

يعود إليه، ومن ضل فضرر ضلاله يعود إليه. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ والمعنى أنك لست مأموراً بأن تحملهم على الإيمان على سبيل [القهر][١٣٦١] بل القبول وعدم القبول مفوض إليهم، وذلك لتسلية الرسول في إصرارهم على الكفر. ثم بين تعالى أن الهداية والضلال لا يحصلان إلا من الله تعالى، وذلك لأن الهداية تشبه الحياة واليقظة، والضلال يشبه الموت والنوم، وكما قال أن الحياة واليقظة والموت والنوم لا يحصلان إلا بتخليق الله وإيجاده، وكذلك الهداية والضلال لا يحصلان إلا من الله تعالى، ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سرَّ الله في القدرة، ومن عرف سرَّ الله في القدرة هانت عليه المصائب، فيصير التنبيه على هذه الدقيقة سبباً لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول ﷺ فهذا وجه النظم في الآية. والمقصود من الآية الله يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم، إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى وهي النائمة إلى أجل مسمى، أي وقت ضربه لموتها، بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ معناه أن الله تعالى يتوفى الأنفس في وقت الموت. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ معناه أنه يتوفى الأنفس نامت وماماتت عند منامها. وقوله تعالى: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ يعني أن النفس التي يتوفاها عند الموت يمسكها ولا يردها إلى البدن. وقوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ يعني أن النفس يتوفاها عند النوم ويردها إلى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة إلى أجل مسمى، وذلك الأجل وهو وقت الموت فهذا تفسير لفظ الآية وهي مطابقة للحقيقة.

[١٣٦١] في الأصل (الفهم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٥٥.

واعلم أنه لا بدّ فيه من مزيد بيان، وهو أن النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه في جميع الأعضاء وهو الحياة، ففي وقت النوم ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت، وأما في وقت النوم فإنه ينقطع ضوؤه عن باطنه"[١٣٦٢].

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، "اعلم أن هذا حكاية طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة، وذلك لأنهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض، يفزعون إلى الله تعالى، ويرون دفع ذلك لا يكون إلا منه، ثم إنه تعالى إذا خولهم النعمة، وهي إما السعادة في المال أو في العافية في النفس، [زعم][١٣٦٣] أنه إنما حصل ذلك بكسبه وبسبب جهده وحده، فإن كان مالاً قال إنما حصل بكسبي، وإن كان صحة قال إنما حصلت بسبب العلاج الفلاني، وهذا تناقض عظيم، لأنه لما كان في حال العجز والحاجة أضاف الكل إلى الله، وفي حال السلامة والصحة قطعه من الله، وأسنده إلى كسب نفسه، وهذا تناقض عظيم، فبيّن تعالى قبح طريقتهم فيما هم عليه عند الشدة والرخاء بخبر فصيح، فقال: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمعنى ما قدمنا أن التخويل إنما كان لأجل الاختبار.

[١٣٦٢] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٥-٤٥٦.

[١٣٦٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٨.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، والضمير في ﴿قَالَهَا﴾ راجع إلى قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ لأنها كلمة أو جملة. ومعنى قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ قد مرّ.

وقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي ما أغنى ذلك الاعتقاد الباطل والقول الفاسد الذي اكتسبوه من عذاب الله شيئاً بل أصابهم سيئات ما كسبوا. ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لا يعجزونني في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يعني أو لم يعلموا أن الله تعالى هو الذي يبسط الرزق تارة، ويقبض أخرى، والدليل عليه أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بدّ له من سبب، وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله، لأنا نرى العاقل القادر في أشد الضيق، ونرى الجاهل المريض الضعيف في أعظم السعة، وليس ذلك أيضاً لأجل الطبائع والأنجم والأفلاك، لأن في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر، قد ولد فيها أيضاً عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الإنسان، ويولد أيضاً في تلك الساعة عالم من النبات، فلما شاهدنا حدوث هذه الأشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة، علمنا أن المؤثر هو الله سبحانه وتعالى. ثم قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقد مرّ تفسيره.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته وفضله وإحسانه في حق العبيد. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عام في جميع المسرفين. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وهذا يقتضي كونه تعالى غافراً

لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين، وذلك هو المقصود. واعلم أن هذه الآية تدل على رجاء الرحمة من وجوه: الأول: أنه سمى المذنب بالعبد، والعبودية تشعر بالحاجة والذلة والمسكنة، واللائق بالكريم الرحيم إفاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج. الثاني: أنه تعالى أضافهم على نفسه فقال: ﴿يٰعِبَادِيَ﴾، وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب. الثالث: أنه تعالى قال: ﴿أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ومعناه أن ضرر تلك الذنوب ما عاد [إليه بل هو عائد][١٣٦٤] إليهم، فيكفيهم من تلك الذنوب عود مضارها، فلا حاجة إلى إلحاق ضرر آخر بهم. الرابع: أنه: ﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ نهاهم عن القنوط فيكون هذا أمراً بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم. الخامس: أنه تعالى قال أولاً: ﴿يٰعِبَادِيَ﴾ وكان اللائق أن يقول: لا تقنطوا من رحمتي، لكنه ترك هذا اللفظ وقال: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ لأن قولنا الله أعظم أسماء الله وأجلها، فالرحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل. السادس: أنه لما قال: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ كان الواجب أن يقول إنه يغفر الذنوب ولكنه لم يقل ذلك، أعاد اسم (الله) وقرن به لفظة (إنّ) المفيدة لأعظم وجوه التأكيد، وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة. السابع: أنه لو قال: ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ لكان المقصود حاصلاً لكنه أردفه باللفظ الدال على التأكيد فقال: ﴿جَمِيعًا﴾ وهذا أيضاً من المؤكدات. الثامن: أنه وصف نفسه بكونه غفوراً، ولفظ الفعول يفيد المبالغة. والتاسع: أنه وصف نفسه بكونه رحيماً، والرحمة تفيد فائدة زائدة على المغفرة، وكان قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ إشارة إلى إزالة موجبات العقاب. وقوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ إشارة إلى تحصيل موجبات الرحمة والثواب. والعاشر: أن قوله:

[١٣٦٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٦٤.

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يفيد الحصر، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو، وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة. فهذه الوجوه العشرة مجموعة في هذه الآية، وهي بأسرها دالة على كمال الرحمة والغفران، ونسأل الله تعالى الفوز بها والنجاة من العذاب بفضله ورحمته"[١٣٦٥].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ "من صفات نفوسهم وهيئات رذائلهم. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من تجليات صفاته وجنات جماله، فيمحو ظلمات وجوداتهم بنور وجهه.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ المتوكل عليه في توحيد الأفعال وهو منبع القوى والقدر. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ لاحتجاهم بالكثرة عنه، فينسبون التأثير والقدرة إلى ما هو ميت بالذات لا حول له ولا قوة، فأنت أحق بأن يكفيك ربك شرهم. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يحجبه عنه. ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ إذ لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ لتوقفها على إرضائه للمشفوع له بتهيئه لقبولها، والتهيئ من فضله الأقدس. له المُلك مطلقا وإليه الرجوع دائما. ﴿مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ مما نسبوا من هيئات أعمالهم وصور أخلاقهم التي ذهلوا عنها لاشتغالهم بالشواغل الحسية، وأحصاه الله بإثباته في كتبهم بل في كتب الأربعة، والسماء الدنيا واللوح وأم الكتاب.

[١٣٦٥] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٥٨-٤٦٥.

﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ فإن القنوط علامة زوال الاستعداد والسقوط عن الفطرة بالاحتجاب، وانقطاع الوصلة بين الحق والعبد، إذ لو بقيت فيه مسكة من النور الأصلي لإدراك أثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه، وإن أسرف في الميل إلى الجهة السفلية وفرط في جنب الحضرة الإلهية اتصل بعالم النور بتلك البقية. وأما اليأس فلا يكون إلا مع الاحتجاب الكلي واسوداد الوجه بالإعراض عن العالم العلوي، والتغشي بالغطاء الخلقي المادي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ بشرط بقاء نور التوحيد في القلب وهومستفاد من اختصاص العباد به لإفاضتهم إلى نفسه في قوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾، ولهذا قيل: ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ للأمة المحمدية الموحدين دون سائر الأمم، كما قال لأمة نوح – عليه السّلام –: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[نوح:٤] أي: بعضها. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لهيئات الرذائل. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بإفاضة الفضائل"[١٣٦٦]. هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ

[١٣٦٦] تفسير ابن عربي،٢/١٨٧–١٨٨.

(٥٩) وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن الإنابة والرجوع إلى الله تعالى قبل نزول العذاب بقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ أي أقبلوا وارجعوا إلى طاعة ربكم. ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ يعني أقروا وأخلصوا له بالتوحيد. ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بعد الموت، يعني فإذا أتاكم العذاب لم ينصركم ناصر، أي لم يمنعكم مانع من عذاب الله. ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي اتبعوا طاعة الله فيما أمر ونهى من أجل الإيمان وفروعه، فإنه أحسن ماأنزل الله في الكتاب لموافقتها دلائل العقول. وقيل: اتبعوا القرآن فإن الله تعالى أنزل على رسوله القرآن، والقرآن أحسن ماأنزل الله. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ بغتة يعني فجأة. من حيث لا علم لكم أنه يجيئكم. وقيل: العذاب المذكور في الآية الأولى عذاب الدنيا، والمذكورة في هذه

الآية عذاب الآخرة، بدليل قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ الحسرة كلمة تأسف وتلهف، والألف في آخرها للندبة، وقد يقال: يا حسرتاه، والمعنى لكي لاتقول: يا حسرتى. وقال النخعي: يعني كراهة أن تقول. ويقال: معناه اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم خوفاً أن تصيروا إلى حال الندامة، وتقول نفس يا حسرتى ندامة ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ يعني تركت، وضيعت من طاعة الله"[١٣٦٧]. "وقال مقاتل: ما ضيعت من ذكر الله"[١٣٦٨]. "ويقال: يا ندامتنا ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي في أمر الله. ﴿وَإِن كُنتُ﴾ يعني وقد كنت. ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ يعني لمن اللاهين، يعني لمن المستهزئين بالقرآن في الدنيا"[١٣٦٩]. "وقيل: أي مع تفريطي في أمر الله وتقصيري في عبادة الله كنت أسخر ممن لا يفرط في أمر الله، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾[المطففين:٢٩].

﴿أَوۡ تَقُولَ﴾ وهو معطوف على ماقبله يعني أن تقول نفس: ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ بالمعرفة. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي الموحدين. ويقال: لو أن الله هداني لكنت من المتقين أي الشرك والمعاصي. قال الإمام أبو منصور – رحمه الله –: هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة. قال الكفرة لأتباعهم: لو هدانا الله لهديناكم، يعني لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم، ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية وترك الرغبة في الهدى و لم يوفقنا. والمعتزلة

[١٣٦٧] *بحر العلوم*،٣/١٩١.

[١٣٦٨] مقاتل: *تفسير مقاتل*،٣/٦٨٤.

[١٣٦٩] *بحر العلوم*،٣/١٩١.

يقولون: بل هداهم وأعطاهم لكنهم لم يهتدوا. ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ وهذا معطوف على ماقبله أيضا، يعني أن تقول نفس ﴿حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ يعني رجعة إلى الدنيا. ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني من الموحدين. ﴿فَأَكُونَ﴾ نصب بالفاء في جوابه التمني. قال قتادة – رحمه الله –: هذه مقالات ذكرت أن الكافر يقول ذلك يوم القيامة، ويحتمل أن يكون كل قول لكل صنف. وقال الإمام أبو منصور – رحمه الله –: ويجوز أن يكون كل كلام من كل كافر"[١٣٧٠].

"﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَـٰتِي﴾ يعني القرآن. ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ يعني تكبرت، وتجبرت عن الإيمان بها. ﴿وَكُنْتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. بلى رد لما قبلها، وإثبات مابعدها، وفي هذه الآية إشارة إلى أنهم أضافوا التفريط وذهاب العمر على اللهو، وعدم هداية الله تعالى، وتمني الرجوع ليحسنوا باختيارهم، فرد الله عليهم، وقال الإمام أبو منصور – رحمه الله –: بلى بينت لك الآيات الهداية من الغواية، والحق من الباطل، والخير من الشر، والصدق من الكذب، ومكنت من اختيار الهداية على الغواية، والحق على الباطل، والصدق على الكذب، لكن تركت ذلك وضيعت واستخففت به واشتغلت بضده.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ يعني قالوا بأن له شريكاً. ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ وسواد الوجوه قد يكون قبل دخول النار علامة لهم، وقد يكون عبارة عن الخيبة والذلة والفضيحة، وعلى هذا تبيض وجوه وتسود وجوه. وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ

[١٣٧٠] التيسير في التفسير، ١٣/٦٠–٦١.

(٣٨) ضَاحِكَةٌ..﴾ الآيات [عبس:٣٨-٣٩]، وقوله: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾[يونس:٢٧]، ﴿وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ﴾[يونس:٢٦].

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يعني الذين تكبروا عن الإيمان. وهو استفهام بمعنى التقرير، يعني هذا جزاء وقع لهم باستحقاقهم يقيمون فيها خالدين.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وهم على خلاف هؤلاء. ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ يعني ينجي الله الذين اتقوا الشرك من جهنم بأعمالهم الحسنة. ﴿لاَ يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ يعني لا يصيبهم العذاب. ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي هو منشيء الأشياء كلها. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي هو القائم على كل شيء بحفظه وتصريفه على مايجب.

﴿لَّهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي وهو المالك لمفاتيح خزائن السموات والأرض يحفظهما ويفتح على عباده منها مايشاء. ويقال: خزائن السموات والأرض، يعني المطر، والأرض يعني النبات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني بمحمد - عليه السّلام - والقرآن. ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ يعني اختاروا العقوبة على الثواب.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يستميلونك بالأطماع في الأموال والرئاسة إلى ماهم فيه. أفغير الله الذي هو خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، له مقاليد السماوات والأرض، تأمروني وهذا توبيخ وتقريع وقطع الأطماع

فما أنا بقائل ذلك فإنكم جاهلون بموضع الاختيار للعبادة، إذ لا يجوز أن يعبد مالايبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، والجاهلون هم الكفار كما أن أولي العلم المسلمون في قوله: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران:١٨].

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي من الأنبياء – عليهم السّلام – بالتوحيد. ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يعني إنك وإن كنت كريماً على الله، فلوأشركت بالله، ليحبطنّ عملك. ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ في الآخرة. فكيف لوأشرك غيرك، والله تعالى علم أن النبيّ ﷺ لا يشرك به، ولكنه أراد به تنبيهاً لأمته، أنّ من أشرك بالله، حبط عمله، وإن كان كريماً على الله.

ويقال: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي فوحّد الله. ويقال: أي أطع الله. ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على ما أنعم الله عليك من النبوة والرسالة. ويقال: هذا الخطاب لجميع المؤمنين. أمرهم بأن يشكروا الله تعالى على ما أنعم الله عليهم، وأكرمهم بمعرفته، ووفقهم لدينه، فإنه هو المنعم، وشكر المنعم واجب بتعظيمه، وإخلاص العبادة له. ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموا الله حق عظمته، ولا وصفوه حق صفته، وذلك أن اليهود والمشركين، وصفوا الله تعالى بما لا يليق بصفاته، فنزل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وفيه تنبيه للمؤمنين، لكيلا يقولوا مثل مقالتهم، ويعظموا الله حق عظمته، ويصفوه حق صفته. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني في قدرته، وملكه، وسلطانه. ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يعني بقدرته. ويقال: في الآية تقديم. ويقال: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ﴾

يوم القيامة. يعني في يوم القيامة. ويقال: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ يعني عن يمين العرش. ويقال: اليمين ههنا الحلف، لأنه حلف بعزته، وجلاله، ليطوينّ السموات. وقيل معنى قوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أنه يزول دعاوي المدعين عنها، وهو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[غافر:١٦]. وقال عبد الله بن مسعود: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والبحار على إصبع، والأشجار على إصبع، فضحك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. وقيل في قوله قبضها أي يقبضها ويبسطها. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: يأخذ السماوات والأرض فيقبضها ويبسطها، ثم يقول: أنا الجبار أين الجبارون؟ أنا المتكبر أين المتكبرون؟. وفي رواية أبي هريرة: أين الملوك؟ لمن المُلك؟. ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ يعني تنزيهاً لله تعالى. يعني ارتفع، وتعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني عما يصفون له من الشريك"[١٣٧١].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: [﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾][١٣٧٢]، "واعلم أنه تعالى لما وعد بالمغفرة أمر بعد هذا الوعد بأشياء: الأول: أمر بالإنابة، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾. والثاني: أمر بمتابعة الأحسن، والمراد بهذا

[١٣٧١] بحر العلوم،٣/١٩٢–١٩٤.

[١٣٧٢] سقط من الأصل (من قبل) في الآية الثانية، وهو خطأ في كتابة الآية.

الأحسن الحديث. قال الحسن معناه: والتزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته. ويقال: المراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ، لأن الناسخ أحسن من المنسوخ، لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْنُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة:١٠٦]، ولأن الله تعالى لما نسخ حكماً وأثبت حكماً كان اعتمادنا على الناسخ أحسن لنا من اعتمادنا على المنسوخ.

ثم قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ والمراد منه التخويف والتهديد. واعلم أنه تعالى لما خوفهم بالعذاب بيّن أن بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم بثلاثة أنواع من الكلمات: فالأول: قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطَتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ وتفسيره قد مرّ. وقوله: ﴿أَن تَقُولَ﴾ مفعول له. النوع الثاني: من الكلمات التي حكاها الله تعالى عن أهل العذاب أنهم يذكرونه بعد نزول العذاب عليهم قوله: ﴿لَوأَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. والنوع الثالث: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. وحاصل الكلام أن هذه الثلاثة أولها: التحسر على التفريط في طاعة الله تعالى. وثانيها: التعليل بفقد الهداية. وثالثها: تمني الرجعة، وقد تقدم هذا، ثم أجاب الله تعالى عن كلامهم بأن قال التعليل بفقد الهداية باطل، لأن الهداية كانت حاضرة والأعذار زائلة، وهو المراد من قوله:﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قال الزجاج: (بلى) جواب النفي،

وليس في الكلام لفظ النفي، إلا أنه حصل فيه معنى النفي، لأن المعنى قوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي﴾ أنه ما هداني، فلا جرم حسن ذكر لفظة (بلى) بعده"[١٣٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، "اعلم أن هذا نوع آخر من تقرير الوعيد والوعد، أما الوعيد فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ وفيه بحثان: أحدهما: أن هذا الكذب ماهو؟ والثاني: أن هذا السواد كيف هو؟. أما الأول: وهو البحث عن حقيقة هذا الكذب، والمشهور أن الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، فهذا ههنا عائد إلى ذلك الكلام المتقدم. والبحث الثاني في سواد الوجه قد تقدم في الأول، فلما ذكر الله تعالى أردفه بالوعد وقال: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وجب أن يكون المراد: الذين اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضي أن كل من لم يتصف بذلك الكذب أن يدخل تحت الوعد المذكور بقوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾، ثم ذلك الاتقاء غير مدلول بعينه في هذه اللفظة، فوجب حمله على الاتقاء عن الشيء الذي سبق ذكره، وهو الكذب على الله تعالى، فثبت أن ظاهر الآية يقتضي أن من اتقى عن تلك الصفة وجب دخوله تحت هذا الوعد الكريم. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وعاصم على رواية أبي بكر (بمفازاتهم) على الجمع، والباقون على الواحد[١٣٧٤]. والمفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة. فكأن المعنى أن

[١٣٧٣] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٦٦-٤٦٧.

[١٣٧٤] ذكر حاجي باشا أن أبا عمرو قرأ بالجمع، والصواب أنه قرأ على الإفراد بغير ألف. ابن الجزري: *النشر*، ٢/٣٦٣.

النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات في الخيرات، فعبر عن الفوز بأوقاتها وموضعها.

ثم قال: ﴿لاَ يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذه كلمة جامعة، لأنه إذا علم أن لا يمسه السوء كان فارغ البال بحسب الحال، فربما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي، فحينئذ يظهر أنه يسلم عن كل الآفات، ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات بمنِّه وكرمه. دلت الآية على أن المؤمنين لا ينالهم الخوف والرعب في القيامة، وتأكد هذا بقوله: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلأَكْبَرُ﴾[الأنبياء:١٠٣]"[١٣٧٥].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُونِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، "واعلم أنه لما أطال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد إلى الدلائل الإلهية والتوحيد، فقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقد تقدم الكلام في سورة الأنعام فلا فائدة هنا في الإعادة. أما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فالأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك، وهذا أيضاً يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى، لأن فعل العبد لو وقع بتخليق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول إلى الله وكيلاً عليه، وذلك ينافي عموم الآية.

[١٣٧٥] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٦٨-٤٧٠.

ثم قال تعالى: ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قريب من الكلام في قوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾[الأنعام:٥٩]، وقد سبق الاستقصاء هناك[١٣٧٦]. "قيل: سأل عثمان رسول الله ﷺ عن تفسير قوله: ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فقال: "يا عثمان ما سألني أحد عنها قبلك، تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر، سبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير"[١٣٧٧]. "هكذا نقله صاحب (الكشاف). ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ وهذا يدل على أنه لا خاسر إلا الكافر، وأيضا يدل على أن من لم يكن كافرا فإنه لا بدّ أن يحصل لهم حظ من رحمة الله تعالى. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يتصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي وينجي الله المتقين بمفازتهم، والذين كفروا هم الخاسرون.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ وذلك حين قال المشركون للنبي ﷺ: أسلم لبعض آلهتنا، ونؤمن بإلـٰهك. فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ الآية. وإنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقا للأشياء، وبكونه مالكا لمقاليد السماوات والأرض، وظاهر كون هذه الآية أن الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه، فلهذا السبب قال: ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾.

[١٣٧٦] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٧١.

[١٣٧٧] سبق تخريجه.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ والفرق بين اللامين أن الأولى موطئة للقسم المحذوف، والثانية لام الجواب. واعلم أنه تعالى لما ذكر الوحي ذكر ماهو المقصود منه فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ والمقصود منه ردّ ما أمروه به من [الإسلام ببعض][١٣٧٨] آلهتهم، كأنه قال إنكم تأمروني أن أعبد غير الله، لأن قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ يفيد أنهم عيّبوا عليه عبادة [غير الله][١٣٧٩] ، فقال الله: إنهم بئسما قالوا، ولكن أنت على الضد مما قالوا، فلا تعبد إلا الله، وذلك لأن قوله ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ يفيد الحصر. ثم قال: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على ما هداك إلى أنه لا يجوز إلا عبادة الإله القادر عن الإطلاق، وعلى ما أرشدك إلى الله، فيجب الإعراض عن كل ما سوى الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ اعلم أنه تعالى لما حكى عن المشركين أنهم أمروا الرسول بعبادة الأصنام، ثم إنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم، وأمر الرسول بأن يعبد الله ولا يعبد شيئاً سواه، بيّن أنهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة في العبودية، فقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ولما بيّن أنهم ما عظموه تعظيماً لائقاً به أردفه بما يدل على كمال عظمته ونهاية جلالته، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ قال القفال – رحمه الله –: قوله

[١٣٧٨] في الأصل (استسلام بعض)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٢.

[١٣٧٩] سقط من الأصل، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٢.

تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ كقول القائل: وما قدرتني حق قدري وأنا الذي فعلت كذا وكذا، كما عرفت أن حال وصفي هذا الذي ذكرت، فوجب أن لا تحطني عن قدري ومترلتي. ونظيره قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[البقرة:٢٨] أي كيف تكفرون بمن هذا وصفه فكذا ههنا، والمعنى ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ زعموا [أن له شركاء][١٣٨٠]، وأنه لا يقدر على [إحياء][١٣٨١] الموتى، مع أن الأرض والسماوات في قبضة قدرته، المراد منه الأرضون السبع، ويدل عليه وجوه: الأول: قوله ﴿جَمِيعًا﴾ فإن هذا التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع، ونظيره قوله: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾[ق:١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ (٢) إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[العصر:٢-٣]، فإن هذه الألفاظ المفردة باللفظ تدل على أن المراد منه الجمع فكذا ههنا. والثاني: أنه قال بعده: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ فوجب أن يكون المراد بالأرض الأرضون. الثالث: أن الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتضى المبالغة"[١٣٨٢]، ومعنى قوله: ﴿قَبْضَتُهُ﴾ وقوله: ﴿بِيَمِينِهِ﴾ قد تقدم الكلام فيهما في الأول. "ثم لما بيّن عظمة الله من الوجه الذي تقدم قال: ﴿سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني أن هذا القادر القاهر العظيم، الذي حارت العقول والألباب في وصف عظمته، تنزّه وتقدس عن أن تجعل الأصنام شريكا له في العبودية"[١٣٨٣].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

[١٣٨٠] في الأصل (أنه لاشركاء)، وصححتها من مفاتيح الغيب،٢٧/٤٧٣.

[١٣٨١] سقط من الأصل، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٣.

[١٣٨٢] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٢-٤٧٤.

[١٣٨٣] المصدر السابق،٢٧/٤٧٥.

"قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ بالتنصل عن هيئات السوء، ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ من وجوهكم بالتجرد عن ذنوب الأفعال والصفات. ﴿مِن قَبۡلِ﴾ انسداد باب المغفرة لوقوع العذاب الذي يستحقونه بالموت ولا يمكنكم الإنابة والتسليم لفقدان الالات وانسداد الأبواب. ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ على مافرطت بترك السعي في طلب الكمال والتقصير في الطاعة حين كنت في جوار الله، قريبا منه لصفاء استعدادي وتمكني من السلوك فيه بوجود الآلات البدنية المعدة لي.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الكبرى. ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ من المحجوبين الذين يسوونه بالمخلوقات، إذ يجسّمونه ويجوزون عليه بما يمتنع له من الصفات لاحتجابهم بالمواد. ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ﴾ بارتكاب الهيئات الظلمانية، ورسوخ الرذائل النفسانية في ذواقم. ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ الطبيعية الهيولانية. ﴿مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ الذين احتجبوا بصفات نفوسهم المستولية عليهم.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الرذائل بالتجرد عن تلك الصفات. ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ وأسباب فلاحهم من هيئات الحسنات وصور الفضائل والكمالات. ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ لتجردهم عن الهيئات المؤلمة المنافية. ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ بفوات كمالاقم التي اقتضتها استعداداقم.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هو وحده يملك خزائن غيوبها وأبواب خيرها وبركتها، يفتح لمن يشاء بأسمائه الحسنى، إذ كل من أسمائه مفتاح لخزانة من خزائن جوده لا ينفتح بابها إلا به، فيفيض عليه ما فيها من فيض رحمته العامة والخاصة، ونعمه الظاهرة والباطنة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي حجبوا عن أنوار صفاته وأفعاله بظلمات طباعهم ونفوسهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الذين لا نصيب لهم في تلك الخزائن لإطفائهم النور الأصلي القابل لها، وتضييعهم للاستعداد الفطري، والاسم الذي يفتح به مقاليدها.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ بالجهل، فأحتجب عن فيض رحمته ونور كماله، فأكون ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. بل خصص العبادة بالله موحدا فانيا من رؤية الغير. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ به له.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته إذ قدروه في أنفسهم وصوروه وكل ما يتصورونه فهو مجعول مثلهم. ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ أي تحت تصرفه، وقبضة قدرته، وقهر ملكوته. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ في طيّ قهره ويمين قوته يصرفها كيف يشاء ويفعل بها ما يشاء، يطويها ويفنيها عن شهود الشاهد يوم القيامة الكبرى، والفناء في التوحيد لفناء الكل حينئذ في شهود الموحد، فكل تصرف يراه بيمينه، ويرى عالم القدرة بيمينه، فلا يرى عنده غيره، ولا أثر لغيره بل هو فانٍ كله ووجهه باقٍ أزليّ وأبديّ، ليس كمثله شيء، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"[١٣٨٤]. والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ

[١٣٨٤] تفسير ابن عربي، ٢/١٨٨-١٩٠.

وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ (٧٣) وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (٧٥)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن بعض أحوال الآخرة بكمال قدرته بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن الصور فقال: "هو القرن وإن عظم دائرته مثل ما بين السماء والأرض، فينفخ نفخة، فيفزع الخلق، ثم ينفخ نفخة أخرى، فيموت أهل السماوات والأرض، فإذا كانت وقت النفخة الثالثة، جمعت الأرواح كلها في الصور، ثم ينفخ النفخة الثالثة، فتخرج الأرواح كلها كالنحل أو كالزنابير، وتأتي كل روح إلى جسدها"[١٣٨٥]. فذلك قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ "يعني يموت من في السماوات، ومن في

[١٣٨٥] الترمذي: سنن الترمذي،٤/٦٢٠، رقم (٢٤٣٠). ابن حنبل: المسند،١١/٥٣. أبو داود: سنن أبي داود،٤/٢٣٦، رقم (٤٧٤٢). الدارمي: سنن الدارمي،٣/١٨٤٤، رقم (٢٨٤٠). الحاكم: المستدرك،٢/٤٧٣، رقم (٣٦٣١)، و ٢/٥٥٠، رقم (٣٨٧٠).

الأرض. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. ويقال: أرواح الشهداء. وروي عن سعيد بن جبير قال: الذي استثنى الله تعالى الشهداء حول العرش متقلدين سيوفهم"[١٣٨٦].

وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "ينفخ في الصور ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين"[١٣٨٧]. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ "يعني ينظرون ماذا يأمرهم. ويقال: ينظرون إلى السماء كيف غيرت، وينظرون إلى الأرض كيف بدلت، وينظرون إلى الداعي كيف يدعوهم إلى الحساب، وينظرون فيما عملوا في الدنيا، وينظرون إلى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عنهم، واشتغلوا بأنفسهم، وينظرون إلى [خصمائهم][١٣٨٨] ماذا يفعلون. ويقال: ينظرون بمعنى ينتظرون، يعني ينتظرون بما يؤمرون وبماذا يعاملون"[١٣٨٩].

"﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي أضاءت أرض القيامة. ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يعني بعدل ربها وقضائه بالحق بين عباده. وقال الإمام أبو منصور - رحمه الله -: يجوز أن يخلق الله نورا فينور به أرض الموقف، والإضافة إلى الله تعالى إضافة تخصيص كبيت الله، وناقة الله، وشهر الله، وروح الله، لا أن يفهم منه نور هو صفة قائمة بذات الله تعالى. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي

[١٣٨٦] *بحر العلوم*،٣/١٩٤.

[١٣٨٧] الطبري: جامع *البيان*،٢١/٣٣١. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت. ٩١١هـ)، *الدر المنثور*،٧/٢٥٠.

[١٣٨٨] في الأصل (خصائصهم)، وصححتها من *بحر العلوم*،٣/١٩٤.

[١٣٨٩] *بحر العلوم*،٣/١٩٤.

وضعت الكتاب في أيدي الخلق، في أيمانهم، وشمائلهم ليقرؤوها وهي صحائف الأعمال المكتوبة عليهم. ﴿وَجِاْىءَ بِٱلنَّبِيِّنَ﴾أي أُحضِرت موقف الحساب النبيّون ليسألوا عما أجابتهم به أمتهم. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ هم المؤمنون يشهدون على الكفار. وقيل: هم هذه الأمة. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالعدل بين الظالم والمظلوم، وبين الرسل وقومهم. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي من خير وشر، فلا يزاد في شر، ولا ينقص من خير. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني والله أعلم بما كانوا يعملون، وإنما يدعو بالشهداء لتأكيد الحجة عليهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ وفي هذا إشارة إلى تفصيل ما أُجمِل في قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾. السَّوق: الحث على السير. والزمر: الجماعات، والواحدة زمرة، يعني ساق الكفار إلى جهنم زمرا، يعني أمّة أمّة، فوجا فوجا. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ يعني جهنم. ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وهي سبعة. وقال أصحاب اللغة: جهنم في الأصل جهنام، وهي بئر ليس لها قعر. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ يعني خزنة جهنم، أي حفظة جهنم، وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها"[١٣٩٠]. "﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ يعني آدميا من جنسكم تفهمون كلامه. ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ يعني يقرؤون عليكم ما أوحي إليهم. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يعني يخوفونكم هذا اليوم فكأنهم يقول لهم: يا أشقياء

[١٣٩٠] *التيسير في التفسير*،١٣/٧٢-٧٤.

ألم يأتكم رسل منكم؟ فأجابوه: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فيُقِرُّون بذلك في وقت لا ينفعهم الإقرار، ولو كان قولهم (بلى) في الدنيا لكان ينفعهم، ولكنهم قالوا في وقت لا ينفعهم. ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني وجبت كلمة العذاب في علم الله السابق أنهم أي أهل النار. ويقال: وجبت كلمة العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[السجدة:١٣، وغيرها]"[١٣٩١]، "وفي هذا توبيخ وتقريع، وفيه زيادة إيلام وتوجيع يقولون: أوَ ليس قد جاءكم من عند الله رسل آدميّون مثلكم تعرفوهم وتألفونهم، وتعرفون شفقتهم عليكم، وقيامهم فيما بينكم، فقرأوا عليكم كتاب ربكم الذي كان على درك الحق، وأنذروكم ماتلقونه في يومكم، وخوفوكم المصير إليهم؟ قالوا: بلى، أي قد أتونا وأنذرونا. ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي تحقق وعيد الله على من كفر به منا ومن سائر أهل جهنم.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعني يقول لهم الخزنة: ادخلوا أبواب جهنم لاستحقاقكم ذلك بكفركم على ماقسم لكم من دركاتها فهي مثواكم، وبئس المثوى هو، وهو قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَـٰبِّرِينَ﴾ الذين لم ينقادوا لرسل الله فلم يؤمنوا. قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي دائمين ولم يخرجوا عنها أبدا. وقوله: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَـٰبِّرِينَ﴾ يعني فبئس موضع القرار لمن تكبر عن الإيمان.

[١٣٩١] بحر العلوم،٣/١٩٦.

ثم بيّن حال المؤمنين المطيعين فقال عز وجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ أي ويسرع بالمؤمنين أيضا إلى الجنة. وبيّن اختلافها في هذه الحالة في آية أخرى فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم:٨٥-٨٦]. وسيق ظاهره ماض ومعناه مستقبل لأنه أمر كائن لا محالة فألحق بالموجود. وقوله: ﴿زُمَرًاۖ﴾ فوجا فوجا. بعضهم قبل الحساب، وبعضهم بعد الحساب اليسير، وبعضهم بعد الحساب الشديد على قدر مراتبهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي أبواب الجنة وهي ثمانية. وفي الآية دليل على أن أبواب الجنة ثمانية، لأنه قد ذكر بالواو. وإنما يذكر بالواو إذا بلغ الحساب ثمانية، كما قال في آية أخرى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[الكهف:٢٢] فذكر الواو عند الثمانية، وكما قال: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾[التوبة:١١٢] الآية، فذكر كلها بغير واو وإذا بلغ إلى الثمانية فقال: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[التوبة:١١٢]، وقال في آية أخرى: ﴿مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ﴾[التحريم:٥] ثم قال عند الثمانية: ﴿وَأَبْكَارًا﴾[التحريم:٥]. وعرف أن أبواب جهنم سبعة بالآية. وهو قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾[الحجر:٤٤]. وقال أكثر أهل [اللغة][١٣٩٢]: ليس في الآية دليل، لأن [الواو][١٣٩٣] قد تكون عند الثمانية، وقد تكون عند غيرها، ولكن عرف أن أبوابها ثمانية بالأخبار. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ أي حفظة الجنة. ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾أي سلامة لكم من كل

[١٣٩٢] في الأصل (الجنة)، وصححتها من بحر العلوم،٣/١٩٦.

[١٣٩٣] في الأصل (الأبواب)، وصححتها من بحر العلوم،٣/١٩٦.

مكروه. ﴿طِبْتُمْ﴾أي كنتم في الدنيا طيبين غير خبيثين، أي مؤمنين مطيعين غير كافرين عاصين. ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أي مخلدين مؤبدين لا يموتون فيها ولا يخرجون منها أبدا. وقيل قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ومعناه لا زال يحسن على الأسماع ذكركم وعلى الأبصار مناظركم، ويدوم لكم الثناء والذكر الجميل من ربكم. وقيل: هو دعاء بطيب العيش، أي طاب لكم دخولها والعيش فيها. وعن علي – رضي الله عنه – قال: إذا جازوا الصراط جاؤوا إلى باب الجنة فإذا هم بشجرة تحتها عينان من الماء، فيشربون من إحداهما فتطهر قلوبهم من الغلّ والغشّ والآفات، ثم يغتسلون من الأخرى فتطهر أعضاؤهم وأبدانهم، فحينئذ تقول خزنة الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾. وقال قتادة – رحمه الله –: روي أنهم إذا وردوا النار حبسوا على قنطرة فيقتص بعضهم من بعض، حتى إذا هذبوا ونقوا، قيل لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

ثم إذا دخلوا الجنة حمدوا الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بإدخال الجنة. ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة. ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي من الجنة. ﴿حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لسعتها وكبرها. نتمكن منها ونتقلب فيها مانشاء، لا نمنع من ذلك،ولا يضيق عنا ذلك. ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ بالطاعة.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ يعني ترى يا محمد عند فصل القضاء الملائكة حافين، أي محدقين بالجوانب من حول العرش. (مِنْ) صلة زائدة كقولك: جئت من قبل فلان، أي قبله. ويقال: الملائكة المحيطون حادقين. ويقال هذا حكاية عن حالهم أن الملائكة حادقين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يعني يسبحونه، ويحمدونه. وقيل: يسبحونه بتوفيق الله

وله الحمد. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي بين الخلق. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ ويقول أهل الموقف: الحمد لله رب العالمين. وقيل: أي يقوله أهل الجنة إذا دخلوها كما قال: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[الزمر:٧٤]، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا﴾[الأعراف:٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[فاطر:٤٣]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس:١٠]، وقال قتادة – رحمه الله –: وبدأ الله خلق العالم بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام:١]، وختم القضاء عنهم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الزمر:٧٥]. ويقال: لما قضي بينهم بالحق، وميزوا من الكفار حمدوا الله تعالى. وقالوا: الحمد لله رب العالمين الذي قضى بيننا بالحق، ونجانا من القوم الظالمين"[١٣٩٤].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما قدر كمال عظمته بما سبق ذكره، أردفه بذكر طريق آخر يدل أيضاً على كمال عظمته، وذلك شرح مقدمات يوم القيامة، لأن نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم. واختلفوا في الصعقة، منهم من قال إنها غير الموت، بدليل قوله تعالى في موسى –عليه السّلام–:﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ

[١٣٩٤] *التيسير في التفسير*،١٣/٧٥-٧٨.

صَعِقًاۚ﴾[الأعراف:١٤٣]، أنه لم يمت، فهذا النفخ يورث الفزع الشديد، وعلى هذا التقدير فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد، وهو المذكور في سورة النمل في قوله: [﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾][١٣٩٥] [النمل:٨٧]، وعلى هذا القول فنفخ الصور ليس إلا مرتين. والقول الثاني: أن الصعقة عبارة عن الموت، والقائلون بهذا القول كادوا أنهم يموتون من الفزع وشدة الصوت، وعلى هذا التقدير فالنفخة تحصل ثلاث مرات، أولها: نفخة [الفزع][١٣٩٦] وهي المذكورة في سورة النمل. والثانية: نفخة الصعق. والثالثة: نفخة القيام وهما مذكوران في هذه السورة.

وقوله:﴿إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ﴾ وفيه وجوه: الأول: قال ابن عباس: عند نفخة الصعق يموت من في السماوات ومن في الأرض إلا جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ثم يميت الله تعالى ميكائيل وإسرافيل، ويبقي جبريل وملك الموت، ثم يميت ملك الموت، ثم يميت جبريل. والقول الثاني: هم الشهداء لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[آل عمران:١٦٩]، وقد مرّ هذا. القول الثالث: قال جابر: هذا المستثنى هو موسى -عليه السّلام- لأنه صعق فلا يصعق ثانياً. القول الرابع: أنهم الحور العين، وسكان العرش، والكرسي. القول الخامس: قال قتادة: [الله أعلم][١٣٩٧] بأنهم مَن هم، وليس في القرآن والأخبار ما يدل على أنهم مَن هم.

[١٣٩٥] في الأصل (ونفخ)، وهو خطأ في كتابة الآية.
[١٣٩٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٦.
[١٣٩٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٦.

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، قال الحسن: روي عن النبي ﷺ: "أن بينهما أربعون"[١٣٩٨]. ولا أدري أربعون يوماً، أو سنة، أو ألف سنة، أو أربعون ألف سنة. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ يعني قيامهم من القبر يحصل عقيب النفخة الأخيرة، لأن الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ تدل على التعقيب. ومعنى قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ قد مرّ.

ولما بيّن الله تعالى هاتين النفختين قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ والمراد من الأرض ههنا ليست هذه الأرض التي يقعد الآن بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾[إبراهيم:٤٨]، وبدليل قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة:١٤] بل هي أرض أخرى خلقها الله لمحل القيامة. وقوله: ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وقد مرّ تفسيره. قوله ﴿وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ﴾ قد سبق. وقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ والمراد أن يكونوا شهداء على الناس، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلى هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[النساء:٤١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[المائدة:١٠٩]. ويقال: المراد بقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ هو ما قاله في: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]، وأراد بالشهداء المؤمنين"[١٣٩٩]. "وقال مقاتل: يعني الحفظة"[١٤٠٠]. "ويدل عليه قوله تعالى: ﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق:٢١]. وقيل: أراد بالشهداء المستشهدين في سبيل الله. ولما بيّن الله تعالى أنه

[١٣٩٨] الطبري: *جامع البيان*، ٢٤/١٩٩.

[١٣٩٩] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٧٦-٤٧٨.

[١٤٠٠] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٨٨.

يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج إليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات، بيّن تعالى أنه يوصل إلى كل أحد حقه، وعبّر تعالى عن هذا المعنى بأربع عبارات: أولها: قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، وثانيها: قوله ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾، وثالثها: قوله تعالى:﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي وفيت كل نفس جزاء ما عملت، ورابعها: قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني أنه إن لم يكن عالماً بكيفيات أحوالهم فلعله لا يقضي بالحق لأجل عدم العلم، أما إذا كان عالماً بمقادير أفعالهم وكيفياتها امتنع دخول الخطأ فثبت أنه تعالى عبّر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة، والمقصود المبالغة في تقرير أن كل مكلف فإنه يصل إلى حقه"[١٤٠١].

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال القيامة على سبيل الإجمال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، بيّن بعد كيفية أهل العقاب، ثم كيفية أحوال أهل الثواب وختم السورة. أما شرح أحوال أهل العقاب فهو المذكور في هذه الآية، وهو قوله: ﴿وَسِيقَ الذين كَفَرُواْ إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يكون بالعنف والدفع، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[الطور:١٣] أي يدفعون دفعاً، نظيره قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِى

[١٤٠١] مفاتيح الغيب، ٢٧/٤٧٨.

يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[الماعون:٢]، ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم:٨٦]. وأما الزمر، فهي الأفواج المتفرقة بعض في أثر بعض، وقد مرّ هذا. فبيّن الله تعالى أنهم يساقون إلى جهنم فإذا جاءوها فتحت أبوابها، وهذا يدل على أن أبواب جهنم إنما تفتح عند وصول أولئك إليها، وإذا دخلوا جهنم قال لهم خزنة جهنم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ الآية وقد سبق الكلام. والمراد باليوم ههنا لقاء وقتهم هذا وهو وقت دخولهم النار، لا يوم القيامة. واستعمل لفظ اليوم والأيام في وقت الشدة، فعند هذا يقول الكفار: بلى أتونا وتلونا، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقدير الكلام أنه حقت علينا كلمة العذاب، فكيف يمكننا الخلاص من العذاب، وفي هذا تصريح في أن السعيد لا ينقلب شقياً، والشقي لا ينقلب سعيداً. ثم إن الملائكة إذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم:﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ والفائدة من قول الملائكة مع أنهم وجب عليهم الدخول، أنهم قالوا هذا القول زجرا لهم، لأنهم يتكبرون على الأنبياء ولم يقبلوا قولهم، ولم يلتفتوا إلى دلائلهم"[١٤٠٢].

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤) وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

[١٤٠٢] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٧٨-٤٧٩.

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال العقاب في الآية المتقدمة، شرح أحوال الثواب في هذه الآية، فقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فإن قيل: ماالفائدة في هذا السوق، والسوق في أهل النار معقول، لأنهم أمروا بالذهاب إلى موضع العذاب لا بدّ وأن يساقوا إليه، وأما [أهل][١٤٠٣] الثواب فإذا أمروا بالذهاب إلى موضع الراحة والسعادة، فأي حاجة فيه إلى السوق؟ وجوابه من وجوه: الأول: أن المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف:٦٧] فإذا قيل لواحد منهم: إذهب إلى الجنة فيقول: لا أدخلها إلا بأحبائي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السبب، فحينئذٍ يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة. والثاني: أن الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى لا للجنة ولا للنار، فتصير شدة استغراقهم مشاهدة الجمال والجلال مانعا لهم عن الرغبة في الجنة، فلا جرم يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة. والثالث: أن النبي ﷺ قال: "أكثر أهل الجنة البله، وعليون للأبرار"[١٤٠٤]. فلهذا السبب يساقون إلى الجنة. والرابع: أن أهل الجنة وأهل النار يساقون إلا أن المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالإنسان إذ سيق إلى الحبس والقيد، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب إلا راكبين، والمراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين من الملوك، فشتان ما بين السوقين. ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، وفي هذا الكلام

[١٤٠٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٧٩.

[١٤٠٤] البيهقي: شعب *الإيمان*،٢/ ٤٩٧، رقم (١٣٠٣). العجلوني: *كشف الخفاء*،١/١٨٥، رقم ٤٩٥)، السخاوي: *المقاصد الحسنة*، ص١٣٧، القاري: *الأسرار المرفوعة*، ص١٠٣.

قيود: القيد الأول: هو مجيئهم إلى الجنة. والقيد الثاني: قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وإنما ذكر الواوههنا، و لم يذكر هناك وذلك لأن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، فأما أبواب الجنة ففتحها يكون مقدماً على وصولهم إليها، بدليل قوله تعالى:﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾[ص:٥٠] فلذلك جيء بالواو وكأنه قيل: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها. القيد الثالث: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ فبيّن تعالى أن خزنة الجنة يذكرون لأهل الثواب هذه الكلمات، فأولها: قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا يدل على أنهم يبشرونهم بالسلامة من كل الآفات. وثانيها: قوله: ﴿طِبْتُمْ﴾ والمعنى طبتم من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا. وثالثها: قولهم: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. والفاء في قوله:﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾ يدل على كون ذلك الدخول معللاً بالطيب والطهارة. ثم أخبر الله تعالى بأن الملائكة إذا خاطبوا المتقين بهذه الثلاث، قال المتقون عند ذلك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ في قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ﴾[فصلت:٣٠]. ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ والمراد بالأرض الجنة، وقد مرّ. وإنما عبر عنه بالإرث لوجوه: الأول: أن الجنة كانت في أول الأمر لآدم – عليه السّلام –، لأنه تعالى قال: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥]، فلما عادت الجنة إلى أولاد آدم كان ذلك سبباً للإرث. الثاني: أن هذا اللفظ مأخوذ من قول القائل: أورث كذا، وهذا العمل أورث كذا، فلما كانت طاعاتهم قد أفادتهم الجنة، لا جرم قالوا ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾[١٤٠٥] فالمعنى أن الله تعالى أورثنا الجنة أن وفقنا بأعمال أورثت الجنة. الثالث: أن الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير منازع ولا

[١٤٠٥] في الأصل (وأورثنا الجنة)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٠ .

مدافع، فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون كيف شاءوا وأرادوا. قال حكماء الإسلام: الجنات نوعان: الجنات الجسمانية، والجنات الروحانية. فالجنات الجسمانية لا تحتمل المشاركة، أما الروحانيات فحصولها لواحد لا يمتنع من حصولها للآخرين. ولما بيّن الله تعالى صفة أهل الجنة قال: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ قال مقاتل: ليس هذا من كلام أهل الجنة، بل الله تعالى أجرى مابين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب أهل الجنة، قال بعده: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، ثم قال بعده: ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ ذكر عقيبه ثواب الملائكة، فقال: كما أن دار ثواب المتقين المؤمنين هي الجنة، فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش وأطرافه، فلهذا قال: ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي محدقين بالعرش. قال الليث: حفّ القوم بسيدهم يحفّون حفّا إذا طافوا به. فبيّن الله تعالى أن دار ثوابهم جوانب العرش. ثم قال: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وهذا مشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح، وحينئذٍ رجع حاصل الكلام إلى أعظم درجات الثواب استغراق عقول العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس. ثم قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ والمعنى أنهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة، ولكل واحد منهم في درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه ولا يتعداه، وهو المراد من قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي الملائكة لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله ربّ العالمين على قضائه بيننا بالحق، فهم ما حمدوه لأجل ذلك القضاء، بل حمدوه لصفته الواجبة وهي كونه رباً للعالمين. فإن من حمد المنعم لأجل أن إنعامه وصل إليه، فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وإنما حمد الإنعام،

وأما من حمد المنعم لا لأنه أوصل إليه النعمة، فههنا قد وصل إلى [لجة بحر][١٤٠٦] التوحيد. هذا إذا قلنا إن قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ شرح أحوال الملائكة في الثواب، أما إذا قلنا إنه من بقية شرح ثواب المؤمنين، فتقريره أن يقال إن المتقين لما قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ للَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ فقد ظهر منهم أنهم في الجنة اشتغلوا بحمد الله تعالى بالمدح والثناء، فبيّن تعالى أنه كما أن حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا التحميد والتسبيح، فكذلك حرفة الملائكة الذين هم حافون حول العرش الاشتغال بالتحميد والتسبيح، ثم إن جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة، وحينئذ يظهر منه أن المؤمنين المتقين، وأن الملائكة المقربين يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله وتسبيحه، فكان ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بذلك التسبيح والتحميد. ثم قال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بين البشر. ثم قال: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فالمعنى أنهم يقدمون التسبيح، المراد منه تنزيه الله عن ما لا يليق بالإلهيّة.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المراد وصفه بصفات الإلهية، فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتنزيهه عن كل ما لا يليق به وهو صفة الجلال. وقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عبارة عن الإقرار بكونه موصوفاً بصفات الإلهية وهي صفات الإكرام، وهو الذي كانت الملائكة يذكرونه منذ خلق الله العالم، وهو قولهم:﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠]. وفي قوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دقيقة أخرى وهي

[١٤٠٦] في الأصل (الجنة بجزاء)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨١ .

أنه لم يبين ذلك القائل من هو، والمقصود من هذا الإبهام التنبيه، على أن خاتمة كلام الأنبياء في الثناء على حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾"[١٤٠٧].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ "عند الإماتة بسريان الألطاف الإلهية، والإنعامات الربانية، والمشاهدات والمكاشفات. ﴿فَصَعِقَ﴾ أي هلك ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حال الفناء وظهور الهوية بالنفخة. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من أهل البقاء بعد الفناء الذين أحياهم الله بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقاني فلا يموتن كرة أخرى لكون حياتهم به وفنائهم عن نفسه من قبل. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ عند البقاء بعد الفناء. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ بالحياة الأبدية.

﴿وَأَشْرَقَتِ﴾ أرض النفس. ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ واتصفت بنور الحق. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي عرضت كتب الأعمال على أهلها ليقرأ كل واحد عمله في صحيفته التي هي نفسه المنتقشة فيها صور أعماله المنطبع منها تلك الصور في بدنه. ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ من السابقين المطلعين على أحوالهم الذين قال فيهم: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[الأعراف:٤٦] أي أحضروا للشهادة عليهم لاطلاعهم على أعمالهم. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ حيث وزن

[١٤٠٧] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٧٩–٤٨١.

أعمالهم بميزان الحق، [ووفّى جزاء][١٤٠٨] أعمالهم لا ينقص منها شيء. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ لثبوت صور أعمالهم عنده.

﴿وَسِيقَ﴾ المحجوبون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ بسائق العمل، وقائد الهوى النفسي والميل السفلي. ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لشدة شوقها إليهم، وقبولها لهم لما بينهما من المناسبة. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ من المالك والزبانية، أي الطبيعة الجسمانية الموكلة بالنفوس السفلية. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ يعني مرشد حقيقي. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ عَلَى المحجوبين بالهوى والنفس الحيواني السفلي.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الرذائل، وصفات النفوس. ﴿إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ﴾ بسائق العمل وقائد المحبة. ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قبل مجيئهم لأن أبواب الرحمة وفيض الحق مفتوحة دائما بخلاف أبواب جهنم فإنها مطبقة تنفتح بهم وبمجيئهم إليها. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ من الرضوان والأرواح القدسية ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ تحيتهم الصفات الإلهية والأسماء العلية بإفاضة الكمال عليهم وتبرئتهم من الآفة والنقص. ﴿طِبْتُمْ﴾ عن خبائث الأوصاف النفسانية والهيئات الهيولانية، فأدخلوهم جنة الفردوس الروحانية، مقدرين الخلود لنزاهة ذواتكم عن التغيرات الجسمانية. ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالاتصاف بكمالاته، والوصول إلى نعيم تجليات صفاته. ﴿ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بإيصالنا إلى ما وعدنا في العهد السابق الأول، وأودع فينا وأنبأنا عنه

[١٤٠٨] في الأصل (وفي أجزاء)، وصححتها من تفسير ابن عربي،٥/١٩٠.

على ألسنة رسله. ﴿وَأَوْرَثَنَا﴾ جنة الصفات. ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ منها ﴿حَيْثُ نَشَآءُ﴾ بحسب شرفنا ومقتضى حالنا. ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الذين عملوا بما علموا.

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ بتجردهم عن اللواحق المادية، حامدين ربهم بالكمالات الروحانية. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بتسالمهم واتحادهم في التوجه نحوالكمال بنور العدل والتوحيد، واختصاص كل بما حكم به الحق في تسبيحه من غير تخاصم وتنازع. ﴿وَقِيلَ﴾ على لسان الأحديَّة ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ المطلق ﴿لِلَّهِ﴾ أي للذات الإلهية الموصوفة بجميع صفاتها. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على استعدادات الأشياء وأحوالها، والمواهب الربانية، والفيض الأقدس"[١٤٠٩]. والله أعلم بسرائر الأمور.

[١٤٠٩] تفسير ابن عربي، ٢/١٩٠–١٩٢.

٧.٢ سورة غافر [١٤١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

"بسم الله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، الرحمن الذي يدخل المؤمنين الجنة يرزقون فيها بغير حساب، الرحيم الذي أنزل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، وهذه السورة مكية، وهي خمس وثمانون آية، وقيل: أربع. وكلماتها ألف ومائتان وسبع عشرة. وحروفها خمسة آلاف وسبعة. وانتظام ختم السورة وافتتاح هذه السورة أنهما في ذكر أسماء الله تعالى. وانتظام السورتين أنهما في ذكر المشركين والاحتجاج عليهم في إبطال شركهم وفي إثبات البعث والحساب، وفيهما الترغيب والترهيب، وتسلية النبي ﷺ والمؤمنين"[١٤١١]، وقال النبي ﷺ: "لكل شيء ثمرة، وثمرة القرآن ذوات حمٓ، هن روضات حسنات مخفيات متجاورات، فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم"[١٤١٢]. "وقال محمد بن سيرين - رحمه الله -: رأى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير أحسن منهن، فقال لهن: لمن أنتن؟ قُلن: لمن قرأ آل حمٓ. وقال الحسن - رحمه الله-: الحواميم رياض"[١٤١٣].

[١٤١٠] في الأصل (المؤمن).

[١٤١١] *التيسير في التفسير*،٨١/١٣.

[١٤١٢] السيوطي: *الدر المنثور*،٢٦٩/٧-٢٧٠. الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*،٣٢/٨، رقم (٣٥٣٨).

[١٤١٣] *التيسير في التفسير*،٨٣/١٣.

وروى أبيّ بن كعب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ سورة حمٓ المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلوا عليه واستغفروا له"[١٤١٤].

﴿حمٓ (١) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) مَا يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ (٥) وَكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾، قال مجاهد: ﴿حمٓ﴾ فواتح السورة. وقال قتادة -رحمه الله-: ﴿حمٓ﴾ اسم من أسماء القرآن، ويقال: اسم من أسماء الله الأعظم. ويقال: قسم أقسم الله بحمٓ. ويقال: قضى ما هو كائن. ويقال: معناه قدر وقضى. ويقال: قسم أقسم الله بحلمه وملكه أن

[١٤١٤] الثعلبي: *الكشف والبيان*،٢٣/١٥٧. رقم (٢٥٥٠). الواحدي: *الوسيط*،٤/٣، رقم (٨٠٧). الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*،٣/٢٢٣، رقم (١١٣٨). ابن الجوزي: *الموضوعات*،١/٢٤٠. الشوكاني: *الفوائد المجموعة*، ص٢٩٦. وهذا الحديث في فضائل السور موضوع.

لايعذب أحدا عاد إليه بقوله: لا إله إلا الله مخلصا من قلبه. وقال عكرمة وسعيد بن جبير – رحمهما الله–: الر حمٓ نٓ هي الرحمن. وقال أنس – رضي الله عنه–: "سأل أعرابي رسول الله ﷺ: ما حاميم فأنا لا أعرفها في لغتنا؟ قال –عليه السلام–: بدءُ أسماء الله وفواتح سوره"[١٤١٥]. وقال عطاء الخراساني – رحمه الله–: الحاء افتتاح اسمه حليم، حيّ، حنان، حكيم، والميم افتتاح اسمه ملك، مجيد، منان.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ قيل: تتريل مبتدأ، ومن الله خبره. وعلى هذا هو مصدر على حاله. وقيل: اسم للسورة أو القرآن. وهو مبتدأ، وتتريل إلى آخره خبره، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي متزل من الله العزيز العليم. وقيل: أي الذي يقرأ عليكم محمد ﷺ هو من الله العزيز المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقوّل، العليم بمن صدق به وكذب، وهو تعزية للنبي ﷺ، وتهديد للمشركين، وبشارة للمؤمنين.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لمن يقول: لا إله إلا الله مخلصا يستر عليه ذنوبه. ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لمن تاب ورجع. التوب مصدر كالتوبة، وهي الرجوع إلى الله تعالى عن المعصية. ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن يصرّ ولا يتوب ومات على الشرك، ولم يقل: لا إله إلا الله. ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ يعني ذي الفناء عمّن لا يوحده، ثم وحد نفسه فقال: ﴿لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي مصير العباد ومرجعهم في الآخرة، فيجازيهم بأعمالهم. وقال الإمام القشيري – رحمه الله –: غافر

[١٤١٥] سبق تخريجه.

الذنب [للظالمين][١٤١٦]، وقابل التوب للمقتصرين، شديد العقاب للمشركين، ذي الطول للسابقين[١٤١٧].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي مايخاصم في كتاب الله الذي هو تتريل الكتاب من الله العزيز العليم ليدفعه بالأباطيل فيقول مرة هو سحر، ومرة هو الكهنة، ومرة أساطير الأولين، ومرة يعلّمه بشر، وأشباه ذلك. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ نعم الله من سلامة البنية، وتمام [العقل][١٤١٨]، فلا يقابلونه بالشكر. ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ يعني ذهابهم ومجيئهم في أسفارهم وتجاراتهم سالمين في أموالهم وأبدانهم في البلدان، وأنهم ليسوا على شيء من الدين.

ثم خوفهم ليحذروا فقال عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أي نبيُّهم. ﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي الأمم المجتمعة على الكفر من بعد قوم نوح كقوم عاد وثمود وغيرهم. ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أي عزمت كل أمة. ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي ليحبسوه وليعذبوه، وقيل: ليقتلوه. ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي بالشرك. ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ يعني ليبطلوا به دين الحقّ وهو الإسلام، والذي جاء الرسل به. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فأخذتهم بالعذاب المستأصل، فكيف رأيت عذابي لهم أليس وجدوه حقا؟.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي وجب وتحقق وعيد ربك. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي على هؤلاء الذين كفروا. ويقال: كفروا بالعذاب. ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي لأنهم

[١٤١٦] في الأصل (للطالبين).

[١٤١٧] القشيري: *لطائف الإشارات*، ٣/٢٩٥.

[١٤١٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

أصحاب النار. ويقال: معناه وتحقق وعيد ربك على الذين كفروا من المتقدمين والمتأخرين أهم جميعا يدخلون جهنم بعد الهلاك في الدنيا. قيل نزول هذه الآية قيل الآية نزلت في الحارث بن قيس السهمي. وقال أبوالعالية: والأحزاب من بعدهم ثلاث قبائل من قريش: بنو أمية، وبنو مخزوم، وبنو عبد الدار.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ وفي هذا إخبار عن وعد المؤمنين والتائبين من الكفر تحريضا لهؤلاء على الإسلام. قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾[١٤١٩] أي الملائكة الذين يحملونه. ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ أي والملائكة الذين هم حول العرش يطوفون ويعظمونه. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي ينزهونه عما يصف الله هؤلاء المشركون المحاربون. ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي ويصدقون بالله مخلصين في ذلك. ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يسألون الله لهم المغفرة، ويقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ أي ربنا. ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ أي مامن شيء إلا وقد نالته رحمتك، وأحاط به علمك. قال الإمام أبو منصور – رحمه الله –: أما في الدنيا فالرحمة تسع المؤمنين والكافرين، وأما في الآخرة فلا تنال إلا المؤمن. قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف:١٥٦] الآية. وفي الآية بيان فضل المؤمنين أن الملائكة مستغلين بالدعاء لهم، ولما قدموا الثناء على الله واشتغلوا بالدعاء فقالوا: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ يعني عن الشرك. ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ أي الإسلام فهو الطريق المؤدي إلى رضوان الله تعالى. ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي واحفظهم.

[١٤١٩] سقط من الأصل (يحملون)، وكتبتها من التيسير.

﴿رَبَّنَا﴾ يعني يا ربّنا. ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ في القرآن على لسان نبيك. ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أي وأتمم سرورهم بأن يجمع بينهم وبين آبائهم ونسائهم وأولادهم. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز المنيع بسلطانك، الحكيم في أقوالك وأفعالك. ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ﴾ يعني واصرف عنهم العقوبات والمكاره في الآخرة"[١٤٢٠]. ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ "قال مقاتل: السيئات الشرك في الدنيا، ومن تق السيئات يعني عن الشرك فقد رحمته يوم القيامة"[١٤٢١]. "ويقال: من منعته عن الشرك في الدنيا، فقد رحمته في الآخرة. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يعني النجاة الوافرة بدأوا وصف الله تعالى بالرحمة، وختموا بذلك، ليعلم أن الأدب في الدعاء هو البداية بالثناء والختم به، وأن كل ذلك برحمة الله. وقيل: لما اختار الملائكة هاروت وماروت ووقع لهم ماوقع، أشفقوا على عصاة البشر، فالتزموا لهم هذا الدعاء"[١٤٢٢]. "وقال الإمام القشيري – رحمه الله –: لئن سلط الله عليك أراذل خلقه وهم الشياطين بالإغواء، فقد [أمر][١٤٢٣] بشفاعتك أفاضل خلقه وهم الملائكة بالدعاء"[١٤٢٤]. "وقال يحي بن معاذ الرازي: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله تعالى للمذنبين"[١٤٢٥].

[فصل في التفسير بالرأي]

[١٤٢٠] *التيسير في التفسير*، ١٣/٨١–٩١.

[١٤٢١] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٧٠٧.

[١٤٢٢] *بحر العلوم*، ٣/١٩٩.

[١٤٢٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

[١٤٢٤] القشيري: *لطائف الإشارات*، ٣/٢٩٧.

[١٤٢٥] *التيسير في التفسير*، ١٣/٩١.

قوله تعالى: ﴿حمٓ (١) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) مَا يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ (٥) وَكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ (٦)﴾، "والكلام المستقصى في هذه الفواتح مذكور في أول سورة البقرة وقد مرّ بعض منه في أول التفسير الأول وهو ههنا أن يقال: ﴿حمٓ﴾ اسم السورة، فقوله: ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ﴾ خبره. والتقدير: أن هذه السورة المسماة بـــ ﴿حمٓ (١) تَنْزِيلُ الْكِتابِ﴾. وقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ فاعلم أنه لما ذكر أن ﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وجب بيان المترل من هو؟ فقال: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾. ثم بيّن أن الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا للتشمير عن ساق الجِدّ عند الاستماع، [وزجره][١٤٢٦] عن التهاون والتواني فيه، فبيّن أن المترل هو الله العزيز العليم. واعلم أن الناس اختلفوا في أن العلم بالله ما هو؟ فقال قوم عظيم، أنه العلم بكونه قادراً، وبعده العلم بكونه عالماً، إذا عرفت هذا فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ له تفسيران: أحدهما: الغالب، فيكون معناه القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة. والثاني: الذي لا مثل له، وما كان كذلك وجب أن لا يكون جسماً، والذي لا يكون جسماً يكون مترّهاً عن الشهوة والنفرة، والذي يكون كذلك يكون مترّهاً عن الحاجة. وأما

[١٤٢٦] في الأصل (ومن جرّده)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٤٨٣/٢٧.

﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ فهو مبالغة تامة إنما تتحقق عند كونه تعالى [عالماً][١٤٢٧] بكل المعلومات، فقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ يرجع معناه إلى أن هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق، بمعنى العالم المطلق، ومن كان كذلك كان رحيماً جواداً، وكانت أفعاله حكمة وصواباً منزّهة عن القبح والباطل، فكأنه سبحانه إنما ذكر عقيب قوله: ﴿تَنزِيلُ﴾ هذه الأسماء الثلاثة كونها دالة على أن أفعاله حكمة وصواب، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون هذا التنزيل حقاً وصواباً، وقيل الفائدة في ذكر: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أمران: أحدهما: أنه بقدرته علمه وأنزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والإعجاز، ولولا كونه عزيزا عليما لما صح ذلك. والثاني: أنه تكفل بحفظه وبعموم التكليف فيه وظهوره حين انقطاع التكليف، وذلك لا يتم إلا بكونه عزيزاً لا يغلب، وبكونه عليماً لا يخفى عليه، ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فهذه ستة أنواع من الصفات: الصفة الأولى: قوله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ﴾ واعلم أن الجمهور قالوا أن الله تعالى قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة، وهذه تدل على ذلك وبيانه من وجوه: الأول: أن غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران الصغيرة من الأمور الواجبة، فلو حملنا كونه تعالى غافر الذنب على هذا المعنى لم يبق بينه وبين أقل الناس فرق في المعنى، فثبت أنه يجب أن يكون المراد منه كونه غافر الكبائر قبل التوبة وهو المطلوب. الثاني: أن الغفران عبارة عن الستر، ومعنى الستر إنما يعقل في الشيء الذي يكون باقياً موجوداً، والصغيرة تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها، فمعنى الغفر فيها غير معقول، ولا يمكن حمل قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ﴾ على

[١٤٢٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٣.

الكبيرة بعد التوبة، لأن معنى كونه قابلاً للتوبة ليس إلا ذلك، فلو كان المراد بكونه غافر الذنب هذا المعنى لزم التكرار وإنه باطل، فثبت أن كونه غافر الذنب في موضع العظيم، فوجب حمله على ما يفيد أعظم أنواع المدح، وذلك كونه غافراً للكبائر قبل التوبة، وهو المطلوب. الصفة الثانية: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ومعناه قد مرّ. واعلم أن العلماء قالوا إن قبول التوبة من المذنب يقع على سبيل التفضيل وليس بواجب على الله خلافا للمعتزلة فإنهم قالوا إنه واجب على الله. واحتج علماؤنا بأنه تعالى ذكر كونه قابلاً للتوب على سبيل المدح والثناء، ولو كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح إلا القليل، وهو القدر الذي يحصل لجميع الصالحين عند أداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات. الصفة الثالثة: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ وهو صفة على معنى الدوام والاستمرار، لأن صفات الله تعالى منزّهة عن الحدوث والتجدد، فكونه ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ مع كونه بحيث يشتد عقابه، وهذا المعنى حاصل أبداً، ولا نزاع في أن قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ يحسن جعلهما صفة، وإنما كان كذلك لأنهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار. واعلم أن هذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل، لأنه تعالى لما أراد أن يصف نفسه بأنه شديد العقاب ذكر قبله أمرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب، وهو كونه غافر الذنب وقابل التوب، وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة، وهو قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾، فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقاً بتينك الصفتين وهو بهذه الصفة، دل على أن جانب الرحمة والكرم أفضل. وإنما ذكر الواو في قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ولم يذكرها في قوله: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾، وذلك أنه لو لم يذكر الواو في قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لاحتمل أن يقع في خاطر إنسان أنه لا معنى لكونه

غافر الذنب إلا كونه قابل التوب، ولما ذكر الواو دفع هذا الاحتمال، لأن عطف الشيء على نفسه محال. واعلم أنه لما وصف نفسه بكونه شديد العقاب لابدّ وأن يكون المراد كونه تعالى آتيا بالعقاب الذي لا يفتح منه، فذكر فذكر بعده كونه ذا الفضل، فيجب أن يكون كونه ذا الفضل بسبب أن يترك العقاب الذي له أن يفعله لأنه ذكر كونه ذا الفضل، و لم يبين أنه ذا الطول في ماذا؟ فوجب صرفه إلى كونه ذا الطول في الأمر الذي سبق ذكره وهو فعل العقاب، فعلم من ذلك أن العفو عن أصحاب الكبائر جائز وهو المطلوب. الصفة الخامسة: التوحيد المطلق، وهو قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ والمعنى أنه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل، فلو حصل معه إله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة إلى عبوديته شديدة، فكان الترغيب والترهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التوحيد. [الصفة السادسة: قوله ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾][١٤٢٨] وهذه الصفة أيضاً مما يقوي الرغبة في عبوديته، إلا أن القول بالحشر والنشر كان باطلاً [إن][١٤٢٩] لم يكن الخوف الشديد حاصلاً، أما لو كان القول بالحشر والقيامة حاصلاً كان [الخوف][١٤٣٠] أشدّ والحذر أكمل، فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه الصفات. واعلم أنه تعالى لما قرر أن القرآن كتاب أنزله ليهتدى به في الدين ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله فقال: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ واعلم أن الجدال على نوعين: جدال في تقرير الحق، وجدال في تقرير الباطل. أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء – عليهم السّلام – قال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ

[١٤٢٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٥.

[١٤٢٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٥.

[١٤٣٠] في الأصل (القول)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٥.

أَحْسَنُ﴾[النمل: ١٢٥]، وقال حكاية عن الكفار أهم قالوا لنوح -عليه السّلام-: ﴿يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[هود: ٣٢]، وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم، وهو المراد في هذه الآية حيث قال: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٨]، وقال أيضا: ﴿وَجَـٰدَلُواْ بِالبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ﴾. وفي تفسير قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قد سبق الكلام، ثم قال: ﴿فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَـٰدِ﴾ أي لا ينبغي أن تغتروا بأني أمهلتهم وتركتهم سالمين في أبداهم وأموالهم يتقلبون في البلاد أي يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش، فإني وإن أمهلتهم فإني سآخذهم وأنتقم منهم كما فعلت بأشكالهم في الأمم الماضية، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن، ولهم الأموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون، وإلى هذا قد سبق الإشارة في التفسير الأول. ثم كشف عن هذا المعنى فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ﴾، كما قال في سورة ص [١٢-١٣]: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحابُ الْأَيْكَةِ أُولئِكَ الْأَحْزابُ﴾، يعني همت كل من هؤلاء الأحزاب أن يأخذوا رسولهم وقد سبق الكلام همهم لأي شيء، ﴿وَجَـٰدَلُواْ بِالبَـٰطِلِ﴾ فكل هؤلاء جادلوا رسلهم بإيراد الشبهات ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ﴾ أي يكون بسبب إيراد تلك الشبهات ليدحضوا به الحق والصدق، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي فأنزلت بهم من الهلاك ما هموا بإنزاله بالرسل، وأرادوا أن يأخذوهم فأخذهم أنا، فكيف كان عقابي إياهم، أليس إلا كان مهلكاً مستأصلاً مميتاً في الذكر والسماع، وأنا أفعل بقومك ما فعلت بهؤلاء إن أصروا على الكفر والجدال في آيات الله، ثم كشف عن هذا المعنى

فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ومثل الذي حق على أولئك الأمم السالفة من العقاب حقت كلمتي أيضاً على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العذاب بهم، واحتج علماؤنا بهذه الآية على أن قضاء الله تعالى بالسعادة والشقاوة لازم لا يمكن تغييره، فقالوا إنه تعالى أخبر أنه حقت كلمة العذاب عليهم، وذلك يدل على أنهم لا قدرة لهم على الإيمان، لأنهم لو تمكنوا منه لتمكنوا من إبطال هذه الكلمة الحقة، ولتمكنوا من إبطال علم الله وحكمته، ضرورة أن المتمكن من الشيء يجب أن يكون كونه متمكناً من كل ما هو من لوازمه، لأنهم لو آمنوا لوجب عليهم أن يؤمنوا بهذه الآية"[١٤٣١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، "اعلم أنه تعالى لما بيّن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش، والحافون حول العرش يبالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين، كأنه تعالى يقول: إن كان هؤلاء يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت إليهم ولا تقم لهم وزناً، فإن حملة العرش معك والحافون من حول العرش ينصرونك. وإنما ذكر الله

[١٤٣١] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٨٢-٤٨٦.

تعالى الملائكة ههنا على نوعين: أحدهما: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ وقد حكى تعالى أن حملة العرش يوم القيامة ثمانية، فيمكن أن يقال الذين يحملونه في هذا الوقت هم أولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة، ولا شك أن حملة العرش أشراف الملائكة وأكابرهم. روى صاحب (الكشاف) أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع [لا يرفعون][١٤٣٢] أبصارهم"[١٤٣٣]، وعن النبي ﷺ: "لا تتفكروا في عظم ربكم، ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقاً من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله، وقدماه في الأرض السفلى، وقد خرق رأسه من سبع سموات، وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع"[١٤٣٤]. "قيل: إنه طائر صغير. وروي أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدو ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة. وقيل: خلق الله العرش من جوهرة خضراء، وبين القائمتين من قوائمه إذا طار الطير المسرع لم يقطع ثمانين ألف عام. وقيل: حول العرش سبعون ألف صف [من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف][١٤٣٥] قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل، ما منهم من أحد إلا ويسبح بما لا يسبح به الآخر. وأما القسم الثاني من الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾، والأظهر منهم أن

[١٤٣٢] في الأصل (لا يعرفون)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٧.

[١٤٣٣] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٦.

[١٤٣٤] الثعلبي: *الكشف والبيان*،٤/١٥١. الزيلعي: *تخريج أحاديث وآثار الكشاف*،٣/٢١٨. أبو نعيم: *حلية الأولياء*،٦/٦٥. العجلوني: *كشف الخفاء*،١/٣٥٧-٣٥٨، رقم (١٠٠٥).

[١٤٣٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٧.

المراد ما ذكره في قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الزمر:٧٥]. والعقل يدل على أن حملة العرش، والحافين حول العرش يجب أن يكونوا أفضل الملائكة، وذلك لأن نسبة الأرواح إلى الأرواح [كنسبة الأجساد إلى الأجساد، فلما كان العرش أشرف الموجودات الجسمانية كانت الأرواح][١٤٣٦] المتعلقة بتدبير العرش يجب أن تكون أفضل الأرواح المدبرة في عالم الأجساد، وأيضاً أن يكون هناك أرواح حاملة لجسم العرش، ثم يتولد من تلك الأرواح أرواح أُخر من جنسها، وهي متعلقة بأطراف العرش وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ واعلم أن هذه الآية تدل على أنه سبحانه [منزّه عن][١٤٣٧] أن يكون في العرش، وذلك لأنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾، يكون حاملاً لكل من في العرش، فلو كان إله [العالم][١٤٣٨] في العرش لكان هؤلاء الملائكة حاملين لإله العالم فحينئذ يكونون حافظين لإله العالم، ممسكين له، والحافظ القادر أولى بالإلهية والمحمول المحفوظ أولى بالعبودية، فحينئذ ينقلب الإله عبداً والعبد إلها، وذلك فاسد، فدل هذا على أن إله العرش والأجسام متعال عن العرش والأجسام.

واعلم أن الله تعالى حكى عن حملة العرش، وعن الحافين بالعرش ثلاثة أشياء: أولها: قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ونظيره قوله عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[البقرة:٣٠]، وقوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

[١٤٣٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٤٨٨/٢٧.
[١٤٣٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٤٨٨/٢٧.
[١٤٣٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٤٨٨/٢٧.

رَبِّهِمْۖ﴾[الزمر:٧٥] فالتسبيح عبارة عن تتريه الله تعالى عما لا ينبغي، والتحميد الاعتراف بأنه هو المنعم على الإطلاق، فالتسبيح إشارة إلى الإجلال، والتحميد إشارة إلى الإكرام، فقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قريب [من قوله]: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٧٨]. والنوع الثاني: مما حكى الله تعالى عن هؤلاء الملائكة وهو قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، والفائدة في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ التنبيه على أن المقصود منه الإشارة إلى أن الإيمان موجب للمدح والثناء، وإلا فالتسبيح والتحميد لا يمكن إلا وقد سبق الإيمان بالله. النوع الثالث: ما حكى الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مشعر بالشفقة على خلق الله. احتج كثير من العلماء بهذه الآية في إثبات أن المَلَك أفضل من البشر، قالوا لأن هذه الآية تدل على أن الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثناء والتقديس، اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون، وهذا يدل على أنهم مستغنون [عن الاستغفار][١٤٣٩] لأنفسهم، إذ لو كانوا محتاجين إليه لذكروا الاستغفار لأنفسهم على الاستغفار لغيرهم، بدليل قوله ﷺ: "ابدأ بنفسك". وأيضاً قال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩] فأمر محمداً ﷺ أن يذكر أولاً الاستغفار لنفسه، ثم بعده يذكر الاستغفار لغيره، وحكى عن نوح -عليه السّلام-: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾[نوح: ٢٨]، وهذا يدل على أن كل من كان محتاجاً إلى الاستغفار فإنه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره، فالملائكة لو كانوا محتاجين إلى الاستغفار لكان اشتغالهم بالاستغفار لأنفسهم مقدماً على الاستغفار لغيرهم، ولما

[١٤٣٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٩.

لم يذكر الله تعالى عنهم استغفارهم لأنفسهم علمنا أن ذلك إنما كان لأنهم [ما][١٤٤٠] كانوا محتاجين إلى الاستغفار، وأما الأنبياء -عليهم السّلام- فهم كانوا محتاجين إلى الاستغفار، بدليل قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ وإذا ثبت هذا فقد [ظهر][١٤٤١] أن المَلَك أفضل من البشر. واعلم أنه تعالى لما حكى عن الملائكة أنهم يستغفرون للذين آمنوا، بيّن كيفيته فحكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾. واعلم أن الدعاء في أكثر الأمر مذكور بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ ويدل عليه أن الملائكة عند الدعاء قالوا: ﴿رَبَّنَا﴾، وقال آدم -عليه السّلام-: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾[الأعراف: ٢٣]، وقال نوح -عليه السّلام-: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾[هود: ٤٧]، وأمثال ذلك. والسنة في الدعاء أن يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى، ثم يذكر الدعاء عقيبه، والدليل عليه هذه الآية، فإن الملائكة لما عزموا على الدعاء والاستغفار للمؤمنين بدأوا بالثناء فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وأيضاً أن الخليل -عليه السّلام- لما أراد أن يذكر الدعاء ذكر الثناء أولاً، فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٧٨] إلى آخر الآية، ثم ذكر بعد الثناء بعده ذكر الدعاء فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[الشعراء:٨٣]. فقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ إشارة إلى التربية، وهي عبارة عن إبقاء الشيء على أكمل أحواله وأحسن صفاته، وأما الرحمة فهي إشارة إلى جانب الخير والراحة. وقوله: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ يدل على كونه سبحانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات، وأيضاً

[١٤٤٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٩.

[١٤٤١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٨٩.

فلولا ذلك لم يكن في الدعاء والتضرع فائدة لأنه إذا جاز أن يخرج عن علمه بعض الأشياء، فعلى هذا التقدير لا يعرف هذا الداعي أن الله سبحانه يعلمه ويعلم دعاءه وعلى هذا التقدير فلا يبقى في الدعاء فائدة ألبتة. واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم كيفية ثنائهم على الله تعالى حكى عنهم كيفية دعائهم وهو أنهم قالوا: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وقد مرّ تفسيره.

واعلم أنهم لما طلبوا من الله تعالى إزالة العقاب عنهم أردفوه بأن طلبوا من الله تعالى إيصال الثواب إليهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ فإن قيل: أنتم زعمتم أن هذه الشفاعة إنما حصلت للمذنبين وهذه الآية تبطل ذلك لأنه تعالى ما وعد المؤمنين بأن يدخلهم في جنّات، قلنا لا نسلم أنه ما وعدهم بذلك، لأنا بينا أن الدلائل الكثيرة في القرآن دلّت على أنه تعالى لا يخلد من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله في النار، وإذا أخرجهم من النار وجب أن يدخلهم الجنة وكان هذا وعداً من الله تعالى بأن يدخلهم في جنّات عدن، إما من غير دخول النار وإما بعد أن يدخلهم النار ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾ يعني وأدخل معهم في الجنة هؤلاء الطوائف الثلاثة، وهم الصالحون من الآباء والأزواج والذريات. والمراد بقوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ من أهل الإيمان، ثم قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وقد مرّ هذا. ثم قالوا بعد ذلك: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ يعني وقهم عذاب السيئات، وفي تفسير قوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ هو أن الملائكة طلبوا إزالة عذاب

[النار][١٤٤٢] بقولهم: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وطلبوا [إيصال][١٤٤٣] ثواب الجنة إليهم بقوله: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾، ثم طلبوا بعد ذلك أن يقيهم الله تعالى في الدنيا عن العقائد الفاسدة، وهو المراد بقوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾، ثم قالوا: ﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ يعني من تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يوم القيامة، قالوا: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع، وبأفعال حقيرة ملكاً لا تصل العقول إلى كُنْهِ جلالته"[١٤٤٤].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ "أي الحق المحتجب فهو حق في الحقيقة، ومحمد في الخليقة، فكان ظهوره به. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ المحمدي ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي ذاته الموصوفة بجميع صفاته من الله. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الممتنع بستور جلاله. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ الظاهر بعلمه. فقوله: ﴿حمٓ﴾ معناه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي الحق الباطن بحقيقته الظاهر بمحمد. ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ﴾ بظهور نوره وستره لظلمات النفوس والطبائع. ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ برجوع الحقيقة المجردة عن غواشي البدن إليه. ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للمحجوب الواقف مع الغير بالشرك غير الراجع إليه. ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ بإفاضة الكمال الزائد على نور الاستعداد الأولي على حسب قبول: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا. ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ إليه مصير الكل على كل الأحوال من الراجع

[١٤٤٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٩٣.

[١٤٤٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٩٣.

[١٤٤٤] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٧٧-٤٤٩٣.

والواقف كيف كان لا يخرج عن إحاطته شيء. ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا﴾ المحجوبون عن الحق لأن غير المحجوب يقبلها بنور استعداده من غير إنكار لصفاته. وأما المحجوب فلظلمة وخبث باطنه لا يناسب آياته فينكرها ويجادل فيها. ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ليدحض بتسويلاته الحق فيحق له العقاب.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ من النفوس الملكية السماوية الناطقة اللاتي أرجلهم في الأرضين السفلى بتأثيرهم فيها وأعناقهم مرقت إلى السماوات العلى. ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ من الأرواح المجردة القدسية. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يترهونه عن اللواحق المادية بتجرد ذواقم حامدين له بإظهار كمالاتهم المستفادة منه تعالى. ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ الإيمان الحقيقي. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالأمداد النورية لمناسبة ذواتهم ذواته في الحقيقة الإيمانية. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي شملت رحمتك وأحاط بالكل علمك. ﴿فَٱغْفِرْ﴾ بنورك ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ إليك بالتجرد عن الهيئات الظلمانية. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ بالسلوك فيك على متابعة حبيبك في الأعمال والمقامات والأحوال يتنصلون عن ذنوب أفعالهم وصفاتهم وذواتهم. ﴿وَقِهِمْ﴾ بعنايتك ﴿عَذَابَ﴾ جهنم الطبيعة.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ﴾ صفاتك ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾ بالتجرد عن الغواشي المادية واستعد بالتزكية والتحلية من أقاربهم المتصلين بهم. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على التعذيب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل ما يفعل إلا بالحكمة ومن الحكمة الوفاء بالعهد.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بتوفيقك وحسن عنايتك. ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فقد حقت له رحمتك. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لأن المرحوم سعيد، والمحجوب بهيئاته المظلمة وصفاته

المؤلمة وسواد وجهه وقبح منظره شقيّ، ومن حضرة الحق بعيد وطريد"[١٤٤٥]، هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بحقائق الأمور.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (١٧) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ كاظِمِينَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ (١٨) يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن أحوال المحجوبين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾ وفي هذا إعادة الكلام إلى وعيد الكافرين المجادلين ينادون ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾"[١٤٤٦].

[١٤٤٥] تفسير ابن عربي، ٢/١٩٢–١٩٤.

"قال مقاتل والكلبي: لما عاين الكفار النار ودخلوها مقتوا أنفسهم يعني لاموا أنفسهم، وغضبوا عليها"[١٤٤٧]. "فتقول لهم خزنة جهنم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني غضب الله، وسخطه عليها ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ يعني تجحدون، فتثبتون على الكفر، وقيل: أي أكبر من بغضكم أنفسكم في الدنيا، فإنكم بترك الإيمان فعلتم بأنفسكم فعل الأعداء وكان مقت الله لكم وقت كفركم أكبر من بعضكم أنفسكم حينئذ. وقيل: إن بغض الله لكم في الدنيا حالة الكفر [أكبر][١٤٤٨] من بغض بعضكم لبعض، وهو من قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[العنكبوت:٢٥]. ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وفي هذا إشارة إلى الإخبار عن منكري البعث بعد الموت واعترافهم به. قوله: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وهو قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[البقرة:٢٨]. ومعناه كنا أمواتا يعني نطفاً فأحييتنا، ثم أماتنا عند آجالنا، ثم أحييتنا اليوم. وقال بعضهم: إحدى الإماتتين يوم الميثاق، حين صيروا في صلب آدم، والأخرى في الدنيا عند انقطاع الأجل. وروى أسباط عن السُّدِّيّ أن إحدى الموتتين التي تنقص بها آجالهم، ثم يحييكم في القبر، ثم يميتهم، ثم يحييهم للبعث يوم القيامة وهما موتتان وحياتان، ويدل هذا على عذاب القبر. قال الإمام أبو منصور – رحمه الله–: هذا هو الأشبه والأقرب لأنهم وإن كانوا أمواتا حيث كان نطفا ففي الغالب لا يسمى ذلك ميتا، ولا يقال أمتنا. وقال محمد بن كعب القرظي: إحدى موتى الكافر حياته في الدنيا على الكفر، والثاني

[١٤٤٦] التيسير في التفسير،١٣/٩٢.

[١٤٤٧] مقاتل: *تفسير مقاتل*،٣/٧٠٧. ابن جزي: *التسهيل*،٢/٢٢٨.

[١٤٤٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

موته عند انقضاء عمره فهما موتتان، وإحدى الحياتين حياته في قبره للمسائلة، والثانية حياته للبعث. ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ يعني أقررنا بشركنا، وظهر لنا أن البعث حق. ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ يعني فهل إلى الخروج من النار طريق. ويقال: فهل من حيلة إلى الرجوع.

﴿ذَٰلِكُم﴾ يعني يقال لهم ذلك الخلود. ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ يعني إذا قيل لكم: لا إله إلا الله. ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ يعني جحدتم وأقمتم على الكفر. ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ يعني إذا دعيتم إلى الشرك وعبادة الأوثان تصدقوا به. ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ يعني القضاء فيكم ﴿لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ يعني الرفيع فوق خلقه، [القاهر لخلقه][١٤٤٩]، ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ بالقدرة، والمنزلة.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني عجائبه، ودلائله، يعني السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، وذلك أنه لما ذكر ما يصيبهم يوم القيامة، ثم عظم نفسه، ثم ذكر لأهل [مكة من][١٤٥٠] الدلائل ليؤمنوا به، وهو كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾ يعني المطر. ويقال: الملائكة [لتدبير الرزق][١٤٥١]. ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يعني ما يتعظ بالقرآن، إلا من يقبل إليه بالطاعة. ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني اعبدوا الله بالإخلاص. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ يعني وإن شق على الكافرين يعني المشركين. ويقال: وإن كرهه من خالف هذا من الجهال الذين لايتذكرون.

[١٤٤٩] في الأصل (الظاهر بخلق)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢٠٠.

[١٤٥٠] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٠٠.

[١٤٥١] في الأصل (بتدبير الخلق)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢٠٠.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي هو عالي الصفات. وقيل: هو رافع درجات عباده المطيعين له على حسب مساعيهم. ويقال: خالق السماوات ورافعها، مطبقاً بعضها فوق بعض. ويقال: هو رافع الدرجات في الدنيا بالمنازل، وفي الآخرة في الجنة [ذو][١٤٥٢] الدرجات، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ يعني رافع العرش. ويقال: خالق العرش. ويقال: هو رب العرش. ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يعني يترل الوحي، وإنما سمي به لأنه يحيي به القلب. وقيل: أي يترل جبريل، كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[الشعراء:١٩٣]. قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي بأمره. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فيختاره للرسالة. ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يعني ليخوف بالقرآن. لتنذر بالتاء على معنى المخاطبة. يعني لتنذر أنت يا محمد. وبالغائبة يعني لينذر الله تعالى. يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، واجتماع الأولين والآخرين، ويوم يلقى الإنسان عمله وجزاء عمله، ويوم يلقى ملائكة البشارة وملائكة العذاب. ﴿يَوْمَ هُم﴾ يعني يوم الخلق. ﴿بَٰرِزُونَ﴾ يعني ظاهرين خارجين من قبورهم لاسترهم شيء، لأن الأرض يومئذ قاع صفصف، لا عوج فيه ولا أمت. ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ مما عملوه على كثرتهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة:١٨]، وقال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[الطارق:٩]. ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أي ينادى فيهم ذلك اليوم: لمن المُلك اليوم؟ فيجيب العباد ذلك اليوم مؤمنهم وكافرهم: لله الواحد القهار، لزوال الشكوك منهم ووقوع المعرفة بوحدانيته، وهو إخبار بأن المُلك يوم القيامة لله وحده لأنه لا يغلب يومئذ كما يكون في الدنيا ولا يفوض إلى أحد حكم كما يكون في الدنيا، وهو كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]،

[١٤٥٢] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٠٠.

وقال: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾[الانفطار:١٩]، والقهار هو الذي يصرّف العباد على مايريد لا يمتنع عليه أحد مما أراده وبه قال بعضهم: هي النفختين يقال الرب تعالى: لمن المُلك اليوم؟ فلا يجيبه أحد فيقول لنفسه: لله الواحد القهار. وقال بعضهم: إن ذلك لأهل الجمع يوم القيامة، يقول: لمن اليوم؟ فأقروا كلهم، فقالوا: لله الواحد القهار. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ بما عملت من خير وشر. ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ تفسيرها ظاهر. ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يعني خوفهم بيوم القيامة يسمى الأزفة لقربه. يقال: أزف شخص فلان أي قربت. ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى مكانها. ﴿كَٰظِمِينَ﴾ يعني مغمومين يتردد خوفهم في أجوافهم. ويقال: كاظمين يعني ساكنين على امتلائهم في الفم. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني للمشركين. ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعني من قريب. ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ له الشفاعة فيهم. ﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ يعني هو موصول بقوله: لايخفى على الله منهم، وهو يعلم خائنة الأعين، يعني يعلم ماكان منهم من خيانة الأعين وإخفاء الصدور. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ يعني الذين يعبدونهم من دون الله لايقدرون أن يقضوا بشيء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يعني السميع لمقالة الكفار، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأعمالهم"[١٤٥٣].

[فصل في التفسير بالرأي]

[١٤٥٣] بحر العلوم،٣/٢٠٠-٢٠١.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)﴾، "اعلم أنه تعالى عاد إلى شرح أحوال الكافرين المجادلين في آيات الله وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[غافر:٤]، وبيّن أنهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي نزل بهم، ويسألون الرجوع إلى الدنيا يتلاقون ما فرط منهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾ وفيها تقديم وتأخير، وهو أن يقال: لمقت الله لكم حال ما تدعون الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم. وفي تفسير (مقتهم أنفسهم) قال بعضهم: أنهم إذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على إصرارهم على التكذيب، وهذا في الدنيا. قال محمد بن كعب: إذا خاطبهم إبليس وهم في النار بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[إبراهيم:٢٢]، ففي هذه الحالة مقتوا أنفسهم، وأما مقت الله لهم ففيه وجهان: الأول: أنه حاصل في الآخرة، والمعنى لمقت الله لهم في هذا الوقت أشد من مقتكم أنفسكم في هذا الوقت. والثاني: وعليه الأكثرون أن التقدير: لمقت الله إليكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم، وقد مرّ. وفي تفسير الألفاظ المذكورة في الآية وجوه: الأول: أن الذين كفروا ينادونهم يذكرون لهم هذا الكلام هم خزنة جهنم. الثاني: المقت وذلك في حق الله محال، فالمراد منه أبلغ الإنكار والزجر. الثالث: قوله: ﴿إِذْ

﴿تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾ فيه حذف، والتقدير: لمقت [الله][١٤٥٤] لكم إذ تدعون إلى الإيمان فتأتون بأكثر من مقتكم الآن أنفسكم.

ثم إنه تعالى بيّن أن الكفار إذا خوطبوا بهذا الخطاب ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إلى آخرها، والمعنى أنهم لما عرفوا أن الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسداً باطلاً تمنوا الرجوع إلى الدنيا لكي يشتغلوا عند الرجوع إليها بالأعمال الصالحة، وقوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إلى آخرها قد مرّ تفسيره في الأول. وقوله: ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ نعت لمصدر محذوف، والتقدير: أماته اثنتين، ثم حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ يعني لما شاهدوا الإحياء بعد الإماتة مرتين لم يبق لهم عذر في الإقرار بالبعث، فلا جرم وقع هذا الإقرار، ثم قالوا: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ يعني إلى نوع من الخروج سريع أوبطيء من سبيل، واليأس واقع فلا خروج، ولا سبيل إليه؟ وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط. واعلم أن الجواب الصريح عنه أن يقال: لا أو نعم، وهو تعالى لم يفعل ذلك بل ذكر كلاماً يدل على أنه لا سبيل لهم إلى الخروج فقال: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي ذلكم الذي أنتم فيه، و[هو][١٤٥٥] أن لا سبيل لكم إلى خروج قط، إنما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى،

[١٤٥٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٩٤.

[١٤٥٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٩٦.

[وإيمانكم][١٤٥٦] بالإشراك به. ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب، وقوله: ﴿ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ دلالة على الكبرياء والعظمة، وعلى أن عقابه لا يكون إلا كذلك"[١٤٥٧].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقًا وَما يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (١٤)﴾، "اعلم أنه تعالى لما ذكر مايوجب التهديد الشديد في حق المشركين أردفه بذكر ما يدل على كمال قدره وحكمته، ليصير ذلك دليلاً على أنه لا يجوز جعل هذه الأحجار المنحوتة والخشب المصورة شركاء لله تعالى في العبودية، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ واعلم أن أهم المهمات رعاية الأديان، ومصالح الأبدان، فهو سبحانه وتعالى راعى مصالح أديان العباد بإظهار البينات والآيات، وراعى مصالح أبدانهم بإنزال الرزق من السماء، فموقع الآيات من الأديان كموقع الأرزاق من الأبدان، فالآيات كحياة الأديان، والأرزاق كحياة الأبدان، وعند حصولهما يحصل الإنعام على أكمل الجهات وأقوى الاعتبارات. ثم قال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ والمعنى أن الوقوف على دلائل توحيد الله تعالى كالأمر المركوز في العقل، إلا أن القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصير مانعا من تجلي تلك الأنوار، فإذا أعرض العبد عنها وأناب إلى الله تعالى زال الغطاء فظهر النور التام، ولما قرر هذا المعنى صرح بالمطلوب وهو

[١٤٥٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٩٦.

[١٤٥٧] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٩٤-٤٩٦.

الإعراض عن غير الله والإقبال بالكلية على الله تعالى فقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك، ومن الالتفات إلى غير الله تعالى. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾"[١٤٥٨].

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (١٧)﴾، "اعلم أنه تعالى لما ذكر من صفات كبريائه وإكرامه كونه مظهراً للآيات مترلاً للأرزاق، ذكر في هذه الآية ثلاثة أخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُوٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ فالصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يعني يرفع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة. ويقال: رافع درجات الخلق في العلوم والأخلاق الفاضلة، فهو سبحانه عيّن لكل أحد من ملائكته درجة معينة، كما قال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[الصافات:١٦٤]، وعيّن لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١]، وعيّن لكل جسم درجة معينة، فجعل بعضها سفلية عنصرية، وبعضها كوكبية، وبعضها من جواهر العرش والكرسي، فجعل لبعضها درجة أعلى من درجة، وأيضاً جعل لكل أحد مرتبة معينة في الخلق والرزق والأجل، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[الأنعام:١٦٥] وجعل لكل أحد من السعداء والأشقياء في الدنيا درجة معينة من

[١٤٥٨] *مفاتيح الغيب*، ٤٩٧/٢٧.

موجبات السعادة وموجبات الشقاوة، وفي الآخرة يظهر آثار تلك السعادة والشقاوة، فإذا حملنا الرفيع على الرافع كان معناه ما ذكرناه، وأما إذا حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه أرفع الموجودات في جميع [صفات][١٤٥٩] الجمال والجلال، أما في أصل الوجود فهو أرفع الموجودات، لأنه واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن ومحتاج إليه، وأما في دوام الوجود فهو أرفع الموجودات، لأنه هو الأزلي الأبدي السرمدي، الذي هو أول لكل ما سواه، وليس له أول وآخر لكل ما سواه، وليس له آخر. وأما في العلم: فلأنه العالم بجميع الذوات والصفات والكليات والجزئيات، كما قال تعالى:﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]. وأما في القدرة: فهو أعلى القادرين وأرفعهم، لأن في وجوده وجميع كمالات وجوده غني عن كل ما سواه، وغيره محتاج في وجوده وفي جميع كمالات وجوده إليه. وأما في الوحدانية: فهو الواحد الذي يمتنع أن يحصل له ضدّ وندّ وشريك ونظير. فالرفيع إن فسرناه بالمرتفع، كان معناه أنه أرفع الموجودات وأعلاها في جميع صفات الجلال والإكرام، وإن فسرناه بالرافع، كان معناه أن كل درجة وفضيلة ومنقبة حصلت لشيء سواه، فإنما حصلت بإيجاده وتكوينه وفضله ورحمته. الصفة الثانية: قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ معناه أنه ملك العرش ومدبره وخالقه. الصفة الثالثة: قوله: ﴿يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ والكلام في تفسير الروح قد سبق. واعلم أن هذه الآية مشتملة على أسرار عجيبة من علوم المكاشفات، وذلك لأن كمال كبرياء الله لا تصل إليه العقول والأفهام، في الطريق الكامل في تعريفه أن يذكر ذلك الكلام على الوجه الكلي والعقلي، ثم يذكر عقيبه شيئا من المحسوسات فقوله:

[١٤٥٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٤٩٧.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ إما أن يكون بمعنى كونه رافعاً للدرجات، وهو إشارة إلى تقدير قدرة الله تعالى في إيجاد الممكنات على اختلاف درجاتها وتباين منازلها وصفاتها، إلى كونه تعالى مرتفعاً في صفاته عن كل الموجودات، فهذا كلام كل عقلي. ثم إنه سبحانه بيّن هذا الكلام الكلي بمزيد تقرير، وذلك لأن ما سوى الله سبحانه إما جسمانيات وإما روحانيات، فبيّن في هذه الآية أن كلا القسمين مسخر تحت تسخير الحق سبحانه، أما الجسمانيات فأعظمها العرش، بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ يدل على استيلائه على كلية عالم الأجسام، ولما كان العرش من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكداً لذلك المعقول، أعني قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾، وأما الروحانيات فكلها مسخّرة للحقّ سبحانه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. واعلم أن أشرف الأحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي، وإنما يتم بأركان: أولها: المرسل وهو الله سبحانه. الثاني: الإرسال والوحي وهو الذي سماه بالروح. والركن الثالث: وصول [الوحي][١٤٦٠] من الله إلى الأنبياء – عليهم السّلام– لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الملائكة، وهو المشار إليه في هذه الآية بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾. الرابع: الأنبياء – عليهم السّلام – الذين يلقي الله الوحي إليهم، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. والركن الخامس: تعيين الغرض والمقصود الأصلي من إلقاء هذا الوحي إليهم، وهو أن الأنبياء – عليهم السّلام – يصرفون الخلق من عالم الآخرة، ويحملونهم على الإعراض عن هذه الجسمانيات والإقبال على الروحانيات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الأسرار العالية من علوم المكاشفات الإلهية.

[١٤٦٠] في الأصل (الروح)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٩٩.

والاختلاف في الأقوال في معنى التلاق قد سبق في الأول، وكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ وأما بين أن الله تعالى كم عدد من الصفات في وصف يوم القيامة في هذه الآية، الصفة الأولى: كونه يوم التلاق وقد ذكرنا تفسيره. الصفة الثانية: قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ والبروز كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم، كما قال تعالى: ﴿يَومَ تُبْلَىٰ السَّرَآئِرُ﴾[الطارق:٩]، ووجه آخر في البروز أن هذه النفوس الناطقة البشرية كأنها في الدنيا انغمست في ظلمات أعماق الأبدان، فإذا جاء يوم القيامة أعرضت عن الاشتغال بتدبير الجسمانيات وتوجهت بالكلية إلى عالم القيامة ومجمع الروحانيات، فكأنها برزت بعد أن كانت كامنة في الجسمانيات مستترة بها. الصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ والمقصود منه الوعيد فإنه تعالى بيّن لهم أنهم إذا برزوا من قبورهم واجتمعوا وتلاقوا فإن الله يعلم ما فعل كل واحد منهم فيجازي كلاً بحسبه إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ. الصفة الرابعة: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ والتقدير: يوم ينادي فيه: لمن المُلك اليوم؟ واختلفوا في النداء في أي يوم: قال بعضهم: إنما يحصل يوم التلاق، ويقال: يوم البروز. ويقال: يوم تجزى كل نفس بما كسبت، والناس في ذلك [الوقت][١٤٦١] أحياء، فبطل قولهم إن الله تعالى إنما ينادي بهذا النداء [حين هلك كل من في السماوات والأرض][١٤٦٢]. ويقال: إن يوم التلاق إذا حضر الأولون والآخرون وبرزوا لله نادى مناد: لمن المُلك اليوم؟ فيقول كل الحاضرين في محفل يوم القيامة: لله الواحد القهار. فالمؤمنون يقولون تلذذاً بهذا الكلام، حيث

[١٤٦١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٠٠.

[١٤٦٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٠٠.

نالوا هذا الذكر المترلة العالية الرفيعة، والكفار يقولونه على الصغار والذلة على وجه التحسر والندامة على أن فاقم هذا الذكر في الدنيا. الصفة الخامسة من صفات ذلك اليوم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾. واعلم أنه سبحانه لما شرح صفات القهر في ذلك اليوم أردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم. الصفة السادسة من صفات ذلك اليوم: قوله تعالى: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾، ولما قال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أردفه بما يدل على أنه لايقع في ذلك الجزاء نوع من أنواع الظلم. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وذكر هذا الكلام في هذا الموضع لأنه تعالى لما بيّن أنه لاظلم، بيّن أنه سريع الحساب، وذلك يدل على أنه يصل إليهم مايستحقونه في الحال"[١٤٦٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾، "واعلم أنه تعالى وصف يوم القيامة بأنواع أخرى من الصفات المهيبة، منها: أنه تعالى قال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يوم الآزفة يوم القيامة، وقد مرّ هذا. قال أبو مسلم: يوم الآزفة يوم المنية وحضور الأجل. وتفسير قوله: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ قد سبق. قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يعني أنه تعالى بيّن أنه ليس لهم قريب ينفعهم، ولا شفيع يطاع فيهم، فيقبل شفاعته.

[١٤٦٣] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٤٩٧-٥٠٠.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ والمعنى أنه سبحانه عالم لايعرض عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب شديداً جداً.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ﴾ وهذا أيضا يوجب عظم الخوف، لأن الحاكم إذا كان عالماً بجميع الأحوال، وثبت منه أنه لا يقضي إلا بالحق [في كل][١٤٦٤] ما دقّ وجلّ، كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى. قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ واعلم أن الكفار إذا عولوا في دفع العذاب عن أنفسهم على شفاعتهم هذه الأصنام، وقد بيّن الله تعالى أنه لا فائدة فيها فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ إلى آخرها. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١٤٦٥] أي يسمع من الكفار ثناءهم على أصنامهم، ولا يسمع منهم ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم وسجودهم لهذه الأصنام، ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله تعالى.

واعلم أنه تعالى ذكر في الآية الأسباب الموجبة للخوف: أولها: ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾، وإنما سمي ذلك اليوم الآزفة يوم القرب من عذابه لمن ابتلي بالذنب العظيم، لأنه إذا قرب زمان عقوبته كان في أقصى غايات الخوف. والثانية: قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ والمعنى أنه بلغ ذلك الخوف إلى أن يقتلع القلب من الصدر وارتفع إلى الحنجرة والتصق بها، صار مانعا من دخول النفس. والثالثة: قوله: ﴿كَٰظِمِينَ﴾ والمعنى أنه لا يمكنهم أن ينطقوا وأن يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف، وذلك يوجب مزيد القلق والاضطراب. والرابعة: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ

[١٤٦٤] في الأصل (فكل)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٥.

[١٤٦٥] في الأصل (السميع العيم)، وهو خطأ في كتابة الآية.

مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ﴾ ومعناه قد مرّ. والخامسة: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَما تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[١٤٦٦] وقد تقدم الكلام. والسادسة: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ وتفسيره قد مرّ. والسابعة: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ ومعناه قد سبق. والثامنة: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وهذه الأحوال الثمانية إذا اجتمعت في حق المذنب الذي عظم ذنبه كان بالغاً في التخويف إلى الحد الذي لا تعقل الزيادة عليه"[١٤٦٧].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ "أي الذين حجبوا وحرموا عن الألطاف الإلهية والأنوار الربانية. مقتوا أنفسهم فينادى: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إذ هو نور الأنوار، وكلما كان الشيء أشد نورية وأكثر ضوءا فهو أبعد مناسبة من الجواهر المظلمة الكدرة، فيكون أشد مقتا له، ومقته لذاته ناشئ من النور الأصلي الاستعدادي لانطباع محبة النور في أصل الاستعداد النوري، بل النور لذاته محبوب والظلمة مبغوضة.

﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أي كبر مقته إياكم وقت احتجابكم عنه وعدم قبولكم للدعوة إلى الإيمان التوحيدي أو لاحتجابكم للدعوة الإيمانية.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي أنشأتنا أمواتا مرتين. ﴿وَأَحْيَيْتَنَا﴾ في النشأتين ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ عند وقوع [العقاب][١٤٦٨] المرتب عليها. ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب السرمدي والمقت الأكبر

[١٤٦٦] سقط من الأصل (الأعين)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٤٦٧] مفاتيح الغيب، ٢٧/٥٠١–٥٠٥.

[١٤٦٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *تفسير ابن عربي*، ٢/١٩٤.

بسبب شرككم واحتجابكم عن الحق بالغير. ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ بعقابكم الأبدي، ولاسبيل إلى النجاة، لعلوه وكبريائه، فلا يمكن لأحد رد حكمه وعقابه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ آيات صفاته بتجلياته. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم﴾ من سماء الروح. ﴿رِزْقًا﴾ حقيقيا وهو العلم الذي يحيا به القلب ويتقوى. ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أحواله السابقة بذلك الرزق. ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ إليه بالتجرد وقطع النظر عن الغير، فأنيبوا إليه لتتذكروا بتخصيص العبادة وإخلاص الدين عن شوب الغيرية، وتجريد الفطرة عن النشأة، ولوأنكر المحجوبون وكرهوا.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي رفيع درجات غيوبه من المقامات التي يعرج فيها السالكون إليه. ﴿ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي المقام الأرفع المالك للأشياء كلها. ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ أي الوحي والعلم اللدني الذي تحيا به القلوب الميتة من عالم ﴿أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الخاصة به أهل العناية الأزلية. ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ﴾ القيامة الكبرى الذي يتلاقى فيه العبد والربّ بفنائه فيه.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ عن حجاب الأنيات، وغواشي الأبدان. ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ مما ستروا من أعمالهم، كما قالوا: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾[الكهف:٤٩].

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ينادي به سبحانه عند فناء الكل، فيجيب هو وحده: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ﴾ الذي لا شيء سواه. ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ الذي أفنى الكل بقهره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لوقوعه دفعة باقتضاء سيئاتهم المكتوبة في صحائف نفوسهم، واقتضاء حسناتهم ثمراتها.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ أي الواقعة القريبة وهي القيامة الصغرى. ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ لشدة الخوف. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أي الذين حجبوا عن الألطاف الإلهية، والإلهامات الربانية، والكشوف، والحقائق، والمشاهدات، وماله من قريب من أقربائه، ولا قرين من قرنائه يشفعون لهم ولايمكن لهم الشفاعة. ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾ والله تعالى يعلم من هو الذي عبد الهوى والدنيا وشهواتها. ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ من وساوس. ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ بالطرد والرد والتبعيد. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ لا يملكون ضرهم ولا نفعهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾"[١٤٦٩]. هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿أَوَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ (٢١) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلى فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٢٥) وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ (٢٦) وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (٢٧) وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ

[١٤٦٩] تفسير ابن عربي، ٢/١٩٤-١٩٦.

بِمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ (٢٨) يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَرى وَما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ (٢٩) وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ (٣١) وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ (٣٥) وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (٣٦) أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبابٍ (٣٧) وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ (٣٨) يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ (٤٠)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن تخويف عقوبات الدنيا بعد تخويف عقوبات العقبى بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أو لم يسيروا في الأرض فيعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وذلك أنهم كانوا يمرون بديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم في جوار بلادهم، وكان شأن بعضهم معلوما عندهم عيانا، وبعضهم خبرا. ﴿كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ في أبدانهم وعلى أعدائهم بعدّتهم. ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي وأكثر آثارا من الأبنية ونحوها، كما قال في آية أخرى: ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[الروم:٩]. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي عاقبهم وأهلكهم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي و لم يكن لهم شيء من الأشياء يقيهم عذاب الله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا﴾ أي أن هذا العذاب الذي أحله الله بهم، لأنهم كذبوا الرسل وجحدوا الآيات. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني عاقبهم. ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ قادر على كل شيء. ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذا عاقب"[١٤٧٠].

"﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ السبع. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يعني بحجة بينة. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يعني لم يصدقوا موسى. وقوله: ﴿بآيَاتِنَا﴾ أي بالعلامات الدالة على صدقه، وهي المعجزات الظاهرة. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وهي المعجزات القاهرة. وقيل: الآيات التوراة، وإنما خص قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ بالذكر، لأن فرعون كان ملكهم، وهارون وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز. وكان موسى – عليه السّلام – مبعوثا إلى كل القوم لكنهم يديروا أمورهم، فكان خطابهم خطابه. ﴿فَقَالُواْ

[١٤٧٠] التيسير في التفسير،١٣/١٠١-١٠٣.

سَٰحِرٞ﴾ أي هو ساحر موّهوا بذلك على قومهم حين أتى بالمعجزات لأن لايتبعوه. وقالوا أيضا: ﴿كَذَّابٞ﴾ للتنفير، يعيبون في دعوى الرسالة والدعاء إلى التوحيد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وهو التوحيد الذي يحق أن يعتقد. ويقال: بالحق أي بالصدق فيما أخبر عنه. وقيل: بالمعجزة. ﴿قالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ لئلا يعتضدوا بمن يشاء من ذكران أولادهم. ﴿وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾ أي واستبقوا بناتهم إذ لا يقع بين اعتضاد وقوة، ولا تقتلوهن لأنا ننتفع بخدمتهن. ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي في بطلان لم يحصل غرضهم بما دبروا.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ يعني خلوا عني لأقتل موسى. ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ يعني ليدعوا موسى لكي يمنعه عني، وذلك أن قومه كانوا يقولون: أرجه وأخاه ولا تقتله حتى لا يفسد عليك المُلك. فقال فرعون: ذروني أقتل موسى فإني أعلم أن صلاح مُلكي في قتله. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ يعني إن لم أقتله أن يكثر مستجيبوه بسحر ويموهه فيغلب دينه على دينكم، يعني عبادتهم إياه. ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ وهو التعارض بين الفريقين، والاختلاف بين الناس.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ يعني ولما سمع موسى قول فرعون هذا وبلغه منه ذلك، قال لقوم فرعون: استعذت بالله الذي هو ربي وربكم. ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ﴾ وفرعون كذلك، فأعوذ منه. وفيه بيان أن الواجب على العبد أن يستعيذ بالله من كل عدو ويستعين به في درك كل مرجوّ.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ يعني من أهل بيته. وقيل: ابن عمه. وكان خازن فرعون مائة سنة، وكان أبوه من آل فرعون، وأمه من بني إسرائيل، واسمه حزئيل. ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ يعني وقد كان أسلم سرا من فرعون، ثم أظهر إيمانه، وجادل فرعون وقومه بعد كتمان إيمانه مدة، وقتله فرعون مع السحرة. ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ يعني بأن يقول: ربي الله، وهذا القول لا يوجب القتل. ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي بالحجج والمعجزات، فالحجج ماذكر في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣] الآيات. وأما [البينات][١٤٧١] فهي اليد والعصا. وروى الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمر: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ فقال: [أقبل][١٤٧٢] عقبة بن أبي معيط، ورسول الله ﷺ عند الكعبة، فلّوى ثوبه وخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ، ثم قال أبو بكر: يا قوم أتقتلون رجلا أن يقول: ﴿[رَبِّيَ ٱللَّهُ][١٤٧٣] وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؟. ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ يعني فعليه وبال كذبه فلا ينبغي أن يقتلوه بغير حجة ولا برهان. ﴿وَإِن يَكُ﴾ في قوله فكذبتموه. ﴿صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب. وقيل: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وكماله في الآخرة. ويقال: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ يعني كل الذي يعدكم، كقوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ

[١٤٧١] في الأصل (اليد)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢٠٤.

[١٤٧٢] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٠٤.

[١٤٧٣] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٠٤.

﴿فِيهِۖ﴾[الزخرف:٦٣]، أي كله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ يعني لا يرشد ولا يوفق إلى دينه. ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ بالافتراء عليه فيما يضيفه إليه.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني أنتم اليوم ملوك هذه البلاد، ولكم الغلبة على أهلها تصرفونهم على ماتريدون ويطيعونكم فيما تأمروهم. وهل فيكم وفيمن يملكونهم من العذاب مانع من عذاب إن جاءنا إن كان موسى صادقا فأصابنا ماوعدنا فذلك قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ وهو كقوله: ﴿مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ فإذا لم يكن ناصر فلا معنى للتعرض لما لايمكننا دفعه، وهذا الرجل كتم إيمانه مدة حين خاف على نفسه، فدل ذلك على أنه يباح إخفاء الإسلام وإظهار كلمة الكفر عند خوف الهلاك على نفسه، وذاك واجب وهو السعي في دفع الهلاك عن الأنبياء فلا يسمع فرعون قول المؤمن. ﴿قَالَ﴾ يعني قال ﴿فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ يعني ما أريكم من الهدى إلا ما أرى لنفسي. ويقال: ما آمركم إلا ما رأيت لنفسي أنه حق وصواب. ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ يعني ما أدعوكم إلا [إلى][١٤٧٤] طريق الهدى. وهو ما أقول من قتل موسى. وكذب عدو الله فإنه لم يختر لهم مايختار لنفسه، فإنه اختار لنفسه أن يكون معبودا لهم، واختار لهم أن يكونوا عابدين له وهداهم سبيل الضلال دون سبيل الهدى. قال فرعون: وأضل فرعون وماهدى. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ يعني حزئيل. ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ يعني إني أخاف عليكم من تكذيبكم رسوله مثل يوم الكفار الذين تحزبوا على الأنبياء وتجمعوا

[١٤٧٤] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٠٤.

عليهم بالتكذيب. ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي مثل سنة الله في هؤلاء بإنزال العذاب عليهم لما كذبوا رسله. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ مثل قوم لوط وقوم شعيب والأمم بعدهم. ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبادِ﴾ أي وماالله يريد أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب، وهذه الآية في عذاب الدنيا.

ثم قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ﴾ يعني إني أخاف إن أصررتم على الكفر، ومتم عليه عذاب يوم الأخرة، وهو من النداء يعني ينادى كل قوم بأعمالهم، وينادي المنادي من مكان بعيد، وينادي أهل النار أهل الجنة، وينادي أهل الجنة أهل النار: أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ يعني يلتمسون الفرار مما يعاينون من العذاب، فيقال لهم: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعني ليس لكم من عذاب الله مانع. وهو كقوله: ﴿يَقُولُ ٱلإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾[القيامة:١٠]. وقيل: يوم ينصرفون من الحساب مدبرين عنه إلى النار لا يعصمهم من عذابها عاصم. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي ومن يضلل الله عن الدين فلا مرشد له إليه. وقيل: من يهلكه الله فماله من مخلص.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا قول حزئيل لقوم فرعون. ويقال: يعني به أهل مصر، وهم الذين قبل فرعون، لأن القرن الذي كان في زمان فرعون لم يروا يوسف، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾[البقرة:٩١]، وإنما أرادوا به آباءهم. ﴿بِالْبَيِّناتِ﴾ يعني بتعبير الرؤيا. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَآءَكُمْ بِهِ﴾ من تصديق الرؤيا. ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ يعني مات. ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي من يدعي الرسالة،

لأن لا يأتي أحد بمثل ما أوتي به يوسف من المخاريق. وقيل: ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ كان تمنيا منهم بعث رسول وتأسفا على فوت يوسف النبي – عليه السّلام –. ﴿كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ يعني كذلك نخذل من أسرف وارتاب ولا يوفقه إذا علم منه اختيار الضلالة ولزوم الجهالة. ويقال: كذلك يضل الله من هو مشرك، شاك في توحيد الله تعالى.

ثم وصفهم فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ يعني بغير حجة. ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني عظم بغضا لهم وغضبا من الله. ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني عند المؤمنين. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يعني كذلك يختم الله بالكفر. ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ يعني متكبرا عن عبادة الله.

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ أي بناء عاليا طويلا على هيئة القصر، أي قال فرعون حين حاجّه حزئيل بهذه الحجة، وخاف على القوم اتّباعه، وأراد تلبيس الأمر علي الضعفه لوزيره هامان: ابن لي صرحا أي قصرا مشيدا. ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ (٣٦) أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي أبواب السماوات وطرقها الموصلة إليها. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ يعني أنظر إلى إله موسى الذي يزعم أنه أرسله. ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا﴾ يعني لأحسب موسى كاذبا. ويقال: لأتيقن لكون موسى كاذبا فيما يدعيه، لكن أفعل هذا لإزالة الشبهة عمّن لا يتيقن بتيقني. ﴿وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي وكالذي ذكرناه زين لفرعون سوء عمله في الشرك والتكذيب والجدال في آيات الله. ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: بضم الصاد، أي منع. وقرأ الباقون بفتحها، أي أعرض. والسبيل هو الطريق الحق

لأنه ما يفضي بسالكه إلى المقصود، فما لايفضي بسالكه إلى الصواب فليس بسبيل. ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ أي وما صنيع فرعون إلا في خسارة في الآخرة. يعني إن فرعون اختار متاعا قليلاً، وترك الجنة الباقية، فكان عمله في الخسارة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ وهو حزبيل. ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ يعني أطيعوني حتى أرشدكم، وأبيّن لكم دين الصواب.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يعني قليلا. ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ يعني دار الآخرة هي دار القرار لا زوال لها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها﴾ يعني من عمل الشرك فلا يجزى إلا النار في الآخرة. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني من رجل وامرأة. ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني بغير مقدار. وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى قال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ ولم يقل من ذكر أو أنثى. وقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى﴾ لأن العمل الصالح يَحْسُن من الرجل، والمرأة. والسيئة من الرجل قبيح، ومن المرأة أقبح، فلم يذكر من ذكر وأنثى"[١٤٧٥].

[فصل في التفسير بالرأي]

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ (٢١)

[١٤٧٥] بحر العلوم،٣/٢٠٥-٢٠٧.

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (٢٢)﴾، "والمعنى أن العاقل من اعتبر بغيره، فإن الذين مضوا من الكفار كانوا [أشد][١٤٧٦] قوة من هؤلاء الجاحدين من الكفار، وأقوى آثاراً في الأرض منهم، والمراد حصونهم وقصورهم وعساكرهم، فلما كذبوا رسلهم أهلكهم بضروب الهلاك معجلاً حتى إن هؤلاء الجاحدين من الكفار يشاهدون تلك الآثار، فحذرهم الله تعالى من مثل ذلك بهذا [القول][١٤٧٧]. وبيّن بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[١٤٧٨] فلما نزل العذاب بهم عند أخذه تعالى لهم لم يجدوا من يعينهم ويخلصهم.

ثم بيّن أن ذلك نزل بهم لأجل أنهم كفروا وكذبوا الرسل، فحذر [قوم][١٤٧٩] الرسول من مثله، وختم الكلام بأنه ﴿قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ مبالغة في التحذير والتخويف. قراءة ابن عامر (منكم) في قوله: ﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنكُمْ﴾ بالكاف، والباقون بالهاء. أما وجه قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب، والوجه في جنس هذا الخطاب أنه في شأن أهل مكة، فجعل الخطاب على لفظ المخاطب الحاضر بحضورهم، وأما قراءة الباقين على لفظ الغيبة فلأجل موافقة ما قبله من ألفاظ الغيبة"[١٤٨٠].

[١٤٧٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٥.

[١٤٧٧] في الأصل (الفرق)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٥.

[١٤٧٨] سقط من الأصل (كان)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٤٧٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٥.

١٤٨٠ *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٥.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلى فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٢٥) وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ (٢٦) وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (٢٧)﴾، "واعلم أنه تعالى لما تسلى رسوله ﷺ بذكر الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم، سلاه أيضاً بذكر قصة موسى –عليه السّلام–، وأنه مع قوة معجزاته بعثه إلى فرعون، وهامان، وقارون، فكذبوه وكابروا، وقالوا هذا ساحر كذاب. واعلم أن موسى –عليه السّلام– لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة، وبالنبوّة وهي المراد بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا﴾ حكى الله تعالى عنهم ما صدر من الجهالات، فالأول: أنهم وصفوه بكونه ساحراً كذاباً، وهذا في غاية الجهالة، لأن تلك المعجزة كانت قد بلغت في القوة والظهور إلى أنه حيث يشهد كل عقل سليم بأنه ليس من السحر ألبتة. الثاني: أنهم قالوا: ﴿اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ﴾ والصحيح أن هذا القتل غير القتل الذي وقع في وقت ولادة موسى –عليه السّلام–، لأن في ذلك الوقت أخبره المنجمون بولادة عدوله يظهر عليه، فأمر بقتل الأبناء ذلك الوقت، وأما في هذا الوقت موسى –عليه السّلام– قد جاءه وأظهر المعجزات الظاهرة، فعند هذا أمر بقتل الأبناء الذين آمنوا معه كيلا ينشئوا على دين موسى فيقوى بهم، وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات، فلهذا أمر بقتل الأبناء. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ومعناه أن جميع ما يسعون فيه من مكايدة موسى ومكايدة من آمن معه يبطل، لأن ما يفتح الله للناس من رحمة

فلا ممسك لها. الثالث: من قبائح أفعال أولئك الكفار مع موسى -عليه السّلام- ما حكاه الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ وهذا الكلام كالدلالة على أنهم كانوا يمنعونه من قتله، وفيه احتمالان: الأول: أنهم منعوه من قتله من وجوه: الأول: أنه كان فيهم من يعتقد في كون موسى -عليه السّلام- صادقاً، فيأتي بوجوه الحيل في منع فرعون من قتله. الثاني: قال الحسن: أن أصحابه قالوا له لا تقتله فإنما هو ساحر ضعيف، وإن قتلته أدخلت الشبهة على الناس، وقالوا إنه كان محقاً وعجزوا عن جوابه فقتلوه. الثالث: لعلّهم كانوا يحتالون في منعه من قتله، لأجل أن يبقى مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لأولئك الأقوام، فإن من شأن [الأمراء][١٤٨١] أن يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا آمنين. والاحتمال الثاني: أن أحداً ما منع فرعون من قتل [موسى][١٤٨٢] وأنه كان يريد أن يقتله إلا أنه كان خائفاً من أنه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فلأجل ذلك قال: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾[١٤٨٣] وغرضه إخفاء خوفه.أما قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنما ذكره على سبيل الاستهزاء، يعني أني أقتله فليقل لربه أن يخلصه مني. وأما قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فإن المقصود من هذا الكلام بيان السبب الموجب لقتله، وهو أن وجوده يوجب إما فساد الدين أو فساد الدنيا، [أما فساد الدين][١٤٨٤] فلأن القوم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه، فلما كان موسى -عليه السّلام- ساعياً في إفساده كان في اعتقادهم أنه

[١٤٨١] في الأصل (الأمر)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٧.

[١٤٨٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٧.

[١٤٨٣] سقط من الأصل (موسى)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٤٨٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٨.

ساع في إفساد الدين الحق، وأما فساد الدنيا فهو أنه لا بد وأن يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سبباً لوقوع الخصومات وإثارة الفتن، ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾. واعلم أنه تعالى لما حكى عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى –عليه السّلام– فحكى عنه فقال: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ والفائدة في قول موسى –عليه السّلام–: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ أن موسى –عليه السّلام– اعتمد على فضل الله تعالى فلا جرم صانه الله عن كل بلية، وأوصله إلى كل أمنية. وعلم أن هذه الكلمات التي ذكرها موسى –عليه السّلام– تشتمل على فوائد: الأولى: أن لفظة ﴿إِنِّي﴾ تدل على التأكيد فهذا يدل على أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس والاعتماد على الله والتوكل على عصمة الله. الثانية: أنه قال: ﴿عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ فكما أن عند القراءة يقول المسلم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فالله تعالى يصون دينه وإخلاصه عن وساوس شيطان الجن، فكذلك عند توجه الآفات من شياطين الإنس إذا قال المسلم: أعوذ بالله، فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات. الثالثة: قوله: ﴿بِرَبِّي﴾ والمعنى كأن العبد يقول: إن الله سبحانه هو الذي رباني وإلى درجات الخيرات رقاني، ومن الآفات وقاني. الرابعة: أن قوله:﴿وَرَبِّكُم﴾ فيه نعت لقوم موسى على أن يقتدوا به في الاستعاذة بالله، والمعنى فيه أن الأرواح الطاهرة القوية إذا تطابقت على [همة][١٤٨٥] واحدة قويت ذلك التأثير جداً، وهذا هو السبب الأصلي في أداء الطاعات في الجماعات.

[١٤٨٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٨.

الخامسة: أنه لم يذكر فرعون في هذا الدعاء، لأنه قد سبق له حق تربيته على موسى -عليه السّلام-، فترك التعيين رعاية لذلك الحق. السادسة: أن فرعون وإن كان قد أظهر ذلك الفعل إلا أنه لا فائدة في الدعاء على فرعون، بل الأولى الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفاً بتلك الصفة، حتى يدخل فيه كل من كان سواء كان مظهراً لتلك العداوة أو كان مخفياً لها. السابعة: أن الموجب للإقدام على إيذاء الناس أمران: أحدهما: كون الإنسان متكبراً قاسي القلب. والثاني: كونه منكراً للبعث والقيامة، وذلك لأن المتكبر القاسي قد يحمله طبعه على إيذاء الناس إلا أنه إذا كان مقراً بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعاً له عن الجري على موجب تكبره، فإذا لم يحصل عند الإيمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له إلى الإيذاء والمانع هو الخوف من السؤال والحساب، وإذا كان الخوف زائلاً فلا جرم تعظم القسوة والإيذاء. والفائدة الثامنة: أن فرعون لما قال: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ على سبيل الاستهزاء، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فقال موسى -عليه السّلام-: إن الذي ذكرت بطريق الاستهزاء هو الدين المبين، وأنا أدعو ربي وأطلب منه أن يدفع الشرك عني، وسترى أن ربي كيف يقهرك، وكيف يسلطني عليك. واعلم أن من أحاط بهذه الفوائد علم أنه لا طريق أصلح ولا أصوب في دفع كيد الأعداء وإبطال مكرهم إلا الاستعاذة بالله والرجوع إلى حفظ الله تعالى"[١٤٨٦].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

[١٤٨٦] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٠٧-٥٠٩.

يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، "واعلم أنه تعالى لما حكى عن موسى –عليه السّلام– أنه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله تعالى، بيّن أنه تعالى قيّض إنساناً أجنبياً غير موسى –عليه السّلام– حتى اجتهد في إزالة ذلك الشر. فقال رجل مؤمن من آل فرعون، واختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل [فرعون][١٤٨٧] ، فقيل: إنه كان ابن عمه، وقد سبق. وقيل: كان قبطياً من قوم فرعون وما كان من أقاربه. وقيل: إنه من بني إسرائيل. والقول الأول أولى لأنه قال تعالى: ﴿إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ﴾[١٤٨٨][القمر:٣٤]، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن من آل فرعون الذي [قال][١٤٨٩]: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، والثالث علي ابن أبي طالب وهو أفضلهم"[١٤٩٠]. وعن جعفر بن محمد أنه قال: كان أبو بكر خيراً من [مؤمن][١٤٩١] آل فرعون لأنه كان يكتم إيمانه، وقال أبو بكر جهاراً: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[١٤٩٢]. وقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ استفهام بمعنى الإنكار. وقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ يعني إن كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عليه فاتركوه، وإن كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم، فثبت على كل التقديرين كان الأولى إبقاؤه حيا.

[١٤٨٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥٠٩/٢٧.

[١٤٨٨] سقط من الأصل (إلا)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٤٨٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥٠٩/٢٧.

[١٤٩٠] أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت. ٤٣٠هـ)، *معرفة الصحابة*، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض، ط (١)، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ٨٦/١، رقم (٣٤٠)، و ٢٨٠٦/٥، رقم (٦٦٤٩). الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*،٥٣٠/١، رقم (٣٥٥). وهو حديث موضوع.

[١٤٩١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥٠٩/٢٧.

[١٤٩٢] سقط من الأصل (ربي)، وهو خطأ في كتابة الآية.

ثم حكى تعالى عن هذا المؤمن فقال: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ وتقرير هذا الدليل أن يقال: إن الله تعالى هدى موسى إلى الإتيان بهذه المعجزات، ومن هداه بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاباً، فهذا يدل على أن موسى -عليه السّلام- ليس من الكذابين، وكان قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ إشارة إلى علو شأن موسى -عليه السّلام-. ويحتمل أيضاً أن المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على ادعاء الإلهية، والله لا يهدي من هو شأنه وصفاته، بل يبطل ويهدم أمره"[١٤٩٣].

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرى وَمآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ (٢٩) وَقالَ الَّذِي آمَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ (٣١) وَيَٰقَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾، "اعلم أن مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الإقدام على قتل موسى، خوفهم في ذلك العذاب، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه، فإنه لا قِبَلَ لكم به، ولما قال ذلك المؤمن [هذا الكلام][١٤٩٤]،﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرَىٰ﴾ أي لا أشير

[١٤٩٣] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٠٩-٥١٠.

[١٤٩٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥١١/٢٧.

إليكم برأي سوى ما ذكرتم أنه يجب قتله حسماً لمادة الفتنة،﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ والصلاح. واعلم أنه تعالى حكى عن هذا المؤمن أنواعاً من الكلمات ذكرها لفرعون: فالأول: قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيۡكُمۡ مِثۡلَ يَوۡمِ الۡأَحۡزابِ﴾، ثم فسّر قوله:﴿إِنِّي أَخافُ عَلَيۡكُمۡ مِثۡلَ يَوۡمِ الۡأَحۡزابِ﴾ بقوله: ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ ودأب هؤلاء في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي، ثم خوفهم أيضاً بهلاك الآخرة، وهو قوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنۡ هَادٍ﴾ والمقصود التنبيه على عذاب الآخرة. النوع الثاني من كلمات ذلك [المؤمن][١٤٩٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ﴾ يعني أن تدمير أولئك الأحزاب كان عدلاً، لأنهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للأنبياء. النوع الثالث من كلمات ذلك المؤمن قوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ التَّنادِ﴾ يعني ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور فيقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾[الأنبياء:١٤]، ويقال ينادي المؤمن: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾[الحاقة:١٩]، والكفار: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾[الحاقة:٢٥]، ويقال: ينادى باللعنة على الظالمين. ثم قال: ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ وهو بدل من قوله: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنادِ﴾ يعني منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، وعن مجاهد: فارين عن النار غير معجزين، ثم أكد التهديد فقال: ﴿مَا لَكُمۡ مِّنَ اللهِ مِنۡ عَاصِمٍ﴾ ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنۡ هَادٍ﴾"[١٤٩٦].

[١٤٩٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥١١.

[١٤٩٦] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥١٠-٥١١.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، "اعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ذكر لهذا مثالاً، وهو أن يوسف جاءهم بالبينات الباهرة، و لم ينتفعوا بتلك الدلائل، فهذا يدل على أن من أضله الله فما له من هاد. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ وقد تقدم الكلام في تفسير هذه الآية في الأول. ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وتفسيره قد مرّ. ثم قال: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يَا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (٣٦) أَسْبابَ السَّماوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً﴾، يعني أظن موسى كاذبا في ادعائه في أن الإله موجود، وذلك يدل على أن دين موسى هو أن الإله موجود في السماء في اعتقاد فرعون مع أن موسى -عليه السّلام- لم يزد في تعريف الإله فقال في سورة طـه: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٥٠] وقال في سورة الشعراء: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:٢٦]، وقال: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾[الشعراء:٢٨]، فظهر أن تعريف ذات الله بكونه في السماء دين فرعون، وتعريفه

[بالخلاقية][١٤٩٧] والموجودية دين موسى -عليه السّلام-. وأما قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا﴾[١٤٩٨] فلعله لما سمع موسى -عليه السّلام- قال: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ظن أنه عنى به أنه رب السماوات، كما يقال للواحد منا إنه ربّ الدار بمعنى كونه ساكناً فيه، فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه، وهذا ليس بمستبعد، فإن قيل: ما فائدة هذا التكرير؟ ولو قيل: لعلي أبلغ السماوات، كان كافياً؟ والجواب عنه: أنه إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه، فلما أراد تفخيم أسباب السماوات أبهمها ثم أوضحها. وقوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ عطف على (أَبْلُغُ) بضم عين (أَطَّلِعُ)، ومن نصب جعله جواباً، والمعنى لعلي أبلغ الأسباب فمتى بلغتها اطلعت. واعلم أنه تعالى لما حكى عن فرعون هذه القصة قال بعد ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقد مرّ تفسيره. ثم قال: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ ونظيره قوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[هود:١٠١]"[١٤٩٩].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يٰقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾، "اعلم أن هذا من بقية الكلام الذي آمن من آل فرعون، وقد كان يدعوهم إلى الإيمان بموسى. وأنه مناد قومه ثلاث مرات: في المرة الأولى دعاهم إلى قبول ذلك الدين على سبيل

[١٤٩٧] في الأصل (بالخلاف)، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥١٥/٢٧.

[١٤٩٨] في الأصل (وإني لأظنه من الكاذبين)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٥١٥/٢٧.

[١٤٩٩] *مفاتيح الغيب*،٥١٢/٢٧-٥١٦.

[الإجمال، وفي المرتين الباقيتين على سبيل][١٥٠٠] التفصيل. أما الإجمال فهو قوله: ﴿يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، وأما التفصيل فهو قوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾، وقوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ﴾ إلى آخرها. ومعنى قوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّما هَٰذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيَا﴾ أن يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة، ثم تنقطع وتزول، وأما في الآخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام، وحاصل الكلام أن الآخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة، والدائم خير من المنقضي، وقال بعض العارفين: لو كانت الدينا ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً، لكانت الآخرة خيراً من الدنيا، فكيف والدنيا خزف فان، والآخرة ذهب باق. واعلم أن الآخرة كما أن النعيم فيها دائم فكذلك العذاب، فكان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب من العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب.

ثم بيّن كيفية تحصيل المجازاة في الآخرة، وأشار فيه إلى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزىَ إلاَّ مِثْلَهاَ﴾ والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق، وهو النار، فإن قيل كيف يصح هذا الكلام، مع أن الكفر ساعة يوجب عقاب الأبد؟ قلنا إن الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وإيماناً فلهذا السبب يكون الكافر على عزم أن يبقى على ذلك الاعتقاد أبداً، فلا جرم كان عقابه مؤبداً.

واعلم أن الله تعالى بيّن بعد ذلك جزاء حسنة غير مقصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

[١٥٠٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٥١٨/٢٧.

﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ واختلفوا في تفسير قوله:﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فمنهم من قال: لما كان لا نهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب، وقال الآخرون: أنه تعالى يعطيهم ثواب أعمالهم ويضم إلى ذلك الثواب من أقسام التفضل ما يخرج عن الحساب. وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ واقع في مقابلة ﴿إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير، لئلا يزيد على الاستحقاق، فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة، وهذا يدل على أن جانب الرحمة والفضل راجح على جانب العقاب"[١٥٠١].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ قال في [ابن عربي][١٥٠٢] كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[غافر:٢٨]. "أي الإضلال والخذلان كل واحد منهما مرتب على الرذيلتين العلمية والعملية، فإن الكذب والارتياب كلاهما من باب رذيلة القوة النطقية لعدم اليقين والصدق والإسراف عن رذيلة القوتين الأخريين والإفراط في أعمالهما. والصرح الذي أمر فرعون هامان ببنائه هو قاعدة الحكمة النظرية من العبادات الفكرية، فإن القوم على ماسمعنا كانوا منطقيين محجوبين بعقولهم المشوبة [بالوهم غير المنورة][١٥٠٣] بنور الهداية، أراد أن يبلغ طرق سماوات الغيوب ويطلع على ألطاف الحضرة بطريق النظر دون السلوك في الله بالتجريد والمحو والفناء لاحتجابه بأنائيته وعلمه، قال:

[١٥٠١] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥١٨-٥١٩.

[١٥٠٢] في الأصل (التأويلات)، والصحيح أن هذا القول ليس مذكورا في كتاب (التأويلات)، ولكنه مذكور في التفسير المنسوب لابن عربي.

[١٥٠٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *تفسير ابن عربي*،٢/١٩٦.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا﴾ في ذلك بطريق الفكر بدون السلوك والمجاهرة. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك التزيين والصدّ. ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ لاحتجابه بصفة نفسه ورذائله. ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ لخطئه في فكره، ونظره لشدة ميله إلى الدنيا ومحبته إياها بغلبة الهوى بخلاف حال الذي آمن [حيث][١٥٠٤] حذر أولا من الدنيا بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ لسرعة زوال الأولى وبقاء الأخرى دائما"[١٥٠٥]. والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (٤٤) فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ مَا مَكَرُوا وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ (٤٧) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيها إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ (٤٨) وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ (٤٩) قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا

[١٥٠٤] سقط من الأصل، وكتبتها من تفسير ابن عربي،٢/١٩٦.

[١٥٠٥] تفسير ابن عربي،٢/١٩٦.

فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ (٥٣) هُدىً وَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (٦٠)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن النداء الثالث التفصيلي بقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ يعني أن حزبيل قال: ما لي أدعوكم إلى التوحيد، وإلى الطاعة، وذلك سبب النجاة، والمغفرة، فلم تطيعوني. ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ يعني إلى عمل أهل النار، وهو قول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرى وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ وكان ذلك دعاء إلى الكفر، وهو معنى قوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ يعني ما ليس لى به حجة بأن مع الله شريكاً. ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ يعني العزيز في ملكه، الغفار لمن تاب. ويقال: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ أي إلى دين الله العزيز المنيع الذي لا يغالب إذا عاقب

الكفار، الغفار الذي يغفر للمؤمنين بالتوبة والاستغفار. وقيل: العزيز الغني بعزته عن الشركاء والأنداد، الغفار المتفضل بعفوه ومغفرته على العباد.

﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمة تحقيق، يعني حقا. ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ أي إلى عبادته من دون الله. ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي لاينتفع بها في الدنيا ولا في الآخرة فوجودها كعدمه. ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى اللَّهِ﴾ أي مرجعنا إلى جزائه. ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني المجاوزين حدود الشرع بتكذيب الأنبياء، والجدال في آيات الله، ودعاء الناس إلى عبادة غير الله. ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ دائمون فيها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ إذا رددنا إلى الله. ويقال: فستذكرون أي فستعرفون إذا نزل بكم العذاب، وتعلمون أن ما أقول من النصيحة حق. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني أمر نفسي إلى الله، وأدع تدبيري إليه. وتوكلت عليه، وقطعت الرجاء ممن دونه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي عالم بأعمالهم، وبثوابهم. فأرادوا قتله، فهرب منهم، فبعث فرعون في طلبه، فلم يقدروا عليه، فذلك قوله: ﴿فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ يعني دفع الله تعالى عنه شر ما أرادوا. ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني نزل بهم ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ يعني شدة العذاب، وهو الغرق.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: يعني تعرض أرواحهم على النار"[١٥٠٦]. ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ "وقال مقاتل: تعرض روح كل كافر على

[١٥٠٦] بحر العلوم،٣/٢٠٧–٢٠٨.

منازلهم من النار كل يوم مرتين"[١٥٠٧]. "وقال ابن مسعود: أرواحهم في جوف طير سود يرون منازلهم غدوة وعشيا. وقال ابن شرحبيل: أرواح الشهداء في جوف طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، وإن أرواح آل فرعون في جوف طير سود تغدو وتروح على النار فذلك عرضها. والآية تدل على إثبات عذاب القبر، لأنه ذكر تعرض عليهم النار قبل ذلك غدواً وعشياً. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعني قال يوم القيامة. ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر بوصل الهمزة، معناه: ادخلوا يا آل فرعون. والباقي بفتحها، يعني يقال للخزنة: أدخلوا آل فرعون. ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني أسفل العذاب.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعني يتخاصمون في النار الضعفاء والرؤساء. ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ يعني لرؤسائهم. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ يعني أتباعا لكم فيما تدعونا إليه من الشرك وتكذيب الأنبياء لاستضعافكم إيانا. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ﴾ يعني ماأنتم متحملون عنا مقدارا من النار التي نحن فيها فيلحقنا تخفيفكم من جهتكم، إذ لا أحد أحق بالتحمل عنا منكم، لأنكم كنتم سبب دخولنا في النار بقولكم: اتبعوا ولنحمل خطاياكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ يعني الرؤساء يقولون للضعفاء. ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ يعني نعذب نحن، وأنتم على قدر حصصكم من الذنوب، ولا يغني واحد واحداً. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ

[١٥٠٧] مقاتل: *تفسير مقاتل*،٣/٧١٥.

ٱلْعِبَادِ﴾ يعني قضى بين العباد، أي بين التابع والمتبوع. ويقال: ﴿حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ يعني [أنزلنا منازلنا، وأنزلكم][١٥٠٨] منازلكم. ويقال: إنا مجموعون جميعا في النار بحكم الله تعالى، ولا يجري لنا على أنفسنا ولا عليكم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ﴾ يعني إذا يئسوا من كبريائهم، واشتد عليهم العذاب، طلبوا الفرج من عند خزنة جهنم ظنا منهم أنهم يرقّون لهم لما يرون من قلة صبرهم وشدة جزعهم، وقالوا لهم: سلوا ربكم يخفف عنا أي يزيل العذاب مقدار يوم من أيام الدنيا لنستريح في مقدار هذه المدة. فترد الخزنة عليهم: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ يعني ألم يخبركم الرسل أن عذاب جهنم [إلى الأبد][١٥٠٩]. ويقال: ألم تخبركم الرسل بالدلائل، والحجج، والبراهين، فكذبتموهم. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ اعترفوا بمجيئهم، وزاد في آية أخرى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[الملك:٩]. ﴿قَالُواْ﴾ يعني تقول لهم الخزنة: ﴿فَٱدْعُواْ﴾ ما شئتم، فإنه لا يستجاب لكم. ويقال: فادعوا أنتم، ولكن حقت كلمة العذاب ولا تبديل لكلمات الله تعالى، ولن ندعولكم إذ لاسبيل لنا إلى الشفاعة إلا بإذن الله، والله لايأذن لكم فادعوا أنتم لأنفسكم. ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي وما دعاء الكافرين لأنفسهم في الآخرة بتخفيف العذاب عنهم إلا في بطلان. وميل عن الحق والصواب، وخطأ بيّن. وهو في مقابلة قولهم للأنبياء في الدنيا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ كَبِيرٍ﴾[الملك:٩].

[١٥٠٨] في الأصل (أنزل وأنزل)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢٠٩.

[١٥٠٩] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٠٩.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ذكر نصر موسى ومؤمن آل فرعون على فرعون وآله، وأخبر أنه ينصر أيضا جميع رسله وجميع المؤمنين بالحجة، والغلبة في المحاربة، ونصر بعقاب العدو، ونصر بإكرام الولي بالثواب. وقد نصر الله تعالى الأنبياء بإنجائهم وإهلاك أعدائهم، وماجرى على زكريا ويحي وبعض الأنبياء من القتل، فقد نصرهم الله تعالى بعد قتلهم بالانتقام منهم على يد نصر فهذا كإنه نصر، لأنه إغاثة وانتقام ومعونة"[١٥١٠].

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ "وقال مقاتل: الحفظة من الملائكة يشهدون عند رب العالمين بالبلاغ، وعلى الكافرين بتكذيبهم"[١٥١١]. "وقال قتادة: الأشهاد هم الأنبياء. وقيل: هم الجوارح. وقيل: هم أهل الموقف يشهدون قائمين لرب العالمين، ونصرهم يوم القيامة، بالتمييز بين المحق والمبطل، والولي والعدو، بالثواب والعقاب فهذه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ يعني لا ينفع الكافرون اعتذارهم. ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ يعني السخط. ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ وهي جهنم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ يعني التوراة فيها هدى من الضلالة في كل أموره. ﴿وَأَوْرَثْنا بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ يعني أعطيناهم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على لسان الرسل التوراة، والإنجيل، والزبور ﴿هُدًى﴾ يعني بياناً من الضلالة يهتدون به في أديانهم. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعني عظة لذوي العقول. ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني اصبر يا محمد على إيذاء المشركين، فإن وعد الله حق، وهو ظهور الإسلام على الأديان كلها، وفتح مكة. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ وهذا قبل نزول قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:٢]. ويقال:

[١٥١٠] *بحر العلوم*،٢٠٨-٢٠٩.

[١٥١١] مقاتل: *تفسير مقاتل*،٣/٧١٦.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أي لذنب أمّتك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعني صلّ بأمر ربك.﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ يعني صلاة العصر. ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ يعني صلاة الغداة. ويقال: سبح الله تعالى، واحمده بلسانك في أول النهار وآخره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني اليهود يجادلون في الدجال. وذلك أنهم كانوا يقولون: إن صاحبنا يُبعث في آخر الزمان، وله سلطان، فيخوض البحر، وتجري معه الأنهار، ويردُّ علينا المُلك. فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ يعني بغير حجة. ﴿أَتَاهُمْ﴾ من الله تعالى. ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَٰلِغِيهِ﴾ يعني ما هم ببالغي ذلك الكبر الذي في قلوبهم، بأن الدجال منهم. وقال القتبي: إلا تكبراً عن محمد ﷺ، وطمعاً أن يغلبوه، وما هم ببالغي ذلك. وقال الزجاج: وما هم ببالغي إرادتهم، وإرادتهم دفع آيات الله تعالى. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من فتنة الدجال، فإنه ليس فتنة أعظم من فتنة الدجال. ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بقول اليهود. ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأمر الدجال. ويقال: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائك. ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بردّ الدجال عنك.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ بعد موتهم أنهم يبعثون يوم القيامة. يعني أن المشركين مقرون بأن الله تعالى خلق السماوات والأرض على كبرهما وعظمهما والعجائب التي فيهما وذلك أعظم شأنا من خلق الناس فكيف وصفوني [بالقدرة][١٥١٢] على خلقهما، وعجزوني عن القدرة على خلق الناس؟!. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا

[١٥١٢] في الأصل (بالضرورة)، وصححتها من *بحر العلوم*،٣/٢١١.

يتدبرون ولا يستدلون بالآيات فيعلموا ذلك. ويقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن الدجال خلق من خلق الله عز وجل.

﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني لايستوي الكافر والمؤمن. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ يعني لا يستوي الصالح والطالح. ﴿قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني تتعظون وتعتبرون و(مَا) في ﴿مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ صلة.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني إن القيامة لقائمة لاريب فيها، أي لا شك في إثباتها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني لا يصدقون. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال الكلبي: معناه وحدوني، أغفر لكم. ويقال: معناه: وقال ربكم يعني يا أهل الإيمان، ﴿ادْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى﴾ يعني عن توحيدي، فلا يؤمنون بي، ولا يطيعوني. ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. ويقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة. ويقال: ادعوني بلا خطأ، أستجب لكم مع العطاء"[١٥١٣]. وروى النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ قال: "إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾"[١٥١٤].

[١٥١٣] *بحر العلوم*، ٢١٠-٢١١.

[١٥١٤] ابن حنبل: *المسند*، ٢٩٧/٣٠، ٢٩٨، رقم (١٨٣٥٢). ابن ماجه: سنن *أبي ماجه*، ١٢٥٨/٢، رقم (٣٨٢٨). أبو داود: سنن *أبي داود*، ٧٦/٢، رقم (١٤٧٩). الترمذي: سنن *الترمذي*، ٢١١/٥، رقم (٢٩٦٩). *النسائي: السنن الكبرى*، ٢٤٤/١٠، رقم (١١٤٠٠). ابن حبان: صحيح *ابن حبان*، ١٧٢/٣، رقم (٨٩٠). الطبراني: *المعجم الأوسط*، ٢٠٨/٢، رقم (١٠٤١). الحاكم: *المستدرك*، ٦٦٧/١، رقم (١٨٠٢).

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾، "واعلم أن ذلك المؤمن استأنف ونادى في المرة الثالثة وقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ يعني أنا أدعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة، وتدعونني إلى الكفر الذي يوجب النار. وإنما جيء بالواو في الثالث دون الثاني، لأن الثاني يقرب من أن يكون عين الأول، لأن الثاني بيان للأول والبيان عين المبين، وأما الثالث فلأنه كلام مباين في الأول والثاني فحسن إيراد الواوالعاطفة فيه، وأما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظهم عن سنة الغفلة، وعلى أولئك الأقوام فرط شفقة. ولما ذكر هذا المؤمن أنه يدعوهم إلى النجاة وهم يدعونه إلى النار، فسّر ذلك أنهم يدعونه إلى الكفر بالله وإلى الشرك به، أما الكفر بالله فلأن الأكثرين من قوم فرعون كانوا ينكرون وجود الإله، ومنهم من كان يقر بوجود الإله إلا أنه كان يثبت عبادة الأصنام، وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ المراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكاً للإله؟ ولما بيّن أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بيّن أنه يدعوهم إلى الإيمان بالعزيز الغفار. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ إشارة إلى كونه كامل القدرة، أما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون إلهاً، وأما الأصنام فإنها أحجار منحوتة فكيف يعقل القول بكونها آلهة. وقوله: ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله تعالى بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة، فإن إله العالم وإن كان عزيزاً لا يغلب قادراً لا يعارض، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة،

ثم قال ذلك المؤمن: ﴿لَا جَرَمَ﴾ الكلام في تفسير ﴿لَا جَرَمَ﴾ في سورة هود في قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾[هود:٢٢]، وقد أعاده صاحب (الكشاف) ههنا فقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ ثبت أنه على مذهب البصريين أن يجعل (لا) رداً لما دعاه قومه إليه، و﴿جَرَمَ﴾ فعل بمعنى حقّ، و(أن) مع (ما) في حيزها فاعله أي حق، ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾[المائدة:٢] أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته بمعنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته. ثم قال: ﴿أَنَّما تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ والمراد أن الأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان: الأول: أن ما تدعونني إليه وإلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه لأنها جمادات، [والجمادات][١٥١٥] لا تدعوأحداً إلى عبادة النفس، وقوله: ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ يعني أنه تعالى إذا قلبها حيواناً في الآخرة فإنها تتبرأ من هؤلاء العابدين. والاحتمال الثاني: أن يكون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ معناه ليس له [استجابة][١٥١٦] دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، سميت استجابة الدعوة دعوة إطلاقاً لاسم أحد المضافين على الآخر، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشورى:٤٠]، ثم قال: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فبيّن أن هذه الأصنام لا فائدة فيها ألبتة، ومع ذلك فإن مردنا إلى الله العالم بكل المعلومات، القادر على الممكنات، الغني عن كل الحاجات، الذي لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد، فأي

[١٥١٥] في الأصل (والجماعات)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٠.

[١٥١٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٠.

عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء وأن يعرض عن عبادة هذا الإله الذي لا بد وأن يكون مرده إليه؟. قوله: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ قال قتادة: المشركين. وقال مجاهد: السفاكين الدماء. والصحيح أنهم أسرفوا في معصية الله عز وجل.

ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ وهذا كلام مبهم يوجب التخويف، ويحتمل أن يكون المراد أن هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت، وأن يكون في القيامة وقت مشاهدة الأهوال، وبالجملة فهو تهديد شديد. ثم قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وهذا الكلام لمن هدد بأمر يخافه فكأنهم خوفوه بالقتل فهو أيضاً خوفهم بقوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ ثم عوّل في دفع تخويفهم وكيدهم على فضل الله تعالى بقوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهو إنما تعلم هذه الطريقة من موسى –عليه السّلام–، فإن فرعون لما خوفه بالقتل رجع موسى في دفع ذلك الشر إلى الله حيث قال: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[غافر:٢٧]. ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي عالم بأحوالهم وبمقادير حاجاتهم"[١٥١٧].

قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً

[١٥١٧] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥١٩–٥٢٠.

مِنَ النَّارِ (٤٧) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيها إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ (٤٨) وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ (٤٩) قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾، "اعلم أنه بيّن أن ذلك الرجل لما لم يقصر في تقرير دين الحق وفي الذبّ عنه فالله تعالى ردّ عنه كيد الكافرين وقصد القاصدين. وقوله: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ يدل على أنه صرّح الحق فقد قصده بنوع من أنواع السوء. قال مقاتل: ذكر هذه الكلمات أن موسى -عليه السّلام- قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه"[١٥١٨]. قوله: ﴿وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ﴾ أي أحاط بهم سوء العذاب أي غرقوا في البحر، وقد سبق هذا. وقيل: بل المراد منه النار المذكورة في قوله:﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾.

وقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾ وقد سبق تفسير الآية. وهذا آخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون. واعلم أن الكلام في تلك القصة لما انجر إلى شرح أحوال أهل النار، لاجرم ذكر الله عقيبها قصة المناظرات التي تجري بين الرؤساء والأتباع، فقال: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ والمعنى واذكر يا محمد لقومك إذ يتحاجون أي يحاج بعضهم بعضاً، ثم شرح خصومتهم وذلك أن الضعفاء يقولون للرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾ في الدنيا. قال صاحب (الكشاف) تبعاً كالخدم في جمع خادم،

[١٥١٨] قال مقاتل: فهرب المؤمن إلى الجبل فطلبه رجلان فلم يقدرا عليه. *تفسير مقاتل*،٣/٧١٥.

أو ذوي تبع أي أتباع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ﴾ أي فهل تقدرون على أن تدفعوا عنا أيها الرؤساء نصيباً من النار، واعلم أن أولئك الأتباع يعلمون أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف، وإنما مقصودهم من هذا الكلام [المبالغة][١٥١٩] في تعجيز أولئك الرؤساء وإيلام قلوبهم، لأنهم هم الذين سعوا في إيقاع هؤلاء الأتباع في أنواع الضلالات فعند هذا يقول الرؤساء: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ يعني إنا كلنا واقعون في هذا العذاب، فلو قدرنا على إزالة العقاب لدفعنا عنكم، ثم يقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ﴾ يعني يوصل إلى كل أحد مقدار حقه من النعيم [أو من العذاب][١٥٢٠]، ثم عند هذا [يحصل][١٥٢١] اليأس من الأتباع للمتبوعين فيرجعون إلى خزنة جهنم ويقولون لهم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ﴾. وإنما قال لخزنة جهنم و لم يقل لخزنتها، وذلك أن المقصود من ذكر جهنم التهويل والتفظيع. ويقال: إن جهنم اسم لموضع هو أشد المواضع قعراً وبعدا في جهنم، وفيها أعظم أقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع تكون أعظم خزنة جهنم، فإذا عرف الكفار أن الأمر كذلك استغاثوا بهم، فأولئك الملائكة يقولون: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ والمقصود أن قبل إرسال الرسل كان للقوم أن يقولوا إنه ما جاءنا من نذير، أما بعد مجيء الرسل فلم [يبق][١٥٢٢] عذر ولا علة قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥]، وهذه الآية تدل على أن الوجوب لا يتحقق إلا بعد مجيء الشرع، ثم

[١٥١٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٢.

[١٥٢٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٢.

[١٥٢١] في الأصل (يجعل)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٢.

[١٥٢٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٢.

إن أولئك الملائكة يقولون للكفار: ادعوا أنتم فإنا لا نجترىء على ذلك ولا نشفع إلا بشرطين: أحدهما: كون المشفوع له مؤمناً، والثاني: حصول الإذن في الشفاعة. ولم يوجد واحد من هذين الشرطين فإقدامنا على هذه الشفاعة ممتنعة لكن ادعوا أنتم، وليس قولهم: ﴿فَٱدْعُواْ﴾ لرجاء المنفعة، ولكن للدلالة على الخيبة، وإن المَلَك المقرب إذا لم يُسمع دعاؤه فكيف يُسمع الكافر؟، ثم يصرحون لهم بأنه لا أثر لدعائهم فيقولون: ﴿وَمَا دُعَآؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾."[١٥٢٣]

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ (٥٣) هُدىً وَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكارِ﴾، "اعلم أن في كيفية النظم وجوها: الأول: أنه تعالى لما ذكر وقاية الله موسى -عليه السّلام- وذلك المؤمن من مكر آل فرعون، بيّن في هذه الآية أنه ينصر رسله والذين آمنوا معه. الثاني: لما بيّن من قبل ما يقع بين أهل النار من التخاصم فإنهم عند الفزع إلى خزنة جهنم يقولون: ألم يأتكم رسل الله تعالى [أتبع ذلك][١٥٢٤] بذكر الرسل، وأنه ينصرهم في الدنيا والآخرة. والثالث: أن الكلام في أول السورة إنما وقع من قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[غافر:٤]، وامتد الكلام في الرد على أولئك المجادلين وعلى أن المحقين أبداً كانوا

[١٥٢٣] *مفاتيح الغيب*،٢٧/ ٥٢٠-٥٢٣.

[١٥٢٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥٢٣/٢٧.

مشغولين بدفع كيد المبطلين، وكلّ ذلك إنما ذكره الله تعالى تسلية للرسول ﷺ ونصيراً له على تحمل أذى قومه. ولما بلغ الكلام في تقرير هذا المطلوب إلى الغاية القصوى وعد تعالى رسوله بأن ينصره على أعدائه فقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، [أما في الدنيا فهو المراد بقوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وأما في الآخرة][١٥٢٥] فهو المراد بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ فحاصل الكلام أنه تعالى وعد بأنه ينصر الأنبياء والرسل، وينصر الذين ينصرونهم نصرة يظهر أثرها في الدنيا وفي الآخرة.

واعلم أن نصرة الله المحقين تحصل من وجوه: أحدها: النصرة بالحجة، وقد سمى الله تعالى الحجة سلطاناً في غير موضع، وهذه النصرة عامة للمحقين أجمع، ونعم ما سمى الله تعالى هذه النصرة سلطاناً، لأن السلطنة في الدنيا قد تتبدل بالفقر والذلة والحاجة، وأما السلطنة الحاصلة بالحجة فإنها تبقى أبد الآباد ويمتنع تطرق الخلل والفتور إليها. وثانيها: أنه منصور بالمدح والتعظيم، فإن الظلمة وإن قهروا شخصاً من المحقين إلا أنهم لا يقدرون على إسقاط مدحه عن ألسنة الناس. وثالثها: أنهم منصورون بسبب أن بواطنهم مملوءة من نور الحجة وقوة اليقين، فإنهم إنما ينظرون إلى الظلمة والجهال كما تنظر ملائكة السموات إلى أحسن الأشياء. ورابعها: أن المبطلين وإن كان يتفق لهم أن يحصل استيلاء على المحقين، ففي الغالب أن ذلك لا يدوم بل يكشف للناس أن ذلك كان أمراً وقع على خلاف الواجب. وخامسها: أن المحق إن اتفق له أن وقع في نوع من أنواع المحذور فذلك يكون سبباً لمزيد ثوابه وتعظيم

[١٥٢٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٢٣.

درجاته. وسادسها: أن الظلمة كما يموتون تموت آثارهم معهم، ولا يبقى لهم في الدنيا أثر ولا خبر. وأما المحقون فإن آثارهم باقية على وجه الدهر والناس بهم يقتدون في أعمال البر والخير، فهذا كله أنواع نصرة الله تعالى للمحقين في الدنيا. وسابعها: أنه تعالى قد ينتقم للأنبياء والأولياء بعد موتهم، كما نصر يحيى بن زكريا فإنه لما قتل به سبعون ألفاً، وأما نصرته تعالى إياهم في الآخرة فذلك بإعلاء درجاتهم من مراتب الثواب وكونهم مصاحبين لأنبياء الله تعالى، كما قال: ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩]. وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ قد مرّ تفسيره. وقال المبرد: يجوز أن يكون الأشهاد جمع شاهد كأصحاب جمع صاحب، ويجوز أن يكون الأشهاد جمع شهيد كأشراف جمع شريف، وأيتام جمع يتيم، وفي قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ دقيقة وهي أن السلطان العظيم إذا خص بعض خواصه بالإكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع من أهل المشرق والمغرب كان ذلك ألذ وأبهج، فقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ إلى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ فالمقصود منه هذه الدقيقة.

ثم قال: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ واعلم أن المقصود من هذا شرح تعظيم ثواب أهل الثواب، وذلك لأنه تعالى بيّن أنه ينصرهم في يوم يجتمع فيه الأولون والآخرون، فحالهم في علوالدرجة في ذلك اليوم، وأما حال أعدائهم فهو أنه حصلت لهم أمور ثلاثة: أحدها: أنه لا ينفعهم شيء. وثانيها: أن لهم اللعنة، وهذا يفيد الحصر يعني اللعنة مقصورة عليهم، وهي الإهانة والإذلال. وثالثها: سوء الدار، وسوء العقاب الشديد.

ولما بيّن الله تعالى أنه ينصر الأنبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر أنواعاً من أنواع تلك النصرة في الدنيا، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى﴾ ويجوز أن يكون المراد تلك الدلائل القاهرة التي أوردها على فرعون وأتباعه، ويجوز أن يكون المراد هو النبوّة التي هي أعظم المناصب الإنسانية.

ثم قال: ﴿وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ (٥٣) هُدىً وَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ﴾ يجوز أن يكون المراد منه أنه تعالى لما أنزل التوراة على موسى -عليه السّلام- بقي ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلفاً عن سلف، ويجوز أن يكون المراد سائر الكتب التي أنزلها الله عليهم وهي كتب الأنبياء، وهي المذكورة في الأول. والفرق بين الهدى والذكرى أن الهدى ما يكون دليلاً على الشيء وليس من شرطه أن يذكر شيئاً آخر كان معلوماً ثم صار منسياً، وأما الذكرى وهو الذي يكون كذلك فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دليلا في أنفسها، وبعضها مذكورات لما ورد في الكتب المتقدمة. ولما بيّن الله تعالى بنصره رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمداً ﷺ فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فالله ناصرك كما نصرهم ومنجز وعده في حقك كما كان كذلك في حقهم، ثم أمره أن يقبل على طاعة [الله][١٥٢٦] فإن من كان لله كان الله له.

واعلم أن مجامع الطاعات محصورة في قسمين: التوبة عما لا ينبغي، والاشتغال بما ينبغي، والأول مقدم على الثاني بحسب الرتبة الذاتية فوجب أن يكون مقدماً في الذكر، أما

[١٥٢٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٥.

التوبة عما لا ينبغي فهو قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾. وأما الاشتغال بما ينبغي فهو قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ والتسبيح عبارة عن تتريه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، والعشي والإبكار، قيل: صلاة العصر وصلاة الفجر. وقيل: الإبكار عبارة عن أول النهار إلى النصف، والعشي عبارة عن النصف إلى آخر النهار. وقيل: المراد طرفي النهار، كما قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[هود:١١٤]. وبالجملة فالمراد منه المواظبة على ذكر الله تعالى، وأن لا يفتر اللسان عنه، وأن لا يغفل القلب عنه، حتى يصير الإنسان بهذا السبب داخلاً في زمرة الملائكة، كما قال في صفتهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:٢٠]"[١٥٢٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾، "اعلم أن الكلام في أول هذه السورة ابتدأ الرد على الذين يجادلون في آيات الله، وامتد على هذا الترتيب إلى هذا الموضع، ثم إنه تعالى نبّه على الداعية التي تحمل أولئك الكفار على تلك المجادلة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ﴾ إنما يحملهم على هذا العمل الباطل كبر في صدرهم فذلك الكبر الذي هو يحملهم على هذا

[١٥٢٧] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٣-٥٢٥.

الجدال الباطل، وذلك الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن يكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك، لأن النبوّة تحتها كل ملك ورياسة، وفي صدورهم كبر ذلك لا يرضون أن يكونوا في خدمتك، فهذا هو الذي يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاصمات الفاسدة. ثم قال تعالى: ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ يعني أنهم يريدون أن لا يكونوا تحت [يدك][١٥٢٨] ولا يصلون إلى هذا المراد، بل لا بدّ وأن يصيروا تحت أمرك ونهيك، ثم قال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ﴾ أي فالتجيء إليه من كيد من يحسدك. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ السميع بما يقولون، والبصير بما يعملون، فهو يجعلك نافذ الحكم عليهم ويصونك عن مكرهم وكيدهم.

واعلم أنه تعالى لما وصف [جدالهم][١٥٢٩] في آيات الله بغير سلطان ولا حجة، ذكر لهذا مثالاً، فقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ والقادر على الأكبر قادر على الأقل لا محالة، ثم إن هؤلاء القوم يسلمون أن خالق السماوات والأرض هو الله سبحانه، ويعلمون بالضرورة أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس وكان من حقهم أن يقروا بأن القادر على خلق السماوات والأرض هو الله سبحانه، يعلمون بالضرورة أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فيكون قادراً على إعادة الإنسان الذي خلقه أولاً، فهذا برهان جلي في إفادة هذا المطلوب، ثم إن هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه

[١٥٢٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٢٦.

[١٥٢٩] في الأصل (جهالتهم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٢٦.

أكثر الناس، والمراد منه الذين ينكرون الحشر والنشر، [فظهر][١٥٣٠] بهذا المثال أن هؤلاء الكافرون يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة، بل بمجرد الحسد والكبر والغضب.

ثم لما بيّن الله تعالى أن الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون، وأن الجدال المقرون بالحجة والبرهان كيف يكون، نبّه تعالى على الفرق بين البابين بذكر المثالين فقال: ﴿وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ﴾[١٥٣١] يعني وما يستوي المستدل والجاهل المقلد، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾ فالمراد بالأول التفاوت بين العالم والجاهل، والثاني التفاوت بين الآتي بالأعمال الصالحة وبين الآتي بالأعمال الفاسدة الباطلة. ثم قال: ﴿قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني أنهم وإن كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل، وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد، إلا أنه قليلاً ما يتذكرون.

ولما قرر الدليل الدال على إمكان وجود يوم القيامة، أردفه بأن أخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود فقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ والمراد بأكثر الناس، الكفار الذين ينكرون البعث والقيامة.

اعلم أنه تعالى لما بيّن أن القول بأن القيامة حق وصدق، وكان من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا ينتفع في يوم القيامة إلا بطاعة الله، والتضرع إلى الله، لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من أهم المهمات، ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع، لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. والمراد بقوله:

[١٥٣٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٢٦.

[١٥٣١] في الأصل (هل يستوي)، وهو خطأ في كتابة الآية.

﴿ٱدْعُونِيٓ﴾ فقيل: إنه الأمر بالدعاء، فإن قيل: كيف قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقد ندعي كثيرا فلا يستجاب؟ والجواب عنه: وهو أنه تعالى قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه وأقاربه وأصدقائه واجتهاده، فهو في الحقيقة ما دعا الله إلا باللسان، وأما القلب فمعوّل في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله، وهذا الإنسان ما دعا ربه إلا إذا دعا في وقت لا يبقى في القلب التفات إلى غير الله. واعلم أن الكلام المستقصى في الدعاء قد سبق ذكره في سورة البقرة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ وتفسيره قد تقدم. وهذا إحسان عظيم من الله حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء. فإن قيل: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال حكاية عن ربّ العزّة جل جلاله"[١٥٣٢]: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"[١٥٣٣]. "فهذا الخبر يقتضي أن ترك الدعاء أفضل، وهذه الآية تدل على أن ترك الدعاء يوجب الوعيد الشديد، فكيف الجمع بينهما ؟ قلنا لا شك أن العقل إذا كان مستغرقاً في الدعاء لأن طلب الحصد والاستغراق في معرفة جلال الله

[١٥٣٢] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٥-٥٢٦.

[١٥٣٣] البخاري: محمد بن إسماعيل (ت. ٢٥٦هـ)، *التاريخ الكبير*، تحقيق: السيد هاشم الندوي،٢/١١٥، رقم (١٨٧٩). البيهقي: شعب *الإيمان*،٢/٩٣، رقم (٥٦٧). ابن الجوزي: *الموضوعات*،٣/١٦٥. الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة*،١٠/٧٤٥-٧٤٧، رقم (٤٩٨٩). الترمذي: سنن *الترمذي*،٥/١٨٤، رقم (٢٩٢٦) بلفظ: "مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي ...". الدارمي: سنن *الدارمي*،٤/٢١١٢، رقم (٣٣٩٩).

تعالى أفضل من طلب الحصد إذا لم يحصل ذلك الاستغراق، وفي الجملة كان الاشتغال بالدعاء أولى، لأن الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية"[١٥٣٤].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ "أي التوحيد والتجريد الذي هو سبب نجاتكم. ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ﴾ إلى الشرك الموجب لدخول النار. ﴿وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي﴾ بوجوده ﴿عِلۡمٞ﴾ إذ لا وجود له. ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب الذي يقهر من عصاه. ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ الذي يستر ظلمات نفوس من أطاعه بأنواره.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي وجب وحقّ. ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِي إِلَيۡهِ﴾ لا دعوة له في الدارين لعدمه بنفسه واستحالة وجوده فيهما. وذلك قوله: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ أي تصلى أرواحهم بنار الهيئات الطبيعية، واحتجاب الأنوار القدسية، والحرمان عن اللذات الحسية، والشوق إليها مع امتناع حصولها. ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ بحشر الأجساد أو بظهور المهدي – عليه السّلام –. قيل لهم: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ لانقلاب تلك الهيئات وصورهم، وتراكم الظلمات، وتكاثف الحجاب، وضيق المحبس، وضنك المضجع، وقهر المهدي – عليه السّلام – إياهم، وتعذيبه لهم لكفرهم به، ومعرفته إياهم بسيماهم. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالتأكيد الملكوتي، والنور القدسي في الدارين.

[١٥٣٤] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٢٨.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي احبس النفس عن الظهور في مقابلة أذاهم، واعلم انك ستغلب حال البقاء، إنا غالبون. ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾ لذنب حالك بالتنصل عن أفعالك. ﴿وَسَبِّحْ﴾ بالتجريد ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ موصوفا بكماله وما دمت في حال الفناء لا تأمن التلوين لظهور النفس وصفاتها، فوجب عليك الصبر، والاستغفار، والتجريد عن الأوصاف التي تظهر بها النفس، والتحقق بالله وصفاته، فإذا حصل لك مقام الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء فذلك وقت الغلبة، وظهور النصر، والوفاء بالوعد.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ هذا دعاء الحال، لأن الدعاء باللسان مع عدم العلم بأن المدعو به خير أم لا، دعاء المحجوبين، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَٰلٍ﴾[الرعد:١٤] أي ضياع. وأما الدعاء الذي لا تتخلف عنه الاستجابة عن هذا الدعاء كمن طلب المغفرة، فتاب إلى الله وأناب بالزهد والطاعة، ومن طلب الوصول فاختار الفناء، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي﴾ أي لا يدعونني بالتضرع والخضوع والاستكانة، بل تظهر أنفسهم بصفة التكبر والعلو. ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ لدعائهم بلسان الحال مع القهر والإذلال، إذ صفة الاستكبار ومنازعة الله تعالى في كبريائه تستدعي ذلك"[١٥٣٥]. والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٦١) ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى

[١٥٣٥] تفسير ابن عربي،٢/١٩٦-١٩٧.

تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعالَمِينَ (٦٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِي الْبَيِّناتُ مِنْ
رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ
عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ
وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِالْكِتابِ وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ
وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ
تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ
الْكافِرِينَ (٧٤) ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥)
ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ
مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ
فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ
وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَأَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثاراً فِي الْأَرْضِ فَما أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ (٨٥)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن فضله وكرمه لعباده بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ يعني خلق لكم الليل. ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ يعني لتقرّوا فيه، وتستريحوا فيه. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ يعني مضيئاً لابتغاء الرزق، والمعيشة. ويقال: ﴿مُبۡصِرًا﴾ يعني يبصر فيه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني على أهل مكة بتأخير العذاب عنهم. ويقال: ﴿لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني على جميع الناس، بخلق الليل والنهار. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ في النعمة فيوحدونه، ويطيعونه. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ يعني الذي خلق هذا هو ربكم. ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يستحق العبادة غيره. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ يعني فمن أين تصرفون، وتحولون عن توحيده. ويقال: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ يعني من أين تكذبون.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ﴾ أي هكذا يكذب. ويقال: هكذا يحول. ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ ويقال: يعني كما انصرفتم عن الحق مع وضوحه، صرف من قبلكم من الأمم الجاحدة عن ذلك، ولم يكن ذلك لقصور الأدلة، بل لما في صدورهم من الكبر الذي ليسو ببالغيه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي مستقرا. ويقال: يعني بسط لكم الأرض، وجعلها موضع قراركم. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ يعني خلق السماء بناء مرتفعاً فوقكم لمصالحكم وحوائجكم. ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ يعني خلقكم. ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ يعني أحكم خلقكم، و لم يخلقكم على صورة الدّواب. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني الحلالات. ويقال: اللذيذات. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يعني الذي خلق هذه الأشياء هو ربكم. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني فتعالى الله رب العالمين. ويقال: من البركة، يعني دامت بركاته، وتتابعت خيراته.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ الذي لا يموت، ويميت الخلائق. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ يعني فاعبدوه. ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي العبادة والطاعة. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي المستحق للحمد، ويجوز أن يكون حمد نفسه تعليما للخلق. ويجوز أن يكون أمرا، يعني قولوا: الحمد لله رب العالمين. ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾ يعني قل يا محمد للمشركين: ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني نهاني ربي أن أعبد الذين تدعون من الأصنام. ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَّبِّى﴾ يعني حين جاءني البينات الواضحات، وهو القرآن على وحدانية الله تعالى. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني أستقيم على التوحيد"[١٥٣٦]. "قال مقاتل – رحمه الله –:دعا كفار مكة رسول الله ﷺ إلى دينهم. وقالوا له: مايحملك على مخالفة آبائك وأشراف قريش إلا الحاجة وقلة المال فنحن نجمع لك مايكفيك، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١٥٣٧].

[١٥٣٦] بحر العلوم،٣/٢١١-٢١٣.
[١٥٣٧] مقاتل: تفسير مقاتل،٣/٧١٩.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾، "أي أطفالا. وقد مرّ تفسيرها مرات. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي ثم يربيكم لتبلغوا أشدكم أي تمام القوة. ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ يعني يعيش إلى أن يصير شيخا. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي ويقبض بالموت. ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني من قبل الشيخوخة. ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى﴾ أي وليبلغ كل منكم أجلا مسمى قد سمّاه الله تعالى له. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يعني لكي تعقلوا أمركم، وتستدلوا به، وتتفكروا في خلقه. ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني يحيي للبعث، ويميت في الدنيا. ويقال: معناه هو الذي يحيي في الأرحام، ويميت عند انقضاء الآجال. ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي إذا قدر شيئا وأراد كونه. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي كونه سريعا فهو المستحق للعبادة. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ يعني الذين يجادلون في القرآن، أنه ليس منه. قوله: ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ يعني من أين يصرفون عن القرآن. ويقال: من أين تعدلون إلى غيره؟ ويقال:عن التوحيد والحقّ. ثم وصفهم فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بالقرآن. ﴿وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾ يعني بالتوحيد. ويقال: بالأمر، والنهي. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ماذا ينزل بهم في الآخرة. ثم وصف ما ينزل بهم، فقال عز وجل: ﴿إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾ يعني ترد أيمانهم إلى أعناقهم. ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ يعني تجعل السلاسل في أعناقهم. ﴿يُسْحَبُونَ﴾ يعني يجرون. ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ يعني إلى ماء حارّ، قد انتهى حرّه. وقال الكلبي: يعني في الماء الحار. ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يعني يوقدون فصاروا وقوداً. ومعناها أن الملائكة يسحبونهم في السلاسل. ﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ يعني تقول لهم الخزنة: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ يعني تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان. ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ يعني اشتغلوا بأنفسهم عنا. ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ وذلك أنهم يندمون على [إقرارهم][١٥٣٨]، وينكرون، ويقولون: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ في الدنيا. ويقال: بل لم نعبد شيئاً ينفعنا. يقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عن الحجة.

﴿ذَٰلِكُم﴾ يعني ذلك العذاب، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني تبطرون، وتتكبرون في الأرض. ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ يعني تبغضون، وتستهزءون بالمسلمين. ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ يعني يقال لهم قبل أن يدخلوها: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ يعني يدخل كل فريق من الباب الذي جُعل له. قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر:٤٤]. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في جهنم. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الذين تكبروا عن قبول الحق، وجادلوا بالباطل.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى المشركين وجدالهم. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي ينصر الرسل والمرسلين والمؤمنين في الدنيا والآخرة. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ من قبل أن نريك عذابهم في الدنيا. ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يعني يرجعون إلينا في الآخرة فنجزيهم بأعمالهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ﴾ وفيه إشارة إلى تعزية النبي ﷺ. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني إلى قومهم. ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ﴾ يعني سميناهم لك فأنت

[١٥٣٨] في الأصل (إقرار)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢١٤.

تعرفهم. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ يعني لم نسمهم لك و لم نخبرك بهم. يعني أنهم صبروا على أذاهم، فاصبر أنت يا محمد على أذى قومك كما صبروا. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ يعني ماكان من القدرة أن يأتي بدلائل، وبرهان. ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يعني بأمره. ﴿فَإِذا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني بالعذاب. ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني عذبوا، و لم يظلموا حين عذبوا. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يعني غبن عند ذلك المبطلون. يعني المشركون. ويقال: فإذا جاء أمر الله بإقامة القيامة، قضى بالواجب فيها، فأدخلك وأتباعك الجنة، وأدخل الكفار النار، وخسر هنالك من كان على دين الهالك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ ومعنى جعل لكم الأنعام يعني خلق لكم البقر، والغنم، والإبل. ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ يعني بعضها وهو الإبل. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني من لحومها وألبانها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ يعني في الأنعام منافع في ظهورها، وشعورها، وشرب ألبانها. ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني ما في قلوبكم، من بلد إلى بلد. ﴿وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ يعني على الأنعام، والسفن. وتتصل هذه الآيات بالآيات التي مرت في آيات الوحدانية وأنواع النعم من قوله: الله الذي جعل لكم الأرض قرارا، وجعل لكم لباسا، وخلقكم من تراب. ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي دلائله، وعجائبه. ويقال: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي بهذه الأشياء وغيرها. ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ من هذه الآيات.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني يسافروا فِى الأَرْضِ. ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ يعني فيعتبروا. ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني آخر أمر من كان قبلهم، كيف فعلنا بهم حين كذبوا رسلهم. ﴿كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ يعني أكثر من قومك في العدد. ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِى

ٱلْأَرْضِ﴾ أي أعظم آثاراً في الأرض. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني لم ينفعهم ما عملوا في الدنيا، حين نزل بهم العذاب. ﴿فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ بالأمر، والنهي، [وبخبر][١٥٣٩] العذاب. ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ رضوا بما عندهم، و لم ينظروا إلى دلائل الرسل. ويقال: رضوا بما عندهم وقالوا لن نعذب ولن نبعث. ويقال: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يعني علم التجارة. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعني نزل بهم. ﴿مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني يسخرون ويقولون أنه غير نازل بهم. وقيل: أي نزل بهم ضرر استهزائهم بالرسل والآيات.

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ يعني عذابنا في الدنيا. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا﴾ أي تبرأنا. ﴿بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ وقيل أي من الأوثان التي أشركناها بالله.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي فكان حكمي فيهم أن لاينتفعوا بالإيمان حالة البأس، لأنه حال فوات الاختيار وتحقق الاضطرار. ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ﴾ أي كسنة الله في الكفار الذين مضوا قبلهم، أن إيمانهم حالة البأس لم ينفعهم، و لم يقبله الله تعالى منهم، كما قال في حق فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾[١٥٤٠] الآية [يونس: ٩٠]. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي خسر عند ذلك الكافرون بتوحيد الله تعالى"[١٥٤١].

[فصل في التفسير بالرأي]

[١٥٣٩] في الأصل (وبآخر)، وصححتها من *بحرالعلوم*،٣/٢١٥.

[١٥٤٠] في الأصل (فلما أدركه)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٥٤١] *بحرالعلوم*،٣/٢١٣-٢١٥.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٦١) ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، "واعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين: الأول: أنه تعالى إني أنعمت عليك [قبل][١٥٤٢] طلبك لهذه النعم الجليلة العظيمة، ومن أنعم قبل السؤال فهذه النعم العالية فكيف بالأشياء القليلة بعد السؤال. والثاني: أنه تعالى لما أمر بالدعاء، فكأنه قيل الاشتغال [بالدعاء][١٥٤٣] لا بد وأن يكون مسبوقاً بحصول المعرفة، فما الدليل على وجود الإله القادر، وقد ذكر الله تعالى هذه الدلائل العشرة لقدرته وحكمته. واعلم أنا بيّنا دلائل وجود الله وقدرته: إما فلكية، وإما عنصرية. أما الفلكيات فأقسام كثيرة: منها: تعاقب الليل والنهار، وكان أكثر مصالح العالم مربوطاً بهما فذكرهما الله تعالى في هذا المقام، وبيّن أن الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بسبب النوم والسكون، والحكمة في خلق النهار، إبصار الأشياء. واعلم أنه تعالى لما ذكر ما في الليل والنهار من المصالح والحكمة البالغة قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ واعلم أن الناس لا يشكرون، والمراد أن فضل الله على الخلق كثير جداً وهم لايشكرون لوجهين: أحدهما: أن يعتقد الرجل أن هذه النعم ليست من الله تعالى مثل أن يعتقد أن هذه الأفلاك واجبة الوجود لذاتها وواجبة الدوران لذواتها، فحينئذٍ هذا الرجل لا يعتقد أن هذه النعمة العظيمة أعني نعمة تعاقب [الليل][١٥٤٤] والنهار من الله تعالى. وثانيها: أن الرجل وإن كان عارفاً بمواقع هذه النعم إلا أنه يكون

[١٥٤٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٨.

[١٥٤٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٨.

[١٥٤٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٢٩.

حريصاً على الدنيا محباً للمال والجاه، فإذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في كفران هذه النعمة العظيمة، ولما كان أكثر الخلق هالكين في أحد هذه الأودية التي ذكرناها لا جرم قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]. وقول إبليس: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[الأعراف:١٧].

ولما بيّن الله تعالى بتلك الدلائل المذكورة وجود الإله القادر الرحيم الحكيم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال صاحب (الكشاف): ذلكم المعلوم المميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو يعني هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية، وخلق كل شيء ولا ثاني له ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ و لم تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بها. ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يعني أن كل من جحد بآيات الله و لم يتأملها و لم يكن فيه طلب الحق وخوف العاقبة أفك كما أفكوا"[١٥٤٥].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ

[١٥٤٥] *مفاتيح الغيب*،٥٢٨/٢٧-٥٣٠.

لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، "اعلم أنّا بيّنا أن دلائل وجود الله وقدرته إما أن يكون من باب دلائل الآفاق، [أو من باب دلائل الأنفس، أما دلائل الآفاق][١٥٤٦] فالمراد كل ما هو غير الإنسان من كل هذا العالم، وهي أقسام كثيرة، والمذكور منها في هذه الآية أقسام، منها: أحوال الليل والنهار، وقد سبق ذكره. وثانيها: الأرض والسماء، وهو المراد من قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بناءً﴾ أي ثابتا قائما وإلا لوقعت علينا. وأما دلائل النفس منها دلالة أحوال [بدن][١٥٤٧] الإنسان، ودلالة أحوال نفسه على وجود الصانع الحكيم. والمذكور منها في هذه الآية قسمان: أحدهما: ما هو حاصل مشاهد حال كماله. والثاني: ما كان حاصلاً في ابتداء خلقته وتكونه. أما القسم الأول فأنواع: الأول المذكور منها في هذه الآية أنواع ثلاثة: أولها: حدوث صورته وهو المراد بقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾. وثانيها: حسنها، وهو المراد بقوله: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾. وثالثها: رزقه من الطيبات، وهو المراد من قوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾. ولما ذكر الله تعالى هذه الدلائل المذكورة قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتفسير تبارك قد مرّ. ثم قال: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ﴾ وهذا يفيد الحصر وهو أن لا حي إلا هو، فوجب أن يحمل ذلك على الحي الذي يمتنع أن يموت امتناعا ذاتيا، وحينئذٍ لا حي إلا هو. واعلم أن الحي عبارة عن الدراك الفعال، والدراك إشارة إلى العلم التام، والفعال إشارة إلى القدرة الكاملة، ولما نبه على هاتين الصفتين من صفات الجلال نبه على الصفة الثالثة

[١٥٤٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/ ٥٣٠.

[١٥٤٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/ ٥٣٠.

وهي: الوحدانية بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. ولما وصفه بهذه الصفات أمر العباد بشيئين: أحدهما: بالدعاء. والثاني: بالإخلاص فيه، فقال: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ويجوز أن يكون المراد أنه لما كان موصوفاً بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال رب العالمين. ولما بيّن صفات العظمة قال: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فأورد ذلك على المشركين لأن صريح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق إلا به، وأن جعل الأحجار المنحوتة والخشب المصورة شركاء له في المعبودية مستنكر في بديهة العقل. ولما بيّن أنه تعالى نهى عن عبادة غير الله بيّن أنه أمر بعبادة الله تعالى فقال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾. ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ واعلم أنا قد ذكرنا أن الدلائل على قسمين: دلائل الآفاق، والأنفس. أما دلائل الآفاق فكثيرة، والمذكور منها في هذه الآية أربعة: الليل، والنهار، والأرض، والسماء. وأما دلائل الأنفس فقد ذكرنا أنها على قسمين: أحدهما: الأحوال الحاضرة حال كمال الصحة وهي أقسام كثيرة، والمذكور منها ههنا ثلاثة أنواع: الصورة، وحسن الصورة، ورزق الطيبات. وأما القسم الثاني: وهو كيفية تكون هذا البدن من ابتداء كونه نطفة إلى آخر الشيخوخة والموت فهو المذكور في هذه الآية فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ثم إن ذلك التراب يصير نطفة، ثم علقة، ثم بعد كونه علقة مراتب كثيرة إلى أن ينفصل من بطن الأم، وبعد الانفصال يكون على مراتب: أولها: كونه طفلاً، وثانيها: أن يبلغ أشده، وثالثها: الشيخوخة، وهذا ترتيب صحيح مطابق للعقل، وذلك لأن الإنسان في أول عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء وهو المسمى بالطفولية، وهو أول المراتب الذي بعد الانفصال.

والثانية: أن يبلغ إلى كمال الشيء من غير أن يكون قد حصل فيه نوع من أنواع الضعف، وهذه المرتبة هي المراد من قوله: ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾.والثالثة: أن يتراجع ويظهر فيه أثر من آثار الضعف والنقص، وهذه المرتبة هي المراد من قوله: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾، ثم قال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطاً. ثم قال: ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى﴾ ومعناه يفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى وهو وقت الموت. وقيل: يوم القيامة. ثم قال: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في هذه الأحوال العجيبة من أنواع وأقسام الدلائل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ اعلم أنه تعالى لما ذكر انتقال الأجسام من كونه ترابا، إلى كونه طفلا، ثم إلى بلوغ الأشدّ، ثم إلى الشيخوخة، وليستدل بهذه التغيرات على وجود الإله القادر، قال بعده: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني كما أن الانتقال من صفة إلى صفة أخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على الإله القادر، فكذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وبالعكس يدل على الإله القادر. قوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فيه وجوه: الأول: أنه إذا لم ينقل هذه الأجسام من بعض هذه الصفات إلى صفة أخرى لم يتعب في ذلك التصرف ولم يحتج إلى آلة وأداة، فعبّر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما إذا قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. الوجه الثاني: أنه عبّر عن الإحياء والإماتة بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فكأن الانتقال من كونه ترابا، [إلى كونه][١٥٤٨] نطفة، ثم إلى كونه علقة انتقالات تحصل على التدرج قليلاً قليلاً،

[١٥٤٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٣٢.

وأما صيرورة الحياة فهي إنما تحصل لتعليق جوهر الروح النطقية، وذلك يحدث دفعة واحدة، فلهذا السبب وقع التعبير عنه بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. الوجه الثالث: أن من الناس من يقول إن تكون الإنسان إنما ينعقد من المني والدم في الرحم في مدة معينة وبحسب انتقالاته من حالات إلى حالات، فكأنه قيل إنه امتنع أن يكون كل إنسان عن إنسان آخر، لأن التسلسل محال، فلا بد من الاعتراف بإنسان هو أول الناس، فحينئذٍ يكون حدوث ذلك الإنسان لا بواسطة المني والدم، بل بإيجاد الله تعالى ابتداء، واخبر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾."[١٥٤٩]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، "اعلم أنه تعالى عاد إلى ذمّ الذين يجادلون في آيات الله فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ وهذا ذم لهم على أن يجادلوا في إنكار آيات الله ودفعها والتكذيب بها، فعجب تعالى منهم بقوله: ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ كما يقول الرجل لمن لا [يُبيِّن: أنَّى][١٥٥٠] يُذهبُ بك، تعجباً من غفلته. ثم

[١٥٤٩] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٠-٥٣٢.

[١٥٥٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٢.

بيّن أنهم هم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي بالقرآن، ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من سائر الكتب. ثم إنه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ﴾ والمعنى: أنه يكون في أعناقهم الأغلال والسلاسل، يسحبون بتلك السلاسل في الحميم، أي الماء المسخن في نار جهنم. ﴿يُسْجَرُونَ﴾ السجر في اللغة الإيقاد في التنور، ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ (٦) ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ﴾[الهمزة: ٦-٧].

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيقولون: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم. ثم قالوا: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾ وإنما كنا نعبد بعبادتهم شيئاً، ويجوز أيضاً أن يقال: إنهم كذبوا وأنكروا أنهم عبدوا غير الله تعالى، كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأنعام أنهم قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣]. ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قال القاضي: معناه أنه يضلهم عن طريق الجنة، إذ لا يجوز أن يقال يضلهم عن الحجة إذ قد هداهم في الدنيا إليها. وقد يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم، حتى أنهم لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يجد أحدهما الآخر.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ذلكم الإضلال بسبب ما لكم من الفرح والمرح بغير الحق، وهو الشرك وعبادة الأوثان. ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم. ثم قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ

مَّقْسُومٌ﴾[الحجر:٤٤]. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ والمراد منه ما قال في الآية المتقدمة في صفة هؤلاء المجادلين: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ﴾[غافر:٥٦]"[١٥٥١].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، "واعلم أنه تعالى لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين في آيات الله، أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم بسبب المجادلات. ثم قال: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وعنى به ما وعد الرسول من نصرته، ومن إنزال العذاب على أعدائه. ثم قال: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ يعني أولئك الكفار من أنواع العذاب، مثل القتل يوم بدر، فذلك هو المطلوب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل إنزال العذاب عليهم ﴿فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْنُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾[الزخرف:٤١ - ٤٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ والمعنى أنه قال لمحمد: أنت كالرسل من قبلك، وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال بعضهم لك، ولم نذكر حال الباقين. وليس فيهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات إلا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهمّ مثل ما جرى عليك

[١٥٥١] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٣٢-٥٣٣.

فصبروا، وكانوا أبداً يقترحون على الأنبياء إظهار المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد. ثم إن الله تعالى علم الصلاح في إظهار ما أظهره، ولم يكن ذلك قادحاً في نبوتهم، فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة ولما لم يكن إظهارها صلاحاً، لا جرم ما أظهرناها، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. ثم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وهذا ورد عقيب اقتراح الآيات. و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ هم المعاندون الذين يجادلون في آيات الله، ويقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت"[١٥٥٢].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيها مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ فَأَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما أطنب في تقرير الوعيد [عاد][١٥٥٣] إلى ذكر ما يدل على وجود الإله الحكيم الرحيم، وإلى ذكر [الأزواج][١٥٥٤] الثمانية، قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ إلى آخرها. لما ذكر الله تعالى هذه الدلائل الكثيرة وقال: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ يعني هذه الآيات التي عقدناها كلها ظاهرة باهرة. فقوله: ﴿فَأَىَّ

[١٥٥٢] *مفاتيح الغيب*،٥٣٣/٢٧.

[١٥٥٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥٣٤/٢٧.

[١٥٥٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٥٣٤/٢٧.

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ تنبيه على أنه ليس في شيء من الدلائل التي تقدم ذكرها ما يمكن إنكاره"[١٥٥٥].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثاراً فِي الْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ﴾، "اعلم أن الله تعالى رتب ترتيبا لطيفا في آخر هذه السورة، وذلك أنه تعالى ذكر فصلاً في دلائل الإلهيات وكمال القدرة والرحمة والحكمة، ثم أردفه بفصل التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد، والمقصود أن هؤلاء الكافرين الذين يجادلون في آيات الله وحصل الكِبر العظيم في صدورهم، والسبب في كل ذلك طلب الرياسة والتقديم على الغير في المال والجاه، فمن ترك الانقياد للحق [لأجل طلب][١٥٥٦] هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبيّن تعالى أن هذه الطريقة فاسدة، لأن الدنيا فانية ذاهبة، واحتج عليه بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين، ليست إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عدداً وعبيدا ومالاً وجاهاً من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك

[١٥٥٥] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٤.

[١٥٥٦] في الأصل (طلب لأجل)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٥.

المكنة العظيمة والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار، والحسرة والبوار، فكيف يكون حال الفقراء المساكين، أما أنهم كانوا أشد قوة وآثاراً في الأرض، يعني أن لهم حصونا عظيمة، ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها المتقدمون، ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون الجبال بيوتاً. ثم قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني أي شيء أغنى عنهم كثرتهم أو كسبهم. ثم بيّن تعالى أن أولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، واعلم أن الضمير في قوله: ﴿فَرِحُواْ﴾ يحتمل أن يكون عائداً إلى الكفار، وأن يكون عائداً إلى الرسل، أما إذا قلنا إنه عائد إلى الكفار، فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان؟ ففيه وجوه: الأول: أن يكون المراد الأشياء [التي][١٥٥٧] كانوا يسموها بالعلم، وهي الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن، كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[الجاثية:٢٤]، وقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[الأنعام:١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[يس:٧٨]، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[الكهف:٣٦]. [وكانوا][١٥٥٨] يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء، كما قال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون:٥٣]. الثاني: يجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء، وقالوا: نحن قوم مَهدِيُّون فلا حاجة بنا إلى أن يهدينا. الثالث: أن يكون المراد علمهم أمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ

[١٥٥٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٣٥.

[١٥٥٨] في الأصل (وكان)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٣٥.

ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧]. فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله، ومعرفة المعاد، وتطهير النفس عن الرذائل، لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع للفوائد من علمهم، ففرحوا به. أما إذا قلنا الضمير عائد إلى الأنبياء ففيه وجهان: الأول: أن يجعل الفرح للرسل، ومعناه أن الرسل لما رأوا من قومهم جهلاً كاملاً، وإعراضاً عن الحق، وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم، فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم. والثاني: أن يكون المراد فرحوا بما عند الرسول من العلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ البأس شدة العذاب، وهي في وقت معاينة ملائكة العذاب، لأن ذلك الوقت يصير المرء ملجأ إلى الإيمان فذلك الإيمان لا ينفع إنما ينفع مع القدرة على خلافه، حتى يكون المرء [مختاراً][١٥٥٩]، أما إذا عاين علامات الآخرة فلا ينفع. ثم قال تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾ والمعنى أن عدم قبول الإيمان حال البأس سنة الله مطردة في كل الأمم. ثم قال تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ مكان مستعار للزمان. أي وخسروا وقت رؤية البأس"[١٥٦٠].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

[١٥٥٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٦.
[١٥٦٠] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٤-٥٣٦.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ "أي ذلكم المتجلي بأفعاله وصفاته الله الموصوف بجميع الصفات، ربكم بأسمائه المختصة بكل واحدة من أحوالكم. ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ في الوجود يخلق مايشاء ويظهر بصفة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ عن طاعته إلى إثبات الغير. كذلك يؤفك الجاحدون بآيات الله حين لم يعرفوها إذ نسبوها إلى الغير.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ لبعد مناسبتهم له واحتجاهم بظلماتهم عن النور. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وبال أمرهم.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ أي أغلال قيود الطبائع المختلفة، ﴿فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ أي وسلاسل الحوادث الغير المتناهية ممنوعين بها عن الحركة إلى مقاصدهم ﴿يُسْحَبُونَ (٧١) فِي﴾ حميم الهوى والجهل، ثم ﴿يُسْجَرُونَ﴾ في نار الأشواق إلى المشتهيات واللذات الحسية مع فقدها، ووجدان الآلام المؤذية بدلها، فاقدين لما احتجبوا بها ووقفوا معها قائلين: ﴿لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾ على أن ما عبدوه وضيعوا أعمارهم في عبادته ليس بشيء، فضلا عن إغنائه منهم شيئا. ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ذلكم العذاب بسبب فرحكم بالباطل الزائل الفاني في الجهة السفلية، ونشاطكم به لمناسبة نفوسكم الكدرة الظلمانية البعيدة عن الحق. ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ بحسب رذائلكم، فإن لكل صفة من صفات النفس التي تنجذب إليها إلى عالم الرجس باب من أبواب جهنم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لرسوخ رذائلكم، واستحكام حجابكم. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ برذيلة الكفر.

﴿فَلَمَّآ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي المحجوبون بالعقول المشوبة بالوهم، وبمعقولهم الخالي عن نور الهداية والوحي، إذ جاءهم الرسل بالعلوم الحقيقية

التوحيدية، والمعاني الحقانية الكشفية، فرحوا بعلومهم، وحجبوا بها عن قبول هدايتهم، واستهزؤوا برسلهم لاستصغارهم بما جاؤوا به في جنب علومهم، فحاق بهم جزاء استهزائهم، وهلكوا عن آخرهم"[١٥٦١].

[١٥٦١] تفسير ابن عربي، ٢/١٩٧-١٩٩.

٨.٢ سورة فصلت[١٥٦٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

"بسم الله مفصل الآيات، الرحمن مقدر الأقوات، الرحيم منزل البشارات، وهذه السورة مكية، وهي أربع وخمسون آية. وقيل: ثلاث. والاختلاف في قوله: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت:١٣]. وكلماتها سبعمائة وأربع وتسعون. وحروفها ثلاثة آلاف ومائتان وخمسة وثمانون. وانتظام أول السورة بآخر تلك السورة أنه ذكر في آخر تلك السورة خسران الكافرين، وذكر في أول هذه السورة سبب خسرانهم وهو الإعراض عن تفهم الكتاب المبين. وانتظام السورتين أنهما في ذكر المؤمنين ومواعيدهم، والكفار ووعيدهم"[١٥٦٣].

وروى أبيّ بن كعب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ حمّ السجدة أعطي بعدد كل حرف عشر حسنات، ومُحيَ عنه عشر سيئات"[١٥٦٤].

[١٥٦٢] في الأصل (سورة السجدة)، ومن أسمائها (حم السجدة) بإضافة حم إلى السجدة، وقيل سبب تسميتها بذلك أنها تميزت عن الحواميم بأن فيها سجدة من سجود القرآن. ابن الهائم: أحمد بن محمد بن عماد الدين (ت. ٨١٥)، *التبيان في تفسير غريب القرآن*، تحقيق: د.ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط (١)، ١٤٢٣هـ، ص:٢٨٧. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت. ١٣٩٣)، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م،٢٤/٢٢٧.

[١٥٦٣] *التيسير في التفسير*، ١٣/ ١٤٧.

[١٥٦٤] الثعلبي: *الكشف والبيان*،٢٣/٢٤٨. الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*،٣/٢٣٠، رقم (١١٤١). الواحدي: *الوسيط*،٤/٢٤، رقم (٨١٠). ابن الجوزي: *الموضوعات*،١/٢٤٠. وهذا الحديث موضوع.

﴿حم (١)تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ يعني قض ماهو كائن، وما كان، وما يكون.

﴿تنزيلٌ﴾ يعني نزل بهذا القرآن جبريل – عليه السلام –. ﴿تنزيلٌ﴾ مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ خبره. وقيل: ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، ﴿تنزيلٌ﴾ خبره، يعني هذه السورة منزلة من الله تعالى، مصدر بمعنى المفعول.

﴿كِتَٰبٌ﴾ أي هو كتاب. ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي بُيِّنت يعني القرآن. ويقال: فسّر دلائله وعجائبه وحججه. ويقال: بيّنَ حلاله وحرامه. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي وقع تفصيله بلسان عربي.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي يصدقون ويقرّون. ويقال: فيعلمون مافيه ويفهمونه ولو كان غير عربي لم يعلموا و لم يفهموا مافيه.

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ يعني بشيرا للمؤمنين بالجنة، ونذيرا للكافرين بالنار. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أعرض أكثر أهل مكة. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي ينفرون عن سماعه كما قال: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[الإسراء:٤٦]،﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰـذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾[فصلت:٢٦]. يعني لا يسمعون سمعاً ينفعهم، لأنهم لا يجيبون، ولا يطيعون.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ يعني في غلاف لا نفقه ما تقول. ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ يعني ثقلاً فلا نسمع قولك. يعني نحن في استماع قولك، كالأصمّ [لا نسمع][١٥٦٥] ما تقول. ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ يعني ستر، وغطاء. ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ يعني اعمل أمرك، ونعمل على أمرنا. ويقال: اعمل في هلاكنا، إنا عاملون في هلاكك. وروى عن محمد بن كعب القرظي عمّن حدثه: أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في قريش: ألا أقوم إلى هذا الرجل، فأكلمه، وأعرض عليه أموراً، لعله يقبل منا بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا، وذلك حين رأوا أصحاب النبيّ ﷺ يزيدون، ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد. فقام عتبة: حتى جلس إلى رسول الله ﷺ [فقال][١٥٦٦]: يا ابن أخي إنك منا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وعبت دينهم، وكفرت من

[١٥٦٥] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢١٧.

[١٥٦٦] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢١٨.

مضى من آبائهم، فإن كنت إنما تريد بما جئت به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت تريد شرفاً شرفناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن [كان][١٥٦٧] هذا الذي يأتيك رئياً تراه، خيالاً لا تستطيع أن تردّه عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا لك أموالنا حتى نبريك [منه][١٥٦٨]، فإنه ربما غلب الفعل على الرجل، حتى يداوى منه. فلما فرغ منه، قال رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ (١)تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ الآية، فقام عتبة، وجاء إلى أصحابه. فقال بعضهم لبعض: تالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجه الذي ذهب، فلما جلس إليهم قال:سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهنة. يا معشر قريش أطيعوني، وخلوا بين الرجل، وبين ما هو فيه. فقال: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[١٥٦٩]. قال مجاهد و السُّدِّيّ – رحمهما الله –: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي في أغطية. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي صم وقّره الله تعالى، أي أصمّه. ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فلا نبصرك. وقيل: ساتر من جهة الدين والتباين في العبادة، فلا تطمعنّ

[١٥٦٧] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢١٨.

[١٥٦٨] في الأصل (منك)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢١٨.

[١٥٦٩] البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت. ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي،٢/٢٠٤. ابن كثير: البداية والنهاية،٤/١٥٨–١٦٠. البغوي: معالم التنزيل،٤/١٢٨،١٢٩.

في استماعنا عنك. ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ أي فاعمل عملك فإنا نعمل عملنا. وقيل: دع دعاءنا إلى دينك فإنا قد تركنا دعاك إلى ديننا"[١٥٧٠].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ "أي مناسب لكم في الخلق، وإني أريد الخير لكم، ولست أدعي أني ملِك أو ملَك لتنفروا عني. فلا تدع لذلك دعاءهم و﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي يوحي الله إلي. ﴿أَنَّما إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحِدٌ﴾ لا شريك له، وهو الذي تقرّون أنه خالقكم ورازقكم ومدبر أموركم. ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ يعني أقرّوا له بالتوحيد. ويقال: وجّهوا وجوهكم بالعبادة والدعاء، ولا تعدلوا عنه إلى غيره. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي سلوه أن يغفر لكم ماسلف من ذنوبكم. وقيل: أي آمنوا به فإنه الله تعالى، وهو عليه مغفرة ماقد سلف"[١٥٧١]. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ "أي شدة العذاب للمشركين. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني لايؤتون الزكاة ولايقرّون بها. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يعني بالبعث بعد الموت.

ثم وصف المؤمنين فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني صدّقوا بالله وأدّوا الفرائض. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يعني غير منقوص. ويقال: غير مقطوع"[١٥٧٢].

"وقال السُّدِّيّ – رحمه الله –: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ يعني بالتوحيد. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ يعني من الشرك.

[١٥٧٠] *بحر العلوم*،٣/٢١٧–٢١٨.

[١٥٧١] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٥٠–١٥١.

[١٥٧٢] *بحر العلوم*، ٣/٢١٩.

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي لايقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهي زكاة الأنفس. وقال الضحاك: أي لا ينفقون في الطاعة"[١٥٧٣].

"وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ﴾ بِٱلَّذِى اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التهديد والزجر. يعني أإنكم لتكفرون بالخالق الذي ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ يعني في يوم الأحد والاثنين. ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗا﴾ يعني تصفون له شريكا من الآلهة. ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يعني الذي خلق الأرض، فهو ربّ جميع الخلائق، ولو أراد الله أن يخلقها في لحظة واحدة لفعل ذلك، وكان قادراً. ولكن أحب أن يبصر الخلق وجوه الأناة، والقدرة على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة، وفي لحظة واحدة سواء، لأن الخلق عاجزون عن مثقال ذرة، وكان ابتداء خلق الأرض في يوم الأحد، وإتمام خلقها في يوم الاثنين.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا﴾ يعني خلق في الأرض رواسي. يعني الجبال الثوابت من فوقها. ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بالماء، والشجر. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ يعني قسم فيها الأرزاق. وقال عكرمة: يعني في هذه الأرض. وعنه أيضا قال: كل قرية فيها عمل لا يصلح في الأخرى. وعن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: يا ربّ وما أكتب؟ قال: اكتب القدر يجري بما يكون في ذلك اليوم إلى يوم القيامة. ثم خلق النون، ثم رفع بخار الماء، ففتق منه السماوات، ثم بسط الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون،

[١٥٧٣] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٥٢.

فتحركت الأرض، فأوتدت بالجبال. ثم قال: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ الآخرة. ويقال: من أيام الدنيا. ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ وإتمام العمارات في يومين بعد خلق الأرض"[١٥٧٤]. "وفي الخبر: خلق الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق الشجر، والماء، والعمران، والخراب يوم الأربعاء، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم، والشمس، والقمر، والملائكة، وآدم. "﴿سَوَآءٍ﴾ بالجر نعتا لأربعة أيام، وهو قراءة يعقوب أي مستويات. وقرأ أبو جعفر: ﴿سَوَآءٌ﴾ بالرفع، أي هُنَّ سواءٌ، أي مستويات. وقرأ العامة: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب على المصدر، وتقديره استوت استواء للسائلين. قال قتادة و السُّدِّيّ: هو سؤال الاستخبار"[١٥٧٥].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو قوله: ﴿كُنْ﴾. "ويقال: عمد إلى خلق السماء، يعني صعد أمره إلى السماء. ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ يعني السماء بخار الماء كهيئة الدخان. وذلك أنه لما خلق العرش، لم يكن تحت العرش سوى الماء كما قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود:٧]، ثم ألقى الحرارة على الماء حتى ظهر منه البخار، فارتفع بخاره كهيئة دخان، فارتفع، وألقى الريح على الماء، فزبدت الماء، فخلق الأرض من الزبد، وخلق السماء من الدخان وهو البخار. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ يعني فقال للسماء، والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يعني أعطيا الطاعة، كرها أو طوعا. يعني بالمعرفة لربكما، والذكر له طوعا، أو كرها. ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فأعطيا الطاعة بالطوع. ويقال: كانت السماء رتقاً على المطر،

[١٥٧٤] *بحر العلوم*، ٣/٢١٩.

[١٥٧٥] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٥٤-١٥٥.

والأرض عن النبات، فقال لهما: آئ َتِيَا يعني أعطيا، وأخرجا ما فيكما من المطر، والنبات منفعة للخلق إن شئتما طائعين، وإن شئتما كارهين. ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ يعني أخرجنا ما فينا طائعين غير كارهين. وروي عن مجاهد أنه قال: معناه يا سماء أبرزي شمسك، وقمرك، ونجومك، ويا أرض أخرجي نباتك طوعاً، أو كرهاً. ويقال: هذا على وجه المثل، يعني: أمرهما بإخراج ما فيهما، فأخرجتا طائعتين"[١٥٧٦].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿حمٓ (١)تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)﴾

"اعلم أن قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ يحتمل أن يكون اسما للسورة، وبحث هذا اللفظ قد مرّ في التفسير الأول. وأنه تعالى حكم على السورة [المسماة][١٥٧٧] بـــ ﴿حمٓ﴾ بأشياء: أولها: كونها تتريلاً، والمراد المترّل، والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور، كقوله: هذا بناء الأمير أي مبنيّه، وهذا الدرهم ضَرْبُ السلطان أي مضروبه، والمراد من كونها مترلاً أن الله تعالى

[١٥٧٦] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٠.

[١٥٧٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٧.

كتبها في اللوح المحفوظ، وأمر جبريل – عليه السّلام – أن يحفظ الكلمات، ثم ينزل بها على محمد ﷺ ويبلغها إليه، فلما حصل تفهيم هذا الكلام بواسطة نزول جبريل – عليه السّلام – سمي بذلك تنزيلاً. وثانيها: كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم، وذلك يدل على كون التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى، لأن الفعل المقرون بالصفة لا بدّ وأن يكون مناسباً لتلك الصفة، فكونه تعالى رحماناً رحيماً صفتان دالتان على كمال الرحمة، فالتنزيل المضاف إلى هاتين الصفتين لا بد وأن يكون دالاً على أعظم وجوه النعمة، والخلق في هذا العالم كالمرضى والزمنى والمحتاجين، والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية وعلى كل ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية، فكان أعظم النعم من الله على أهل هذا العالم إنزال القرآن. وثالثها: كونه كتاباً، وقد بيّنا أن هذا الاسم مشتق من الجمع، وإنما سمي كتاباً لأنه جمع فيه الأولين والآخرين. ورابعها: قوله ﴿فُصِّلَتْ﴾ والمراد أنه [فرقت][١٥٧٨] آياته، وجعلت تفاصيل في معان مختلفة، فبعضها وصف ذات الله تعالى، وشرح صفات التنزيه والتقديس، وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، وعجائب أحوال خلقه السماوات والكواكب، وتعاقب الليل والنهار، وعجائب أحوال النبات والحيوان والإنسان، وبعضها في أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح، وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب درجات أهل الجنة ودرجات أهل النار، وبعضها في المواعظ والنصائح، وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس، وبعضها في قصص الأولين وتواريخ الماضين، وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في يد الخلق كتاب فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة. وخامسها: قوله:

[١٥٧٨] في الأصل (مترتب)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٣٨ .

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وقوله: ﴿قُرْءَانًا﴾ نصب على الاختصاص والمدح، أي أُريد بهذا الكتاب المفصل قرآناً. وقيل: هونصب على الحال. وسادسها: قوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾ والمعنى هذا القرآن إنما نزل بلغة العرب، وتأكد هذا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[إبراهيم:٤]. وسابعها: قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ والمعنى إنا جعلناه عربياً ليفهموا المراد منه. وثامنها وتاسعها: قوله: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ يعني بشيراً للمطيعين بالثواب، ونذيراً للمجرمين بالعقاب. قوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ يدل على أن الهادي من هداه الله تعالى، وأن الضال من أضله الله، وتقريره أن الصفات المذكورة للقرآن توجب قوة الاهتمام بمعرفته وبالوقوف على معانيه، لأنا بيّنا أن كونه نازلاً على محمد ﷺ من عند الإله الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على أفضل المنافع وأجلّ المطالب، وكونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ مفصلاً يدل على أنه في غاية الكشف والبيان، وكونه ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ يدل على أن الاحتياج إلى فهم ما فيه من أهم المهمات، لأن سعي الإنسان في معرفة ما يوصله إلى الثواب أوإلى العقاب من أهم المهمات، [لأن سعي الإنسان في معرفة ما يوصله][١٥٧٩] وقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في الرغبة فهي في فهم القرآن وفي شدة الميل إلى الإحاطة به، ثم مع ذلك فقد أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ونبذوه وراء ظهورهم، وذلك يدل على أنه لا يهتدي إلا من هداه الله تعالى، ولا مضل إلا من أضله الله تعالى"[١٥٨٠].

[١٥٧٩] تكرار وزيادة في الأصل.

[١٥٨٠] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٣٧-٥٤٠.

"واعلم أنه تعالى لما وصف القرآن بأنهم أعرضوا عنه، بيّن أنهم [صرحوا][١٥٨١] بهذه النفرة والمباعدة، وذكروا ثلاثة أشياء: أحدها: أنهم [قالوا][١٥٨٢]:﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾، وأكِنّة جمع [كنان][١٥٨٣] كأغطية جمع غطاء، والكنان هو الذي يُجعلُ [فيه][١٥٨٤] السّهام. وثانيها: قوله: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ومعنى الوقر قد مرّ. وثالثها: قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية. واعلم أنهم لما وصفوا أنفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ يعني فاعمل في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك.

ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الشبهات أمر محمدا ﷺ أن يجيب عنها بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾[ص:٦٥]، و﴿إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾. وبيان هذا الجواب كأنه يقول: إني لا أقدر أن أحملكم على الإيمان جبراً وقهراً فإني بشر مثلكم، ولا امتياز بيني وبينكم إلا بمجرد أن الله عز وجلّ أوحى إليّ وما أوحى إليكم، فأنا أبلغ هذا الوحي إليكم، ثم بعد ذلك إن شرفكم الله بالتوفيق قبلتموه، وإن لم تقبلوه خذلكم الله بالحرمان. [ثم بيّن أن خلاصة ذلك الوحي ترجع إلى أمرين][١٥٨٥]: العلم والعمل، أما العلم فالرئيس فيه التوحيد، وذلك لأن الحق هو أن الله واحد وهو المراد من قوله: ﴿أَنَّما إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ

[١٥٨١] في الأصل (خرجوا)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٠.

[١٥٨٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٠.

[١٥٨٣] في الأصل (كنا)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٠.

[١٥٨٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٠.

[١٥٨٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤١.

واحِدٞ﴾ وإذا كان الحق في نفس الأمر ذلك وجب علينا أن نعترف به، وهو المراد من قوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ وهذا هو المراد من العمل. ونظيره قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[فصلت:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣]. وفي قوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ وجهان: الأول: فاستقيموا متوجهين. والثاني: أن يكون قوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ معناه فاستقيموا له، لأن حروف الجر يقام بعضها مقام بعض"[١٥٨٦].

"واعلم أن التكليف له ركنان: أحدهما: الاعتقاد، والرأس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد، فلما انتقل إلى وظيفة العمل والرأس والرئيس فيه الاستغفار، فلهذا السبب قال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾. ولما رغب الله تعالى في الخير والطاعة أمره بالتحذير عما لا ينبغي، فقال: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ واعلم أن العقول والشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادات مربوطة بأمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله. وذلك لأن الموجود، إما الخالق وإما الخلق، فأما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معه أن يقر بكونه موصوفاً بصفات الجلال والعظمة، ثم يأتي بأفعال دالة على كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لأمر الله تعالى. وأما الخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم أن يسعى في دفع الشر عنهم وفي إيصال الخير إليهم، وذلك هو المراد من قوله الشفقة على خلق الله، فثبت أن أعظم الطاعات التعظيم لأمر الله للإقرار بكونه واحد، وإذا

[١٥٨٦] مفاتيح الغيب، ٢٧/٥٤١.

كان هذا التوحيد أعلى المراتب وأشرفها كان ضده وهو الشرك أخس المراتب وأرذلها، ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق هو إظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الأعمال، لأنه ضد الشفقة على خلق الله تعالى، وإذا عرفت هذا فنقول إنه تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفاً بصفات ثلاثة: أولها: أن يكون مشركاً، وهو ضد التوحيد. وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾. وثانيها: كونه ممتنعاً من الزكاة، وهو ضد الشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. وثالثها: كونه منكراً للقيامة، مستغرقاً في طلب الدنيا ولذاتها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾. وتمام الكلام في أنه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة، لأن الإنسان له ثلاثة أيام: الأمس، واليوم، والغد. أما معرفة أنه كيف كانت الأحوال بالأمس في الأزل فهو معرفة الأزلي الخالق لهذا العالم، وأما معرفة أنه كيف ينبغي وقوع الأحوال في اليوم الحاضر فهو الإحسان إلى أهل العالم بقدر الطاعة، وأما معرفة الأحوال في اليوم المستقبل فهو الإقرار بالبعث والقيامة، وإذا كان الإنسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في غاية الجهل والضلال، فلهذا حكم الله عليه بالويل، فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ وهذا ترتيب في غاية الحسن. الوجه الثاني: في تقرير كيفية النظم أن يقال: المراد بقوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي لا يزكون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم: لا إله إلا الله، وهو مأخوذ من قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[١٥٨٧] [الشمس:٧]. الثالث: قال الفرّاء: إن قريشاً كانت تطعم الحاج، فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ.

[١٥٨٧] في الأصل (وما زكاها)، وهو خطأ في كتابة الآية.

ثم إنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار، أردفه بوعد المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وتفسيره قد مرّ. وقيل: نزلت في المرضى والزمنى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون"[١٥٨٨].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما أمر محمداً ﷺ في الآية الأولى أن يقول: ﴿إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أردفه بما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الأصنام في الإلهية والعبودية، وذلك يبيّن كمال قدرته وحكمته في خلق السماوات والأرض في مدة قليلة، فمن هذه صفته كيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة شركاء له في الإلهية والمعبودية؟ فهذا تقرير النظم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ استفهام [بمعنى الإنكار][١٥٨٩]، وقد ذكر منهم شيئين منكرين: أحدهما: الكفر بالله. وهو قوله تعالى: ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾. وثانيهما: إثبات الشركاء والأنداد. ويجب أن يكون الكفر المذكور مغايراً لإثبات الأنداد، وضرورة أنه عطف أحدهما على الآخر يوجب التغاير، والأظهر أن المراد من كفرهم وجوه: الأول: قولهم إن الله تعالى لا يقدر على إحياء الموتى، فلما نازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد

[١٥٨٨] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٤٢-٥٤٣.

[١٥٨٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٤٣.

كفروا بالله تعالى. والثاني: أنهم كانوا ينازعون في بعثة الأنبياء، وكل ذلك قدح في الصفات الإلهية المعتبرة في الله، وهو كفر بالله. والثالث: أنهم كانوا يضيفون إليه الأولاد، وذلك أيضاً قدح في الإلهية وقد يوجب الكفر، فالحاصل أنهم كفروا بالله لأجل قولهم بهذه الأشياء، وأثبتوا الأنداد أيضاً لله لأجل قولهم بإلهية تلك الأصنام، واحتج تعالى [على][١٥٩٠] فساد قولهم بالجهتين فقال: كيف يجوز الكفر بالله، وكيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة أنداداً لله تعالى، مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين، وتمم فيهما مصالحها في يومين آخرين، وخلق السماوات بأسرها في يومين آخرين؟ فمن قدر على خلق هذه الأشياء العظيمة، كيف يعقل الكفر به وإنكار قدرته على الحشر والنشر؟ وكيف يعقل إنكار قدرته على التكليف وعلى بعثة الأنبياء؟ وكيف يعقل جعل هذه الأصنام الخسيسة أنداداً له في العبودية والإلهية؟. وأما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته أنه خلق الأرض في يومين هو ربّ العالمين وخالقهم ومبدعهم، فكيف أثبتم له أنداداً من الخشب والحجر؟.

ثم إنه تعالى لما أخبر عن كونه خالقاً للأرض في يومين أخبر أنه أتى بثلاثة أنواع من الصفات العجيبة والفعل البديع بعد ذلك، فالأول: قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ والمراد منها الجبال، وقد تقدم تفسير كونها ﴿رَوَٰسِيَ﴾. والنوع الثاني مما أخبر الله تعالى في هذه الآية قوله: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ والبركة الخير والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر مما يحيط به

[١٥٩٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٤٤.

الشرح والبيان. والنوع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾، وفيه أقوال: الأول: أن المعنى وقدر فيها أقوات أهلها ومعايشهم وما يصلحهم، قال محمد بن كعب: قدر أقوات الأبدان قبل أن يخلق الأبدان. والقول الثاني: قال مجاهد: وقدر فيها أقواتها من المطر، وعلى هذا القول فالأقوات للأرض لا للسكان، والمعنى أن الله تعالى قدر لكل أرض [حظها][١٥٩١] من المطر. والقول الثالث: أن المراد من إضافة القوت إلى الأرض كونها متولدة في تلك الأرض، وحادثة فيها"[١٥٩٢].

"ولما ذكر الله تعالى هذه الأنواع الثلاثة من التدبير قال بعده: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾، قال الزجاج: قوله: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي في تتمة أربعة أيام، فالتقدير وقَدَّر فيها أقواتها في تتمة أربعة أيام لأجل السائلين أي الطالبين للأقوات المحتاجين إليها.

ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الأرض وما فيها أتبعه بكيفية تخليق السموات فقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها، من غير صارف يصرفه عن ذلك. وقوله: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ والقصة في ذلك مرّت. وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ والمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف، ايتِ يا أرض مدحوة قراراً ومهاداً، أو ايتِ يا سماء [مقببةً سقفاً][١٥٩٣] لهم، ومعنى الإتيان الحصول والوقوع على وفق المراد، ويجوز أن

[١٥٩١] في الأصل (حفظها)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٥.

[١٥٩٢] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٤٤-٥٤٥.

[١٥٩٣] في الأصل (معينة سبعا)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٨.

يكون المعنى [لتأتي][١٥٩٤] كل واحدة منكما مع صاحبتها الإتيان الذي تقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قراراً للسماء، وكون السماء سقفاً للأرض"[١٥٩٥].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

"قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ ظهور الحقّ بالصورة المحمدية. ﴿تَنزِيلٌ﴾ الكتاب الجامع لجميع الحقائق. ﴿مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ أي من الذات الأحدية الموصوفة بالرحمة الرحمانية العامة للكل، بإفاضة الوجود والكمال عليه، والرحيمية الخاصة بالأولياء المحمديين، المستعدين لقبول الكمال الخاص.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ﴾ أي هو كتاب فصلت آياته بالتنزيل بعد ما أجملت قبله في عين الجمع، حال كونه ﴿قُرْءَانًا﴾ أي فصل بحسب ظهور الصفات، وحصول الاستعداد في حال كونه جامعا للكل. ﴿عَرَبِيًّا﴾ لوجود نشأته في العرب. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ حقائقه وآياته لقرب استعداداهم منه وصفاء فطرهم.

﴿بَشِيراً﴾ للقابلين المستعدين للكمال، المستبصرين بنوره باللقاء ﴿وَنَذِيراً﴾ للمحجوبين بظلمات نفوسهم من العقاب. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ لاحتجاهم بالأغيار، وبقائهم في ظلمات الاستتار. ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ كلام الحق لوقر سمع القلب كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِي

[١٥٩٤] في الأصل (أن)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٤٨.

[١٥٩٥] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٤٦-٥٤٨.

أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ﴾ لأن غشاوات الطبيعة، وحجب صفات النفوس أعمت أبصارهم، وأصمت آذانهم، وجعلتها في أغطية وأكنة، وحجبت بينهم وبينه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعني أنا من جنسكم وأنا منكم في البشرية والمماثلة النوعية، الموجبة للإنس والخلطة، وأباينكم بالوحي المنبه على التوحيد المبين، فاتصلوا بي بالمناسبة النوعية ومجانسة البشرية لتهتدوا بنور التوحيد والوحي المفيد لبيان الدين، وتسلكوا سبيل الحق الذي عرفته بقوله: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له في الوجود ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ﴾ بالثبات على الإيمان والسكينة والإيقان في التوجه ﴿إِلَيْهِ﴾ من غير انحراف إلى الباطل والطرق المتفرقة ولا زيغ بالالتفات إلى الغير والميل إلى النفس ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ بالتنصل عن الهيئات المادية والتجرد عن الصفات البشرية ليستر بنور صفاته صفات ذنوبكم. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي ويل للمحتجبين بالغير. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لا يزكون أنفسهم بمحو صفاتها. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ لسترهم النور الفطري المقتضي الشوق إلى عالم القدس، ومعدن الحياة الأبدية بظلمات الحس، وهيئات الطبيعة البدنية.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي في حادثين. ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أي أكثر خيرها في تلك الأرض. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾ معايشها وأرزاقها. ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ هي الكيفيات الأربع والعناصر الأربعة التي خلق منها المركبات بالتركيب والتعديل ﴿سَوَآءً﴾ مستوية بالامتزاج والاعتدال للطالبين للأقوات والمعايش، أي وقدرها لهم، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قصد إلى إيجادها. ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الأرضية. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي تعلق أمره وإرادته بإيجادهما،

فوجدتا في الحال معا، كالمأمور المطيع إذا ورد عليه الآمر المطاع لم يلبث في امتثاله، وهو من باب التمثيل إذ لا قول ثمة"[١٥٩٦]. والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (١٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذا مَا جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ

[١٥٩٦] *تفسير ابن عربي*، ٢/١٩٩-٢٠٠.

الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ (٢٥) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن شرح قضاء السماوات والوحي إليها بقوله تعالى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، أي فأتمّ خلقهن سبعا طباقا بعضها فوق بعض في يومين بعد تلك الأربعة الأيام، فتمّ في ستة أيام، كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[ق:٣٨]. ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[١٥٩٧] يعني أمر أهل كل سماء بما أمر. قال السُّدِّيّ – رحمه الله –: يعني جعل فيها ما أراده من ملك وغيره. وقال قتادة: أي خلق فيها شمسا، وقمرا، ونجوما. ﴿وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ﴾ أي زينا السماء التي تدنو من أهل الأرض بسراج وهو النجوم. ﴿وَحِفْظاً﴾ يعني من الشياطين أن [يسترقوا][١٥٩٨] السمع. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي ما ذكر من خلق السماوات والأرض وغير ذلك. تقدير منه على ما علم فيه اتصاله بمصالح عباده ومنافعهم أيضا على ما أراد، لأنه عزيز منيع لايغالب ولا

[١٥٩٧] سقط من الأصل (سماء)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٥٩٨] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم، ٣/٢٢٠.

ينازع، عليم بالعواقب وبمقادير الأمور، وحوائج الخلق. وقال مقاتل بن حيان – رحمه الله –: نزلت هذه الآيات في أبي جهل، وأبي سفيان، وعتبة، وشيبة بن ربيعة، اجتمعوا في دار أبي طالب، وخاصموا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآيات. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ يعني عن الإسلام. ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ يعني خوفتكم. ﴿صَٰعِقَةً﴾ يعني عذاباً مهلكا هائلا يزيل العقول قبل زهوق الروح. ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي مثل عذاب حلّ بعاد وثمود"[١٥٩٩]. قال مقاتل: "كان عاد وثمود ابني عم، وموسى وقارون ابني عم، وإلياس واليسع ابني عم، وعيسى ويحيى ابني خالة"[١٦٠٠]. "ومعنى الآية إن لم يعتبروا فيما وصفت لهم من قدرتي، وعظمتي، في خلق السماوات والأرض، وأعرضوا عن الإيمان. فقل: أنذرتكم عذاباً مثل عذاب عاد وثمود، أنه يصيبكم مثل ما أصابهم. ﴿إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل عاد وثمود. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني من بعد قوم عاد وثمود. ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ اللَّهَ﴾ يعني ألا تطيعوا في التوحيد غير الله. وهذا قول الرسل لقومهم، فأجابهم قومهم: ﴿قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ ولم يرسل إلينا آدمياً. ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَٰفِرُونَ﴾ أي جاحدون.

﴿فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني تعظموا عن الإيمان. ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ استفهام بمعنى النفي، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾ وقوّاهم. ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ يعني أو لم يعلموا علما يقوم مع العيان أن الله أوسع منهم قوة، لأنه قادر على كل شيء بقدرة نفسه، وهم قادرون على بعض الأشياء بإقدار الله إيّاهم، ولو

[١٥٩٩] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٥٧–١٥٨.

[١٦٠٠] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٧٢٣.

شاء الله لسلبهم ذلك. ﴿وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعني جاحدين بما آتاهم هود – عليه السّلام –.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ يعني ريحاً باردة، تحرق كما تحرق النار. ويقال: صرصرا يعني شديد الصوت. ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ يعني أيام شدائد. ويقال: يعني أياما مشؤومات. ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ يعني العذاب الشديد. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قبل عذاب الآخرة. وهذا كقوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ﴾[الروم:٤١]، يعني ليصيبهم بعض العقوبات في الدنيا. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ يعني أشد مما كان في الدنيا. ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني لا يمنعهم أحد من عذاب الله.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يعني بيّنا لهم الحقّ من الباطل، والكفر من الإيمان. وقال مجاهد: فهديناهم أي دعوناهم. ويقال: بيّنا لهم. وقال القتبي: دعوناهم ودللناهم. ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى﴾ يعني اختاروا الكفر على الإيمان. ويقال: اختاروا طريق الضلالة على طريق الهدى. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني فنزل بهم العذاب المهلك المهين بكسبهم، وهو شركهم ومعاصيهم. ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني صالحا. ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ عقر الناقة، يعني يتقون الشرك، والفواحش"[١٦٠١]. "ويقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني الذين صدّقوا بتوحيد الله تعالى، وصدّقوا النبي وكانوا يتقون الكفر والمعاصي"[١٦٠٢].

[١٦٠١] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٢.

[١٦٠٢] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٦٤.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ "يعني يساق أعداء الله، وهم الكفار والمنافقون إلى النار. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يعني يحبس أولهم ليلحق آخرهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ (ما) صلة، يعني جاؤوا النار وعاينوها، قيل لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ فقالوا عند ذلك: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣]. فنختم على أفواههم وستنطق جوارحهم فنطقت بما كتمت الألسن، وذلك قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ يعني آذانهم بما سمعت. ﴿وَأَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعني أعينهم بما نظرت ورأت. ﴿وَجُلُودُهُم﴾ يعني فروجهم. ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني بجميع أعمالهم.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ﴾ يعني لجوارحهم. وقال القتبي: الجلود كناية عن الفروج. ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا﴾ أي الجلود. ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾[١٦٠٣] بالشهادة. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يعني أنطق الدواب، وغيرهم"[١٦٠٤]. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ "يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم كذا ثم كذا حتى صرتم ناسا ناطقين. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة. فمن قدر على هذا كله، قدر على إنطاقنا.

﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ قيل: خطاب الله تعالى لهم. وقيل: هو من كلام الجوارح في خطابهم، أي وما كنتم تتقون شهادة الجوارح عليكم. وقيل: وما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرا من أن تشهد عليكم

[١٦٠٣] في الأصل (أنطق)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٦٠٤] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٣.

الجوارح، أولئلا تشهد عليكم الجوارح. والاستخفاء من الأنفس هو ترك الذنوب أصلا، كما يقال: استح من نفسك. وقيل: معناه وماكنتم لتستروا فتعملوا بغير شهود من جوارحكم، وهذا مما لا يمكن، فهي شهود عليكم لا يمكنكم تكذيبها.

﴿وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ كان طائفة من الكفار بلغ جهلهم أنهم ظنوا أن الله يعلم بعض الأمور، ويخفى عليه بعضها. قال ابن مسعود: اجتمع صفوان بن أميّة، وربيعة، وعبد ياليل في الحطم، فقال أحدهم: أترى الله يسمع مانقول؟ فقال الآخر: إذا رفعنا الصوت، وإذا خفضنا لم يسمع. فقال الثالث: لئن كان يسمع النجوى لقد سمع السرّ. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ﴾ أي ذلك الظن أهلككم. ويقال: ﴿أَرْداكُمْ﴾ يعني أغواكم. ويقال: أهلككم سوء الظن"[١٦٠٥]. وروى الأعمش عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "يقول الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي"[١٦٠٦]. "وقال الحسن: إن المؤمن أحسن الظن بالله، فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بالله، فأساء العمل. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ يعني صرتم من المغبونين.

[١٦٠٥] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٦٦–١٦٨.

[١٦٠٦] البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}[آل عمران:٢٨]، ٩/١٢١، رقم (٧٤٠٥). مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى،٤/٢٠٦١، رقم (٢٦٧٥).

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يعني يسترجعوا من الآخرة، إلى الدنيا. ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ يعني غير مرجوعين إلى الدنيا. ويقال: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ يعني يطلبوا العذر. ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ يعني لا يقبل ولا يسمع منهم عذرهم.

﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ﴾ يعني ألزمناهم قرناء من الشياطين. ويقال: سلّطناهم. ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾ يعني زينوا ماعليه آباءهم من أمر الجاهلية، وماخلفهم يعني تكذيبهم بالبعث. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يعني وجب عليهم العذاب. ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني من قبل أهل مكة. ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ﴾ مثلهم في العقوبة"[١٦٠٧]. "ويقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ أي عمّهم جميعا في العقاب لعمومهم في الارتكاب فهم جميعا خاسرون، وإن تركوا قرناء الخير وهم الدعاة إلى الحقّ والدين، فعوقبوا بالقرناء من الشياطين، وذلك هو الخسران المبين"[١٦٠٨].

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ﴾ "نزلت الآية في أبي جهل، وأصحابه، فإنه قال: إذا تلى محمد القرآن، فارفعوا أصواتكم، بالأشعار في وجوههم، حتى تلبسوا عليهم، فذلك قوله: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ يعني الغطوا، واللغط هو الشغب. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ يعني تغلبوهم فيسكنون. قال الزجاج: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ يعني عارضوا بكلام لا يفهم، يكون ذلك الكلام لغواً.

[١٦٠٧] بحر العلوم، ٣/٢٢٤.

[١٦٠٨] التيسير في التفسير، ١٣/١٧٠.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذاباً شَدِيداً﴾ يعني في الدنيا بالقتل. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ يعني في الآخرة. ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني أقبح ما كانوا يعملون. ويقال: هذا كله من عذاب الآخرة. يعني فلنذيقن الذين كفروا في الآخرة عذاباً شديداً، ولنجزينهم العذاب. أسوأ ما كانوا يعملون يعني بأسوء أعمالهم، يعني الشرك.

﴿ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ أي ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء الله النار، أي ذلك العذاب هو النار. ﴿لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ﴾ يعني في النار موضع المقام. ويقال: لهم في النار مسكن الخلود. ﴿جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾ يعني بالكتاب، والرسول"[١٦٠٩].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ "يعني ويقول هؤلاء الكفار إذا صاروا في النار: ﴿رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ كان سببا لضلالتنا حتى وقعنا في العذاب"[١٦١٠]، لذلك ﴿نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ "ويقال: من الجن يعني إبليس هو الذي أضلنا، ومن الإنس يعني ابن آدم الذي قتل أخاه. ويقال: رؤساؤهم. كقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾[الأحزاب:٦٧] الآية"[١٦١١].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمِآءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ

[١٦٠٩] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٤-٢٢٥.

[١٦١٠] *التيسير في التفسير*، ١٣/١٧٣.

[١٦١١] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٥.

صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (١٤)﴾ "قضاء الشيء إنما هو إتمامه والفراغ منه. اعلم أنه تعالى لما خلق بعض المقدرات في الأيام المذكورة كما ذكر في التفسير الأول وقع الفراغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة. ثم قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ وقد مرّ تفسيره. وقال السُّدِّيّ: ولله تعالى في كل سماء بيت يحج عليه، ويطوف به الملائكة، كل واحد منها مقابل الكعبة، ولو وقعت ماوقعت إلا على الكعبة. ثم قال: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي النيران التي خلقها في السماوات، وخص كل واحد بضوء معين، وطبيعة معينة لايعرفها إلا الله تعالى. ثم قال: ﴿وَحِفْظاً﴾ يعني من الشياطين الذين يسرقون السمع، فأعدّ لكل شيطان نجما يوقعه به ولا يخطئه، فمنها مايحرق ومنها مايقتل. ثم قال: ﴿ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ والعزيز إشارة إلى كمال القدرة، والعليم إشارة إلى كمال العلم.

واعلم أن الكلام إنما ابتدأ من قوله: ﴿أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ﴾[فصلت:٦]، واحتج عليه بقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:٩]، وحاصله أن الإله الموصوف بهذه الصفة والقدرة الكاملة القاهرة كيف يجوز الكفر به؟ وكيف يجوز جعل هذه الأجسام الخسيسة شركاء له في الإلهية؟.

ولما تمم تلك الحجة قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ﴾ يعني إن أعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها، وأصروا على الجهل

والتقليد، ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ والإنذار هو: التخويف، قال المبرد: الصاعقة المهلكة لأي شيء كان.

ثم قال: ﴿إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ وفيه وجهان: الأول: أن الرسل المبعوثين إليهم أتوهم من كل جانب، واجتهدوا بهم، وأتوا بجميع الوجوه في الحيل، فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض، كما حكى الله تعالى عن الشيطان: ﴿لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾[الأعراف:١٧] يعني لآتينهم من كل جهة، ولأعملن فيهم كل حيلة. الثاني: أن الرسل جاءتهم من [قبلهم][١٦١٢] ومن بعدهم، كيف يمكن وصفهم بأنهم جاؤهم؟ كما قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل، وبهذا التقدير كأن جميع الرسل قد جاؤهم.

ثم قال: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ يعني أن الرسل الذي جاؤهم من بين أيديهم ومن خلفهم أمروهم بالتوحيد ونفي الشرك. ثم حكى الله تعالى عن أولئك الكفار أنهم قالوا: ﴿لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ يعني أنهم كذبوا أولئك الرسل، وقالوا الدليل على كونكم كاذبين أنه تعالى لو شاء إرسال الرسل إلى البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة، لأن إرسال الملائكة إلى الخلق أكثر إفضاء إلى المقصود من البعثة والرسالة من الآدمي، ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا: ﴿فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة، فأنتم لستم برسل،

[١٦١٢] في الأصل (قبل)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٥١.

وإذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم، وهو المراد من قوله: ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَٰفِرُونَ﴾.

واعلم أنه تعالى لما [بيّن][١٦١٣] كفر قوم عاد وثمود على الإجمال، بيّن خاصية كل واحدة من هاتين الطائفتين فقال: ﴿فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، وهذالاستكبار فيه وجهان: الأول: إظهارالنخوة، وعدم الالتفات إلى الغير. والثاني: الاستعلاء على الغير. وكانوا مخصوصين بكبر الأجسام وشدة القوة، ثم إنه تعالى ذكر ما يدل على أنه لا يجوز لهم أن يغتروا بشدة قوتهم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فإن كانت الزيادة في القوة توجب كون التناقض في طاعة الكامل، فهذه المعاملة توجب كونهم منقادين لله تعالى، خاضعين لأوامره ونواهيه.

واحتج علماؤنا بهذه الآية على إثبات القدرة لله تعالى، فقالوا القوة ههنا القدرة، فقوله: ﴿ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ويتأكد هذا بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، ثم قال: ﴿وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾.

واعلم أنا ذكرنا أن مجامع الخصال الحميدة الإحسان إلى الخلق والتعظيم للخالق، فقوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مضاد للإحسان إلى الخلق، وقوله: ﴿وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ مضاد للتعظيم للخالق، وإذا كان الأمر كذلك فهم قد بلغوا في الصفات

[١٦١٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٥٢.

المذمومة الموجبة للهلاك [والإبطال إلى الغاية القصوى][١٦١٤] ، فلهذا المعنى سلّط الله العذاب عليهم فقال: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ وتفسيره قد سبق في الأول. وقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أي ذات غبار وتراب لا يكاد يبصر فيه. ثم قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي عذاب الهوان والذل، والسبب فيه أنهم استكبروا، فقابل الله تعالى ذلك الاستكبار بإيصال الخزي والهوان والذل إليهم. ثم قال تعالى: ﴿وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أي أشد إهانة وخزياً. ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي أنهم يقعون في الخزي الشديد، ومع ذلك فلا يكون لهم ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم.

ولما ذكر الله تعالى قصة عاد أتبعه بقصة ثمود، فقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى﴾ وقد مرّ تفسيره. ولما وصف الله تعالى كفرهم ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يريد من شركهم وتكذيبهم صالحاً وعقرهم الناقة.

ولما ذكر الله تعالى الوعيد أردفه بالوعد فقال: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يعني وكانوا يتقون الأعمال التي كان يأتي بها قوم [عاد][١٦١٥] وثمود.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ

[١٦١٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٥٣.

[١٦١٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٥٤.

أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)﴾ واعلم أنه تعالى لما بيّن كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا، أردفه بكيفية عقوبتهم في الآخرة، ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾. قرأ نافع ﴿نَحْشُرُ﴾ بالنون، ﴿أَعْدَآءَ﴾ بالنصب، والتقدير يَحشر اللهُ أعداءَه الكفارَ من الأولين والآخرين إلى النار. وأما الباقون فقرؤوا على فعل ما لم يسمّ فاعله.

واعلم أنه تعالى لما ذكر أن أعداء الله تعالى يحشرون إلى النار قال: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم، أي يوقف سوابقهم حتى يصل إليهم قوائدهم، والمقصود بيان أنهم إذا اجتمعوا سألوا عن أعمالهم.

ثم قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ واختلفوا في كيفية تلك الشهادة، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه. والثاني: أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الحروف والأصوات الدالة على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة. والثالث: أنه يظهر في تلك الأعضاء أحوالاً تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان، وتلك الأمارات تسمى شهادات. ثم حكى الله عنهم أنهم يقولون لتلك الأعضاء: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ومعناه أن القادر على خلقكم وإنطاقكم في المرة الأولى حال ما كنتم في الدنيا ثم على

خلقكم وإنطاقكم في المرة الثانية وهي حالة القيامة والبعث كيف يستبعد منه إنطاق الجوارح والأعضاء؟.

ثم قال تعالى: ﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ فالمعنى أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على [الأعمال][١٦١٦] القبيحة، لأن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لأنهم كانوا منكرين البعث والقيامة، ولكن لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله لا يقبل الأعمال التي يقدمون [عليها][١٦١٧] على سبيل الخفية. وسبب نزول هذه الآية قد سبق في التفسير الأول.

ثم قال تعالى: ﴿وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ وهذا نص صريح في أن من ظن بالله يخرج شيء من المعلومات عن علمه فإنه يكون من الهالكين الخاسرين. قال أهل التحقيق: الظن قسمان: ظن حسن بالله تعالى، وظن فاسد. أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل. قال ﷺ حكاية عن الله عزّ وجلّ: "أنا عند ظن عبدي بي"[١٦١٨]. وقال ﷺ: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله"[١٦١٩]. وظنٌّ قبيح فاسد، وهو أن يظن به تعالى أن يعزب عن علمه بعض الأحوال. وقال قتادة: الظن نوعان: منجي ومردي. فالمنجي قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه﴾[الحاقة: ٢٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ

[١٦١٦] في الأصل (الأقدام)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٥٦.

[١٦١٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٥٦.

[١٦١٨] سبق تخريجه.

[١٦١٩] مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ٤/٢٢٠٦، رقم (٢٨٧٧).

يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[١٦٢٠] [البقرة:٤٦]. وأما الظن المردي فهو قوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾، قال صاحب (الكشاف): ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ رفع بالابتداء، و﴿ظَنُّكُمْ﴾ و﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبران، ويجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدلاً من [﴿وَذَٰلِكُمْ﴾][١٦٢١]، و﴿أَرْدَاكُمْ﴾ الخبر.

ثم قال: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك، وتكون النار مثواهم أي مقاماً. ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[١٦٢٢] [إبراهيم:٢١]، والمعنى إن سألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون، أي لا سبيل لهم إلى ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ (٢٥) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾

[١٦٢٠] سقط من الأصل (يظنون)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٦٢١] في الأصل (ظنكم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٥٧.

[١٦٢٢] في الأصل (ماضم)، وهو خطأ في كتابة الآية.

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفار، أردفه بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر فقال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾، وقد مرّ تفسيره.

واختلفوا في المراد بقوله: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، وذكر الزجاج فيه وجهين: الأول: زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة لا بعث ولا جنّة ولا نار، وما خلفهم من أمر الدنيا، فزينوا أن الدنيا قديمة، وأنه لا صانع إلا الطبائع والأفلاك. الثاني: زينوا لهم أعمالهم التي يعملوها ويشاهدوها، وما خلفهم وما يعرفون أن يعملوه.

ثم قال تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ فقوله: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في محل النصب على الحال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمُ﴾، والتقدير حق عليهم القول حال كونهم كائنين في جملة أمم من المتقدمين. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ﴾.

ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهة أخرى فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، واعلم أن القوم علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى، وفي اللفظ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه، وأحاط عقله بمعانيه، قضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول، فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه، فقال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ إذا قُرِئَ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة، حتى تخلطوا على محمد، وتشوشوا عليه، وتغلبوه على قراءته، كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضاً، والمراد أرادوا تلاوة ما يكون لغواً وباطلاً، لتخرجوا قراءة

القرآن عن أن تصير مفهومة للناس، فبهذا الطريق تغلبون محمداً، فهذا جهل منهم أنهم في الحال أقروا بأنهم مشتغلون باللغو والباطل، والله تعالى ينصر محمداً بفضله.

ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَاباً شَدِيداً﴾ وفيه تهديد شديد، لأن لفظ الذوق إنما يذكر في القدر القليل الذي يؤتى به لأجل التجربة، ثم إنه تعالى ذكر أن ذلك الذوق عذاب شديد، فإذا كان القليل منه عذاباً شديداً فكيف يكون حال الكثير منه؟ ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾، واختلفوا فيه، فقال الأكثرون: المراد جزاء سوء أعمالهم. وقال الحسن: بل المراد أنه لا يجازيهم على محاسن أعمالهم، أنهم أحبطوا بالكفر فضاعت تلك الأعمال الحسنة عنهم، ولم يبق معهم إلا الأعمال القبيحة الباطلة، فلا جرم لم يحصلوا إلا جزاء السيئات.

ثم قال تعالى: ﴿ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ والمعنى أنه تعالى لما قال في الآية المتقدمة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بيّن أن ذلك الأسوأ جزاء أعداء الله هو النار. ثم قال: ﴿لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً﴾ أي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب المخلد لهم. ﴿جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾[١٦٢٣] أي جزاء بما كانوا يلغون في القرآن.

واعلم أنه تعالى لما بيّن أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء، بيّن أن الكفار عند الوقوع في العذاب الشديد يقولون: ﴿رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ والسبب في ذكر هذين القسمين، أن الشيطان على ضربين جني وإنسي،

[١٦٢٣] في الأصل (جزاء بما يعملون)، وهو خطأ في كتابة الآية.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[الأنعام:١١٢]، وقال: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس:٥- ٦]. وقيل: هما إبليس وقابيل. وقد مرّت هذه الأقاويل. ثم قال: ﴿نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ قال مقاتل: يكونون أسفل منا في النار[١٦٢٤]. وقال الزجاج: ليكونا في الدرك الأسفل من النار"[١٦٢٥].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمآءٍ أَمْرَها﴾ "أي أشار إليها بما أراد من حركتها، وتأثيرات ملكوتها وتدبيراتها، وخواص كوكبها، وكل ما يتعلق بها. ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي السطح الذي يلينا من فلك القمر. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ الشهب. ﴿وَ﴾ حفظناها أي ﴿حِفْظًا﴾ من أن تنخرق بصعود البخارات إليه، ووصول القوى الطبيعية الشيطانية. ﴿ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره كيف يشاء ﴿الْعَلِيمِ﴾ الذي أتقن صنعه بعلمه.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ وتحتجبون بالغواشي البدنية عن الذي خلق أرض البدن، وجعلها حجاب وجهه. ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي شهرين أو حادثين مادة وصورة. ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً﴾ بوقوفكم مع الغير، ونسبتكم التأثير إلى ما لا وجود له ولا أثر، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق هو الذي بربّ العالمين بأسمائه.

[١٦٢٤] مقاتل: *تفسير مقاتل*،٣/٧٤٢.

[١٦٢٥] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٤٨-٥٥٩.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ الأعضاء مِن فَو قِهَا، أو رواسي الطبائع الموجبة للميل السفلي من القوى العنصرية والصور المادية التي تقتضي ثباتها على حالها. ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بتهيئة الآلات، والأسباب، والمزاجات، والقوى، التي تتم بها خلقته وأفعاله. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ بتدبير الغاذية، وتقدير مجاري الغذاء، وأمور الأغذية، وموادها، وأسبابها، في تتمة أربعة أشهر، أي جميع ذلك في أربعة أشهر. ﴿سَوَآءً﴾ متساوية أي في مواد العناصر الأربعة، ثم استوى أي بعد ذلك قصد قصدا مستويا من غير أن يلوي إلى شيء آخر، إلى سماء الروح وهو أمر رباني لا يعلمه إلا هو الواحد الأحد، وقد جاء في الحديث: "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح". ويعضده حديث آخر في أن نفخ الروح في الجنين يكون بعد أربعة أشهر من وقت الحمل.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ أي ولأرض البدن: ﴿ٱئْتِيَا﴾، أي تعلقت إرادته بتكونهما وصيرورتهما شيئا واحدا وخلقا جديدا، فتكونتا، وهذا معنى خلق الأرض قبل السماء غير مدحوة ودحوها بعده. فإن المادة البدنية وإن تخلقت بدنا قبل اتصال الروح وانتفاخه فيها، لكن الأعضاء لم تنبسط و لم ينفتق بعضها من بعض إلا بعده"[١٦٢٦].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

[١٦٢٦] *تفسير ابن عربي*، ٢/٢٠١-٢٠٢.

﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ "أي الغيوب السبعة المذكورة من القوى، والنفس، والقلب، والسر، والروح، والخفاء، والأخفى، واحتجب بها، وإذا تجرد عنها وعن أسبابها ومايتعلق بها صار إنسانا كاملا، فكما أن مدة الحمل ومدة خلق الإنسان ستة أشهر، وإذا ولد بعد تمام الستة على رأس الشهر السابع عاش مستوي الخلق. ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ من الإدراكات، والمكاشفات، والمشاهدات، والمواصلات، والتجليات. ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ أي العقل بمصابيح الحجج والبراهين. وحفظناها من استراق شياطين الوهم والخيال، من الملأ الأعلى من الروحانيات بالترقي إلى الأفق العقلي. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ أي غيرت صور أعضائهم، وصورت أشكالها على هيئة الأعمال التي ارتكبوها، وبدلت جلودهم، فتنطق بلسان الحال، على ماكانوا يعملون. وتدل بالأشكال على ما كانوا يعملون.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي قدرنا لهم أخدانا وأقرانا من شياطين الإنس والجن، من الوهم والتخيل لتباعدهم من الملأ الأعلى، ومخالفتهم بالذات للنفس القدسية، والأنوار الملكوتية، بانغماسهم بالمواد الهيولانية، واحتجابهم بالصفات النفسانية، وانجذابهم إلى الأهواء البدنية والشهوات الطبيعية، فناسبوا النفوس الأرضية الخبيثة، والكدرة المظلمة، وخالفوا الجواهر القدسية والذوات المجردة، فجعلت الشياطين أقرانهم وحجبوا عن نور الملكوت. ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما بحضرتهم من اللذات البهيمية والسبعية، والشهوات الطبيعية.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الآمال والأماني التي لا يدركونها. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ في القضاء الإلهي بالشقاء الأبدي كائنين. ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ﴾ المكذبين بالأنبياء المحجوبين عن الحق من الباطنيين والظاهريين. ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ لخسرانهم نور الاستعداد الأصلي، وربح الكمال الكسبي، ووقوعهم في الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي.

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ أي حنق المحجوبون واغتاظوا على من أضلهم من الفريقين عند وقوع العذاب، وتمنوا أن يكونوا في أشد من عذابهم، وأسفل من دركاتهم، لما لقوا من الهوان، وألم النيران، وعذاب الحرمان والخسران بسببهم، وأرادوا أن يشفوا صدورهم برؤيتهم في أسوأ حال، وأنزل مراتبهم"[١٦٢٧]. هذا هوالباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا

[١٦٢٧] *تفسير ابن عربي*، ٢/٢٠٢-٢٠٣.

لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن أهل التوحيد واستقرارهم وإخلاصهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ يعني قالوا: ربنا الله، فعرفوه، واستقاموا على المعرفة. وقال القتبي: يعني آمنوا، ثم استقاموا على طاعة الله. وعن أبي العالية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ يعني أخلصوا له بالدين، والعمل. ويقال: وحّدوا الله، واستقاموا على طاعته، والتزموا بسنة نبيه. وقال بعض المتأخرين: معناه: استقاموا أفعالاً، كما استقاموا أقوالاً. وقد قيل أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ يعني يقولون الله مانعنا، ومعطينا، وضارنا، ونافعنا. ثم استقاموا على ذلك القول، ولا يرون النفع، ولا يرجون من أحد دون الله. وقال ابن عباس: ﴿ثُمَّ اسْتَقَٰمُواْ﴾ على ما افترض الله. ويقال: ثم استقاموا و لم يشركوا. ويقال: ثم استقاموا و لم يروغوا روغان الثعلب، والمعنى لم ينافقوا. وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية على أمتي وربّ الكعبة استقاموا ثم ثبتوا على لا إله إلا الله". وعنه في رواية أخرى أنه قال لأصحابه: "ما تقولون في هذه الآية؟ قالوا: لم يذنبوا. فقال: حملهم الأمر على أشد ماقالوا له، فما تقولون فإن معناه لم يرجعوا إلى عبادة الأصنام". وقال مجاهد – رحمه الله –: ثم استقاموا لم يشركوا بعد الإيمان حتى ماتوا. وقال الفضيل بن عياض: ثم استقاموا أي زهدوا في الفانية، ورغبوا في

الباقية. ويقال: ثم استقاموا أي أعرضوا عما سوى الله. ويقال: ثم استقاموا في تصفية العقد، ثم في توفية العهد، ثم في صحة العقد. ويقال: ثم استقاموا بأقوالهم، ثم بأعمالهم، ثم بأحوالهم، فذكر أعمالهم، ثم ذكر ثوابهم فقال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني تنزل عليهم الملائكة عند قبض أرواحهم، ويبشرونهم، ويقولون: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ يعني ألّا تخافوا ما أمامكم من العذاب. ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفكم من أوامر الدنيا. ويقال: تنزل عليهم الملائكة يعني يوم القيامة، يعني الحفظة من السماء، فتقول له: أتعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا الذي كنت كتبت عملك، ويبشره بالجنة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا. وقال زيد بن أسلم: البشرى في ثلاث مواطن: عند الموت، وفي القبر، وفي البعث. وقال بعض المتأخرين: هذه البشرى للخائف الحزين، لا للآمن المستبشر. يعني: الذين كانوا خائفين في [الدنيا][١٦٢٨].

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني تقول لهم الحفظة: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا بحفظ الأعمال. وقيل: ملائكة قبض الأرواح يقولون لهم: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، أي الآن إلى أن تخرجوا من الدنيا، أي يعينكم، ويقويكم، ويدفع الشيطان عنكم. وقيل: الملائكة أنواع، وهم موكلون بالبشر من وقت تصوير الإنسان في الرحم إلى الموت وبعده إلى الجنة ومنها إلى الأبد يقومون بأمورهم فهو قولهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾. ثم ذكر الملائكة في هذه الآية بمقابلة ذكر الشيطان في الآية المتقدمة: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ

[١٦٢٨] في الأصل (الدين)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢٢٦.

﴿قُرَنَآءَ﴾ فالشياطين قرناء الكفار في الدنيا والآخرة، والملائكة أولياء المؤمنين في الدنيا والآخرة. وقيل: هذا خطاب الله تعالى: نحن أولياؤكم، كما قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة:٢٥٧]. وهو في مقابله ما قال في الكفار: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ يعني لكم في الجنة ما تحب، وتتمنى قلوبكم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ يعني تلتمسون وتسألون. وقيل: أي ماتمنيتوه بدلا عما خلفتم في الدنيا من القليل المنقطع الفاني.

﴿نُزُلًا﴾ يعني رزقاً. ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ للذنوب العظام. ﴿رَّحِيمٍ﴾ بالمؤمنين. ويقال: ﴿نُزُلًا﴾ أي رزقا أقامه الله لكم لإنزاله إياكم الجنة. ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي ممن غفر لكم ويرحمكم. ﴿نُزُلًا﴾ منصوب إما على المصدرية، يعني أنزلنا نزلاً، وإما على الحال.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً﴾ قال بعضهم: الآية نزلت في شأن المؤذنين، يعني يدعون الناس إلى الصلاة. ﴿وَعَمِلَ صالِحاً﴾ يعني يصلي بين الأذان، والإقامة. ويقال: يعني الأنبياء يدعون الخلق إلى توحيد الله تعالى. ﴿وَعَمِلَ صالِحاً﴾ يعني الطاعات. ويقال: يعني العلماء يعلمون الناس أمور دينهم، ويدعونهم إلى طريق الآخرة. ﴿وَعَمِلَ صالِحاً﴾ يعني بالعلم. ويقال: نزلت في الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر. يعني يأمرونه، وينهون عنه، ويعملون به، ويصبرون على ما أصابهم. ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني أكون على دين الإسلام، لأنه لا تقبل [طاعة][١٦٢٩] بغير دين الإسلام.

[١٦٢٩] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/٢٢٧.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ (لا) زائدة، مؤكدة للنفي، والمعنى لا تستوي الطاعة، والمعصية. ولا يستوي الكفر، والإيمان. ولا يستوي الصبر، والجزع. وذلك أن النبيّ ﷺ كان يؤذيه أبو جهل – لعنه الله –، وكان النبيّ – عليه السلام – يكره رؤيته بُغْضا له، فأمر الله تعالى بالعفو، والصفح، فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني ادفع بالكلمة الحسنة، الكلمة القبيحة. ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ يعني إذا فعلت ذلك، يصير الذي بينك وبينه عداوة، بمترلة القرابة في النسب.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله تعالى وأداء الفرائض. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يعني ذونصيب وافر في الآخرة. ويقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بقول: لا إله إلا الله. والسيئة يعني الشرك. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على كظم الغيظ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ يعني يصيبك. ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي وسوسة. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شره، وامض على احتمالك"[١٦٣٠]. "وقال مقاتل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ يعني يصيبك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ يعني فتنة"[١٦٣١]. "ويقال: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ يعني يغرينك. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ يعني تعوذ بالله. ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للاستعاذة، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بقول الكفار وعقوبتهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي من علامات وحدانيته أن تعرفوا توحيده بصنعه. ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ خلقهما لمنافع خلقه، ومصالح عباده. ويقال: يعني خلق الشمس، والقمر،

[١٦٣٠] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٦-٢٢٧.

[١٦٣١] قال مقاتل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ يعني يفتننك في أمر أبي جهل والرد عنه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ يعني فتنة. *تفسير مقاتل*، ٣/٧٤٣.

والليل، والنهار، دلالة لوحدانيته، وتعبدونه، ولا تعبدوا هذه الأشياء. ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فإنهما مخلوقان. ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ يعني خلق الليل، والنهار، والشمس، والقمر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأن شرط عبادة الله أن لايسجدوا لمن دونه، فمن عبد معه غيره لم يكن عابدا له. ولما نزلت هذه الآية قال المشركون: لاتسجدوا إلا للّات والعزّى، فنزل قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ يعني هؤلاء المشركون على إخلاص العبادة لله تعالى، فليس بمقلل عدد من يخلص لله تعالى العبادة. ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة الذين هم سكان السماوات، ومقربون عند الله بالدرجات والكرامات. ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي ينزهونه. وقيل: يسجدون ويسبحون فيه. وقيل: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي يصلون وفيها السجود وغيره. ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ أي لا يملون من الذكر، والعبادة، والتسبيح. ولا يفترون، وهم أكثر عددا ممن في الأرض فلا يخطرن الشيطان بقلبك أن من الموحدين لله تعالى قلة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً﴾ أي ومن علاماته الدالة على كمال قدرته. ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة غبراء لا نبات فيها. وأصل الخشوع السكون والخضوع. قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾[طه:١٠٨]. ﴿فَإِذَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ﴾ يعني المطر. ﴿اهْتَزَّتْ﴾ يعني تحركت بالنبات. ﴿وَرَبَتْ﴾ أي علت، يعني ازدادت وانتفخت بنمو النبات في جوفها إلى أن يخرج منها. ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ بعد موتها. ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ للبعث في الآخرة. ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من البعث وغيره"[١٦٣٢].

[١٦٣٢] بحر العلوم، ٣/٢٢٦–٢٢٨.

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾، "اعلم أن الله تعالى لما أطنب الوعيد أردفه بهذا الوعد الشريف، وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه، وقد ذكرنا مراراً أن الكمالات على ثلاثة أقسام: النفسانية، والبدنية، والخارجية. وأشرف المراتب: النفسانية، وأوسطها: البدنية، وأدونها الخارجية. وذكرنا أن الكمالات النفسانية محصورة في قسمين: العلم اليقيني، والعمل الصالح. فإن أهل التحقيق قالوا: كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، ورأس الأعمال الصالحة ورئيسها أن يكون الإنسان مستقيماً في الوسط غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣]، وقال أيضاً: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، وإليه الإشارة في هذه الآية بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾. إذا عرفت هذا فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ ليس المراد القول باللسان فقط، لأن ذلك لا يفيد الاستقامة، فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا أن ذلك القول كان مقروناً باليقين التام والمعرفة الحقيقية، إذا عرفت هذا فنقول في الاستقامة قولان: أحدهما: أن المراد منه الاستقامة في الدين، والتوحيد، والمعرفة. الثاني: المراد الاستقامة في الأعمال الصالحة. أما على القول الأول ففيه عبارات: قال ابن عباس – رضي الله عنه – في بعض الروايات: هذه

الآية نزلت في أبي بكر، وذلك لأن أبا بكر - رضي الله عنه - وقع في أنواع شديدة من البلاء والمحنة، و لم يتغير ألبتة عن دينه، وكان هو الذي قال: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[١٦٣٣] وبقي مستقيماً عليه لم يتغير بسبب من الأسباب. وأما على القول الثاني وهو أن نحمل الاستقامة على الإتيان بالأعمال الصالحة، فهذا قول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، قالوا وهذا أولى حتى يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ متناولاً للقول والاعتقاد، ويكون قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ يتناول الأعمال الصالحة. ثم قال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ والاختلاف في موقف نزول الملائكة قد سبق الكلام في التفسير الأول. واعلم أن الغاية القصوى في رعاية المصالح، ودفع المضار، وجلب المنافع، ومعلوم أن دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة. والمضرة إما أن تكون حاصلة في المستقبل، أو في الحال، أو في الماضي. وههنا دقيقة وهي أن المستقبل متقدم على الحاضر، والحاضر متقدم على الماضي، فإن الشيء الذي لم يوجد ويتوقع حدوثه يكون مستقبلا، فإذا وجد يصير حاضرا، وإذا عدم بعد ذلك يصير ماضيا، وأيضا المستقبل في كل ساعة يكون أقرب حصولا، والماضي في كل حاله يكون أبعد حصولا، وإذا ثبت هذا فالمضار التي يقع حصولها في المستقبل أولى بالدفع من المضار في الماضي، وأيضاً الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب حصول مضرة في المستقبل، والغمّ عبارة عن تألم القلب بسبب قوة نفع كان موجوداً في الماضي، وإذا كان كذلك فدفع الخوف أولى من دفع الحزن الحاصل بسبب الغمّ، وإذا عرفت هذا، فنقول: إنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم في أول الأمر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة، ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب

[١٦٣٣] سقط من الأصل كلمة (الله)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٠.

ما فاتكم من أحوال الدنيا، وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية، ثم بعد الفراغ منه يستبشرون بحصول المنافع، وهو قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. ثم إنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم قالوا للمؤمنين: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية، بالإلهامات والمكاشفات، كما أن للشيطان تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوساوس وتخييل الأباطيل. وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات، فحصول تلك الولاية يصير بعد الموت أقوى وأبقى، وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة، وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس، والقطرة بالنسبة إلى البحر، والتعلقات الجسمانية هي تحول بينها وبين الملائكة"[١٦٣٤]، كما قال ﷺ: "لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات"[١٦٣٥]. "فإذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية، فقد زال الغطاء، فيتصل الأثر بالمؤثر، والقطرة بالبحر، والشعلة بالشمس، فهذا هو المراد من قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، ثم قال: ﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ﴾ فما الفرق بين هذين القول فقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾[وبين قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ﴾؟

[١٦٣٤] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٢٦٠-٢٦١.

[١٦٣٥] ابن حنبل: *المسند*، ١٤/٣٦٥-٣٦٦، رقم (٨٧٥٧). العراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت. ٨٠٦هـ)، *المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار*، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار ابن حزم- بيروت. ط (١)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٢/٦٠٨، رقم (٦٧٣). الهيثمي: *مجمع الزوائد*، ١/٦٦، رقم (٢٣٢).

قلنا: الأقرب عندي أن قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾][1636] إشارة إلى الجنة الجسمانية، وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ﴾ إشارة إلى الجنة الروحانية المذكورة في قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس:١٠]. ثم قال: ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ والنزل: رزق النزيل وهو الضيف. قال العارفون: دلّت هذه الآية على أن كل هذه الأشياء المذكورة جارية مجرى النزل، والكريم إذ أعطى النزل فلا بد وأن يبعث الخلع النفيسة بعدها، وتلك الخلع النفيسة ليست إلا السعادات الحاصلة عند الرؤية والتجلي والكشف التام، نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها بفضله"[1637].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾، "واعلم أنه سبحانه بيّن أن القوم وإن أتوا بالكلمات الفاسدة، إلا أنه يجب عليك تتابع المواظبة على التبليغ والدعوة، فإن الدعوة إلى الدين أكمل الطاعات ورأس العبادات، وعبّر عن هذا المعنى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فهذا وجه شريف حسن في نظم آيات هذه السورة. وفيه وجه آخر وهو أن مراتب السعادة إما التام،

[1636] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٦٢.

[1637] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٦٢.

وفوق التام، وأما التام: فهو أن يكتسب من الصفات ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين وهو فوق التام، فإذا عرفت هذا فنقول إن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها، فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية وهي الاشتغال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ﴾ فهذا أيضاً وجه حسن في نظم هذه الآيات. واعلم أن من آتاه الله قريحة قوية، ونصيباً وافياً من العلوم الإلهية الكشفية، عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب القرآن. ومن الناس من قال: المراد من قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ﴾ هو الرسول ﷺ. ومنهم [من قال][١٦٣٨] هم المؤذنون. وقد مرّ هذا. ولكن المقطوع به أن كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق فهذا داخل فيه، والدعوة إلى الله مراتب: فالمرتبة الأولى: دعوة الأنبياء – عليهم السّلام – دعوتهم بالحجة أولاً، ثم بالسيف ثانياً، قلما لم يتفق لغيرهم الجمع بين هذين الطريقين. وثانيها: أنهم هم المبتدئون بهذه الدعوة، وأما العلماء فإنهم يبنون دعوتهم على دعوة الأنبياء – عليهم السّلام –، والتنازع في إحداث الأمر الشريف على طريق الابتداء أفضل. وثالثها: أن نفوسهم أقوى قوة، وأرواحهم أصفى جوهراً، فكانت تأثيراتها في إحياء القلوب الميتة وإشراق الأرواح الكدرة، فكانت دعوتهم أفضل. ورابعها: أن النفوس على ثلاثة أقسام: ناقصة، وكاملة، والناقصة لا تقوى على تكميل الناقصين، وكامله يقو على تكميل الناقص. فالقسم الأول: هم العوام، والقسم الثاني: هم

[١٦٣٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٦٣.

الأولياء، والقسم الثالث: هم الأنبياء – عليهم السّلام –، ولهذا السبب"[١٦٣٩] قال ﷺ: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"[١٦٤٠]. "وإذا عرفت هذا فنقول: إن نفوس الأنبياء حصلت لها ترتيب الكمال في الذات، والتكميل للغير، فكانت قوتهم على الدعوة أقوى، وكانت درجاتهم أفضل وأكمل، إذا عرفت فنقول: للأنبياء – عليهم السّلام – صفتان: العلم، والقدرة، أما العلماء فهم نواب الأنبياء في القدرة والعلم، أما القدرة فهي توجب الاستيلاء على الأرواح، وأما في العلم فهو يوجب الاستيلاء على الأجساد. وإذا عرفت هذا أن أكمل الدرجات في الدعوة إلى الله تعالى درجة العلماء وهي على ثلاثة أقسام: العلماء بالله، والعلماء بصفات الله، والعلماء بأحكام الله. أما العلماء بالله، فهم الحكماء الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٢٩]. وأما العلماء بصفات الله فهم أصحاب الأصول، وأما العلماء بأحكام الله فهم الفقهاء، ولكل واحد من هذه المقامات الثلاث درجاتها لا نهاية لها، وأما الملوك فهم أيضاً يدعون إلى الله تعالى بالسيف، وذلك من وجهين: إما بتحصيل الشيء عند عدمه مثل المحاربة مع الكفار، وإما بالإبقاء عند وجوده، وذلك مثل قولنا: المرتد يقتل. وأما المؤذنون فهم يدخلون في هذا الباب دخولاً ضعيفاً، أما دخولهم فيه فلأن ذكر كلمات الأذان دعوة إلى الصلاة، فكان ذلك داخلاً تحت الدعاء إلى الله، وأما

[١٦٣٩] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٦٣.

[١٦٤٠] السخاوي: *المقاصد الحسنة*، ص٤٥٩، رقم (٧٠٢). القاري: *الأسرار المرفوعة*، ص٢٤٧. العجلوني: *كشف الخفاء*، ٢/٧٤. الشوكاني: *الفوائد المجموعة*، ص٢٨٦. الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة*، ١/٦٧٩. والحديث لا أصل له باتفاق العلماء.

كون هذه المرتبة ضعيفة فلأن الظاهر من حال المؤذن أنه لا [يحيط][١٦٤١] بمعاني تلك الكلمات، وبتقدير أن يكون محيطاً بها إلا أنه لا يريد بذكرها تلك المعاني الشريفة، فهذا هو الكلام، في مراتب الدعوة إلى الله تعالى. فقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ﴾[١٦٤٢] يدل على أن الدعوة إلى الله أحسن من كل ما سوها، إذا عرفت هذا فنقول: كل ما كان أحسن الأعمال كان واجباً، لأن كل ما يكون واجباً كان أحسن، فالواجب أحسن، فثبت أن كل ما يكون أحسن الأعمال فهو واجب، إذا عرفت هذا فنقول الدعوة إلى الله واجبة، وينتج أن الأذان واجب. واعلم أن الآية على أن أحسن الأقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة: أولها: الدعوة إلى الله تعالى. وثانيها: العمل الصالح. وثالثها: أن يكون من المسلمين. أما الدعوة إلى الله تعالى فقد شرحناها وهي عبارة عن الدعوة إلى الله تعالى بإقامة الدلائل اليقينية، والبراهين القطعية. وأما قوله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فاعلم أن العمل الصالح إما أن يكون عمل القلب وهو المعرفة، أو عمل الجوارح وهو سائر الطاعات. وأما قوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فهو أن ينضم إلى عمل القلب وعمل الجوارح الإقرار باللسان، فيكون هذا الرجل موصوفاً بخصال أربعة: أحدها: الإقرار باللسان، والثاني: الأعمال الصالحة بالجوارح، والثالث: الاعتقاد الحق بالقلب، والرابع: الاشتغال بإقامة الحجة على دين الله، ولا شك أن الموصوف بهذه الخصال الأربعة أشرف الناس وأفضلهم، وكمال الدرجة في هذه المراتب الأربعة ليس إلا لمحمد ﷺ.

[١٦٤١] في الأصل (يخلط)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٣.

[١٦٤٢] سقط من الأصل (قولا)، وهو خطأ في كتابة الآية.

ثم قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ واعلم أنا بيّنا أن الكلام من أول السورة ابتداء من الله تعالى بالحكاية عنهم بقولهم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[فصلت:٥]. فأظهروا من أنفسهم الإصرار الشديد على أديانهم القديمة وعدم التأثر بدلائل محمد ﷺ، مع إنه تعالى أطنب في الجواب عنه وذكر الوجوه الكثيرة، وأردفها بالوعد والوعيد، ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهي قوله: [﴿لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾[فصلت:٢٦] وأجاب عنها أيضاً بالوجوه الكثيرة، ثم إنه تعالى][١٦٤٣] بعد الإطناب في الجواب عن تلك الشبهات، فرغب محمداً ﷺ في أن لا يترك الدعوة إلى الله فابتدأ أولاً بأن قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ فلهم الثواب من أعظم الدرجات، فصار الكلام من أول السورة إلى هذا الموضع واقعاً على أحسن وجوه الترتيب، ثم كأن سائلاً سأل فقال: إن الدعوة إلى الله تعالى وإن كانت طاعة عظيمة، إلا أن الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد لا طاقة لنا، فعند هذا ذكر الله تعالى ما يصلح أن يكون دافعاً لهذا الإشكال فقال: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ والمراد بالحسنة دعوة الرسول ﷺ إلى الدين الحق، والصبر على جهالة الكفار، وترك الانتقام، وترك الالتفات إليهم، والمراد بالسيئة ما أظهروه من الخلافة في قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ وما ذكروه في قولهم: ﴿لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[فصلت:٢٦]، فكأنه قيل: يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، إذا أتيت بهذه الحسنة كنت مستوجباً للتعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة. ثم قال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هي

[١٦٤٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٤.

أحسن الطرق، فإنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى، و لم تقابل سفاهتهم بالغضب، ولا إصرارهم بالإيذاء. ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ يعني إذا قابلت سيئاتهم بالإحسان، وأفعالهم القبيحة بأفعال حسنة تركوا أفعالهم القبيحة بأفعالك الحسنة، وانقلبوا من العداوة إلى المحبة، ومن البغض إلى المودة. ولما أرشد الله تعالى إلى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا عظمه وقال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ قال الزجاج: أي وما يلقى هذه الفعلة إلا الذين صبروا على تحمل المكاره، وتجرع الشدائد، وترك الانتقام. ثم قال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الفضائل النفسانية، ودرجة عالية في القوة الروحانية، فإن الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل إلا بعد تأثر النفس، وتأثر النفس من الواردات الخارجية لا يحصل إلا عند ضعف النفس فإذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية، وإذا لم تتأثر منها لم تغضب و لم تشتغل بالانتقام، فثبت أن هذه السيرة التي شرحناها لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم من قوة النفس، وصفاء الجوهر، وطهارة الذات. ولما ذكر هذا الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب، وفي ترك الخصومة، ذكر عقيبه طريقاً آخر عظيم النفع أيضاً في هذا الباب، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾"[١٦٤٤]. وقد تقدم تفسيره.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ

[١٦٤٤] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٦٣-٥٦٥.

يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾، "اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية المتقدمة أن أحسن الأعمال والأقوال هو الدعوة إلى الله تعالى [أردفه بذكر الدلائل الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته، تنبيهاً على أن الدعوة إلى الله تعالى][١٦٤٥] عبارة عن تنوير الدلالة الدالة على ذات الله تعالى وصفاته، فهذه تنبيهات شريفة مستفادة من تناسق هذه الآيات، فكان العلم بهذه اللطائف أحسن علوم القرآن، وقد عرفت أن الدلائل على هذه المطالب العالية هي العلم بجميع ما فيه من الأجزاء والأبعاض، فبدأ ههنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار، وإنما قدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيهاً على أن الظلمة عدم، والنور وجود، والعدم سابق على الوجود، وأما دلالة الشمس والقمر والأفلاك وسائر الأشياء من الكواكب على وجود الصانع، فقد سبق ذكرها مراراً.

ولما بيّن أن الشمس والقمر محدثان، وهما دليلان على وجود الإله القادر قال: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ يعني أنهما عبدان ودليلان على وجود الإله، والسجدة عبارة عن نهاية التعظيم فهي لا تليق إلا بمن كان أشرف الموجودات، فقال: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما عبدان مخلوقان، ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ يعني اسجدوا لله الخالق القادر الحكيم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وإنما قال: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأن ناساً كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون

[١٦٤٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٥.

بالسجود لهما السجود لله تعالى، فنهوا عن الواسطة، وأمروا أن لا يسجدوا إلا لله القادر الحكيم. ثم إنه تعالى لما أمر بالسجود قال بعده: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾، قوله: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ يعني إن استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر. فإن قيل قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يصف إثبات المطلق والجهة لله تعالى، قلنا: وجوابه أنه يقال عند الملك من الجند كذا وكذا، ولا يراد به قرب المكان. فكذا ههنا. ويدل عليه: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ولقائل أن يقول: هل تدل هذه الآية على أن المَلَك أفضل من البشر؟ والجواب عنه: أنه إنما يستدل بحال الأعلى على حال الأدون، فيقال: هؤلاء الأقوام إن استكبروا عن طاعة فلان فالأكابر يخدمونه ويعترفون بتقدمه، فثبت أن هذا النوع من الاستدلال إنما يحسن بحال الأعلى على حال الأدون. ولقائل أن يقول: هذا يدل على أنهم مواظبون على التسبيح، ولا ينفكون عنه لحظة، ولا يشتغلون بسائر الأعمال، لكنهم يترلون إلى الأرض كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[الشعراء:١٩٣]، وجوابه: إن الذين ذكرهم الله تعالى ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح أقوام معينون من الملائكة وهم الأشراف، والمراد من هذه العندية كمال التشريف للملائكة المنشغلين بسائر الأعمال.

ثم قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً﴾ واعلم أنه تعالى لما ذكر الآيات الأربع الفلكية وهي الليل، والنهار، والشمس، والقمر، أتبعها بذكر آية أرضية فقال: ومن آياته الخشوع والتذلل والتصاغر، ﴿فَإِذآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ وقد مرّ تفسيره.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ يعني أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء الأجساد بعد موتها، وقد سبق تقريره مراراً لا حصر لها. ثم قال: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا هو الدليل الأصلي وتقريره إن عود التأليف والتركيب إلى تلك الأجزاء المتفرقة ممكن لذاته، وعود الحياة والعقل والقدرة إلى تلك الأجزاء بعد اجتماعها أيضاً أمر ممكن لذاته، والله تعالى قادر على الممكنات، فوجب أن يكون قادراً على إعادة التأليف، والتركيب، والحياة، والقدرة، والعقل، والفهم إلى تلك الأجزاء، وهذا يدل دلالة واضحة على أن حشر الأجساد ممكن [لا امتناع][١٦٤٦] فيه ألبتة"[١٦٤٧].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، "أي وحدوه بنفي غيره وعرفوه بالإيمان حق معرفته. ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ إليه بالسلوك في طريقه، والثبات على صراطه، مخلصين لأعمالهم، عاملين لوجهه، غير ملتفتين بها إلى غيره. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ للمناسبة الحقيقية بينهم في التوحيد الحقيقي، والإيمان اليقيني، والعمل الثابت على منهاج الحق والاستقامة، غير ناكثين في عزيمة، ولا زائغين في عمل، كما ناسبت نفوس المحجوبين بالجواهر المظلمة، والأعمال الخبيثة، فتنزلت عليهم الشياطين، ثم قالت الملائكة المذكورون: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من العقاب لتنور ذاتكم بالأنوار، وتجردها عن غواسق الهيئات. ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ بفوات كمالاتكم التي اقتضاها استعدادكم. ﴿وَأَبْشِرُواْ﴾ بجنة الصفات. ﴿ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ حال الإيمان

[١٦٤٦] في الأصل (الاجتماع)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٧.

[١٦٤٧] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٥-٥٦٧.

بالغيب. ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ وأحباؤكم في الدارين، للمناسبة الوصفية والجنسية الأصلية بيننا وبينكم، كما أن الشياطين أولياء المحجوبين لما بينهم من الجنسية والمشاركة في الظلمة والكدرة. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ من المشاهدات، والتجليات، والروح، والريحان، والنعيم المقيم، فلا يشق لكم إلى ما غاب عنكم، بل كل ما تشتهون حاضر لكم. ﴿نُزُلًا﴾ معداً لكم. ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ ستر لكم بنوره ذنوب آثاركم، وأفعالكم، وصفاتكم. ﴿رَّحِيمٍ﴾ رحمكم بتجليات أفعاله وصفاته.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً﴾ أي فعلا، إذ كثيرا ما يستعمل القول بمعنى الفعل والحال ومنه، قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي جعلوا دينهم التوحيد، ومنه الحديث: "هلك المكثرون إلا من قال: هكذا وهكذا.."، أي أعطى. ﴿مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ممن أسلم وجهه لله في التوحيد، وعمل بالاستقامة، ودعا الخلق إلى الحق، لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلا لما صحت الدعوة، فإن العالم الغير العامل إن دعا كانت دعوته إلى الله، والعالم العامل العارف الكامل صحت دعوته إلى الله.

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ لكون الأولى من مقام القلب تجر صاحبها إلى الجنة ومصاحبة الملائكة، والثانية من مقام النفس تجر صاحبها إلى النار ومقارنة الشيطان. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ إذا أمكن دفع السيئة من عدوك بالحسنة التي هي أحسن، فلا تدفع بالحسنة التي دونها، فكيف بالسيئة؟!، فإن السيئة لا تندفع بالسيئة، بل تزيد وتعلوارتفاع

[النار][١٦٤٨] بالحطب، فإن قابلتها بمثلها كنت منحطا إلى مقام النفس، متبعا للشيطان، سالكا طريق النار، ملقيا لصاحبك في الأوزار وجاعلا له ولنفسك من جملة الأشرار، متسببا لازدياد الشر، معرضا عن الخير. وإن دفعتها بالحسنة سكنت شرارته، وأزلت عدواته، وتثبت في مقام القلب على الخير، وهديته إلى الجنة، وطردت الشيطان، وأرضيت الرحمن، وانخرطت في سلك الملكوت، ومحوت ذنب صاحبك بالندامة. وإن دفعتها بالتي هي أحسن ناسبت الحضرة الرحيمية بالرحموت، وصرت باتصافك بصفاته تعالى من أهل الجبروت، وأفضت من ذاتك فيض الرحمة على صاحبك فصار ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾"[١٦٤٩]، كما قال النبي ﷺ: "لو جاز أن يظهر البارئ لظهر بصورة الحلم"[١٦٥٠]. "ولا يلقى هذه الخصلة الشريفة والفضيلة العظيمة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ مع الله، فلم يتغيروا بزلة الأعداء لرؤيتهم منه، وتوكلهم عليه، واتصافهم بحلمه، أو طاعتهم لأمره. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١٦٥١] من التخلق بأخلاقه. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ وينخسنك نخس بالمقابلة بالسيئة، وداعية بالانتقام، وهيجان من غضبك. ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ بالرجوع إلى جنابه، واللجوء إلى حضرته من شره ووسوسته ونزغه بالبراءة عن أفعالك وصفاتك، والفناء فيه عن حولك وقوتك. ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما هجس ببالك من أحاديث نفسك وأقوالك. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنياتك وما بطن من أحوالك.

[١٦٤٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *تفسير ابن عربي*، ٢/٢٠٥.

[١٦٤٩] *تفسير ابن عربي*، ٢/٢٠٣–٢٠٥.

[١٦٥٠] لم أقف عليه بهذا اللفظ إلا عند المصنف.

[١٦٥١] في الأصل (ولا يلقاها)، وهو خطأ في كتابة الآية.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ ليل ظلمة النفس بظهور صفاتها الساترة للنور، لتقعوا في السيئات، وتستعدوا لقبول الوساوس الشيطانية، ونهار نور الروح بإشراق أشعتها من القلب إلى النفس، فتباشروا الجنات، وتدفعوا السيئات بها، وتمتنعوا عن قبول الوساوس، وتتعرضوا للنفحات، وشمس الروح، وقمر القلب. ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ﴾ بالفناء والوقوف معه، والاحتجاب به عن الحق. ﴿وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ بالوقوف مع الفضائل والكمالات والتبوء إلى جنة الصفات. ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ بالفناء في الذات. ﴿إِن كُنتُمْ﴾ موحدين، مخصوصين للعبودية دون غيره لا مشركين ولا محجوبين.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الفناء بظهور الأنائية، والطغيان، والاستعلاء بصفات النفس والعدوان. ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من السابقين الفانين فيه. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ بالتجريد والتتريه عن حجب ذواتهم وصفاتهم دائما بليل الاستتار في مقام التفصيل، ونهار التجلي في مقام الجمع. ﴿لَا يَسْأَمُونَ﴾ لكونهم قائمين بالله، ذاكرين بالمحبة الذاتية"[١٦٥٢]. هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذآ أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ

[١٦٥٢] تفسير ابن عربي، ٢/٢٠٥-٢٠٦.

بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨) لا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذا لِي وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن الذين يلحدون عن الحق، ويميلون إلى الخلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا﴾، يعني يميلون عن الإيمان بالقرآن. ويقال: يميلون بالتكذيب. ﴿لا يَخْفَوْنَ

عَلَيْنَا﴾ يعني لايقدرون أن يهربوا من عذابنا، ولايستترون منا. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعني أبا جهل وأصحابه. ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ يعني النبي ﷺ. ويقال: نزلت في شأن جميع الكفار وجميع المؤمنين، يعني من كان مرجعه إل النار، وحاله يكون خيرا أم حال الذين يدخلون الجنة؟ ثم قال للكفار: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ لفظها لفظ التخيير والإباحة، والمراد به التوبيخ والتهديد. ويقال: وهي كلمة زجر وتهديد، وعرف بما قبله وما بعده [أنه][١٦٥٣] زجر لا أمر. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجزي كل عامل جزاء مثله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني جحدوا بالقرآن حين جاءهم. ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن. ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ لايوجد مثله في النظم وكثرة فوائده.

﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ﴾ أي لا يأتيه الكذب والبطلان من الكتب الذي قبله، كل يصدق هذا، ولا يجيء من بعده كتاب يكذبه. وعن علي بن أبي طالب قال: قيل للنبي ﷺ: "إن أمتك ستفترق من بعدك. فقال: نعم. ما المخرج منها؟ [فقال جبريل][١٦٥٤]: كتاب الله العزيز الذي [لا يأتيه الباطل][١٦٥٥] ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، من ابتغى العلم في غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، فيه خبر من كان قبلكم، وبيان من بعدكم، والحكم فيما بينكم، وهو الفصل العظيم، وهو الذي سمعته الجن، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ

[١٦٥٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

[١٦٥٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*،٣/٢٢٩.

[١٦٥٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*،٣/٢٢٩.

وَلَن نُّشرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، لا يَخلَق على طول الدهر، ولا تنقضي عبره". ويقال: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يعني القرآن تنزيل من الله تعالى الحكيم في أمره، المحمود في فعاله"[١٦٥٦].

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ "يعني اصبر على مقالة الكفار فإنهم لايقولون من التكذيب لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك من التكذيب. ويقال: معناه مايقال لك، يعني لا يؤمر لك في الرسالة إلا ماقد قيل للرسل من قبلك بأن يبلغوا الرسالة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يعني ذو تجاوز في تأخير العذاب عنهم إلى أجلهم. ويقال: إن ربك لذو مغفرة لمن تاب من الشرك. ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن لم يتب ومات على الكفر.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا﴾ يعني لو أنزلنا القرآن بلسان العبرانية. ﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ يعني هلاّ بيّن بالعربية. ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ يعني القرآن أعجمي، والرسول عربي، وكان ذلك أشد لتكذيبهم. قالوا العجمي المنسوب إلى العجم، وهو غير العرب فصيحا كان أو غير فصيح، والأعجمي المنسوب إلى الأعجم، وهو الذي لا يفصح عربيا كان أو غير عربي. ﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ يعني هلاّ بيّنت آياته أعجمي وعربي، أي أيكون كتاب أعجمي، ورسول عربي. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ﴾ يعني القرآن مرشد من الضلالة، وشفاء أي شاف لما في الصدور من العمى. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالآخرة. ﴿فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ﴾ يعني ثقل وصمم. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ يعني القرآن عليهم حجة. ويقال: يعني عموا فلا ينظرونه ولايفهمونه. ﴿أُوْلَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهذا على سبيل المثال. يقال

[١٦٥٦] *بحر العلوم*، ٣/٢٢٨-٢٢٩.

للرجل إذا قلّ فهمه: إنك تنادي من مكان بعيد. أي إنك لاتفهم. ويقال: ينادى من مكان بعيد يعني من السماء. وقال الضحاك: يعني ينادون يوم القيامة من مكان بعيد، فينادى الرجل بأشرف أسمائه، يعني يقال: يا أحمد ويا محمد. وينادى بأخس أسمائه فيقال: يا فاسق، ويا منافق. ويقال: من مكان بعيد يعني قربا من قلوبهم"[١٦٥٧].

﴿قَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ "يعني أعطينا موسى التوراة، ويقال: الألواح. ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ يعني صدق بعضهم، وكذب بعضهم. ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني وجبت بتأخير العذاب عنهم. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني لفرغ من أمرهم، وهلك المكذب. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يعني من العذاب بعد البعث. ﴿مُرِيبٍ﴾ لا يعرفون شكهم. ويقال: ﴿مُرِيبٍ﴾ يعني ظاهر الشك. ويقال: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن هذه الأمة إلى يوم القيامة، لأتاهم العذاب، إن كذبوه كما فعل بغيرهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ يعني ثوابه لنفسه. ﴿وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾ يعني من العذاب على نفسه. ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ يعني لايعذب أحدا بغير ذنب"[١٦٥٨]، "ولاينقص أحدا ثواب طاعته، ولايزيد في العذاب على معصيته. أي يقضي بين هؤلاء المختلفين في القيامة على هذا.

[١٦٥٧] بحر العلوم، ٣/٢٣٠-٢٣١.

[١٦٥٨] بحر العلوم، ٣/٢٣١.

ولما سألوا عن وقت القيامة قال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يعني لا يعلم متى تقوم الساعة غيره، وكل عبد سأل عنها، رد علمها إليه، كما قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾[طه:٥٢]"[١٦٥٩]. ﴿وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها﴾ "يعني من أجوافها. يعني حين تطلع، وغلاف كل شيء كمه، يعني تخرج من موضعها التي كانت فيها. ﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ يعني إلا وهو يعلمه، ولا يعلم أحد قبل الولادة كيف صفته، ولا يعلم أحد بعد وضعه، كم أجله. ﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي﴾ يخاطب الله تعالى هؤلاء فيقول: أين الذين كنتم تشركوهم بي، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى. ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ يعني أعلمناك، وقلنا لك: ﴿مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ يعني يشهد بأن لك شريكا تبرؤوا من أن يكون مع الله شريك. وقالوا: ما منا من أحد يشهد لك أنه عبد أحد دونك. وقال القتبي: هذا قول الآلهة التي كانوا يعبدون في الدنيا. يعني يقولون ما منا من شهيد للمشركين على ماقالوا. لهم كما قالوا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ يعني بطل عنهم. ﴿مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾[١٦٦٠] في الدنيا. ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ يعني علموا واستيقنوا ما لهم من ملجأ، ولا مفر من النار.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني لا يمل الكافر. ﴿مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ﴾ يعني من سؤال الخير. يعني العافية في الجسد، [والسعة][١٦٦١] في الرزق. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ يعني أصابته الشدة، والبلاء،

[١٦٥٩] التيسير في التفسير، ١٣/١٩٥.

[١٦٦٠] سقط من الأصل (يدعون)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٦٦١] في الأصل (والنقمة)، وصححتها من بحر العلوم،٣/٢٣٢.

والفقر. ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ يعني آيس من الخير، قانط من رحمة الله. ويقال: لا يمل الكافر من دعاء الخير، وإذا نزلت به شدة يقول: اللهم عافني. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ يعني آيساً من معبوده.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ يعني أصبناه عافيته، وغِنًى. ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ يعني من بعد الشدة التي أصابته. ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ يعني أنا أهل لهذا، ومستحقه. ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ يعني ما أحسب القيامة كائنة. ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يعني يوم القيامة. ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الجنة. ويقال: يعني لئن كان ما يقول محمد وأصحابه حقا من قيام الساعة. ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾[١٦٦٢] ولايعذبني الله لأنه إنما يعذب من يهون عليه، لامن يكرم عليه، وأنا كريم عليه فقد أكرمني بالنعم في الدنيا. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ ونجازيهم عليهم فيعلمون أن الساعة قائمة، وأن الحسنى لغيرهم. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد دائم. ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ أي على هذا الكافر. ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الذكر والتدبر في آياتنا. ويقال: أعرض عن الإيمان. ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أي بعد جانبه عن الدعاء. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ يعني أصابته الشدة. ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أي ذو دعاء كثير طويل"[١٦٦٣].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ "يعني قل يا محمد: إن كان مايخبر به محمد من الوعد والوعيد صدقا من عند الله، ثم كذبتموه

[١٦٦٢] سقط من الأصل (للحسنى)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٦٦٣] *بحر العلوم*، ٣/٢٣١-٢٣٣.

في ذلك، كنتم مشاقين لله تعالى، أي معادين له، مخالفين. ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي خلاف بعيد عن الوفاق، ومعاداة بعيدة عن الموالاة، استفهام بمعنى النفي.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ﴾ يعني عذابنا في البلاد، مثل هلاك عاد، وثمود، وقوم لوط، وهم يرونها إذا سافروا. ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني يبتلون في أنفسهم من البلايا. ويقال: من قتل أصحابهم الكفار في الحرب. ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ يعني إن الذي قلت هو الحق، فيصدقونك. وقال مجاهد: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ﴾ يعني ما يفتح الله تعالى من القرى. ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني فتح مكة. وقال: وذلك أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: ائتنا بعلامة. فانشق القمر نصفين. فقال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد سحر القمر، فوجهوا رسلكم إلى الآفاق، فإن عاينوا القمر كذلك فهو آية، وإلا فذلك سحر. فإذا أهل الآفاق قد تحدثوا بانشقاقه. فقال: هذا سحر مستمر. يعني ذاهباً في الدنيا. فنزل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. وقال بعض المتأخرين: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي القرآن أو الإسلام. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يعني شاهد ويشهد أن القرآن من عنده، وأنك رسوله. وقيل: أو لم يكف بفضلك يا محمد وبأفعالهم، فيجزي كلا على وفق عمله.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي في شك. ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ من مجيء يوم القيامة وحساب الله الخلق والجزاء"[١٦٦٤]. ﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ "أي عالم بالأشياء كلها. (ألا) كلمة

[١٦٦٤] التيسير في التفسير، ١٣/١٩٩-٢٠٢.

تنبيه. يعني اعلم أنه في كل شيء من البعث، وغيره. ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ يعني أحاط بكل شيء من البعث وغيره"[١٦٦٥].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾، "اعلم أنه تعالى لما بيّن أن الدعوة إلى دين الله تعالى إنما تحصل بذكر دلائل التوحيد، والعدل، وصحة البعث والقيامة، عاد إلى تهديد من ينازع في تلك الآيات، ويجادل بإلقاء الشبهات فيها، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا﴾، وقوله: ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا﴾ تهديد. وقوله: ﴿أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ وهذا استفهام بمعنى التقرير، والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار، والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة. ثم قال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهذا أيضاً تهديد. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وهذا أيضاً تهديد، ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن أتبعه ببيان تعظيم القرآن، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ وله معنيان: أحدهما: الغالب القاهر. والثاني: لا يوجد نظيره، أما كون

[١٦٦٥] بحر العلوم، ٣/٢٣٤.

القرآن عزيزاً المعنى كونه غالباً، فالأمر كذلك لأنه بقوة حجته غلب كل ما سواه، وأما كونه عزيزاً بمعنى عديم النظير، فالأمر كذلك لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته.

ثم قال: ﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قال صاحب (الكشاف): هذا تمثيل، والمقصود أن الباطل لا يتطرق إليه، ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يتصل إليه. ثم قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي حكيم في جميع أفعاله، حميد إلى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه، ولهذا السبب جعل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢] فاتحة كلامه، وأخبر أن خاتمة كلام أهل الجنة هو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعٰلَمِينَ﴾[يونس: ١٠]"[١٦٦٦].

قوله تعالى: ﴿مَا يُقالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾، "واعلم أنه تعالى لما هدد الملحدين في آيات الله، ثم بيّن شرف آيات الله، وعلوّ درجة كتاب الله تعالى، رجع إلى رسول الله ﷺ بأن يصبر [على][١٦٦٧] أذى قومه، وأن لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في أول السورة أنهم: ﴿قَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ

[١٦٦٦] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٨.

[١٦٦٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٨.

مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾، إلى قوله: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[فصلت:٥] فقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ وفيه وجهان: الأول: هو الأقرب، أن المراد ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية، والمطاعن في الكتب المنزّلة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمحقين، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للمبطلين، فوض هذا الأمر إلى الله تعالى، واشتغل بما أمرت به، وهو التبليغ والدعوة إلى الله تعالى. الثاني: أن يكون ما قال لك إلا مثل ما قال لسائر الرسل، وهو أنه أمرك وأمر كل الأنبياء بالصبر على سفاهة الأقوام، فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته، ويخافه أهل معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[١٦٦٨]

قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر [عن][١٦٦٩] عاصم (ءأعجمي) بهمزتين على الاستفهام، والباقون بهمزة واحدة ومدة على أصلهم في أمثاله. وأما القراءة بهمزتين على الاستفهام، فالهمزة الأولى همزة إنكار، والمراد أنهم أنكروا وقالوا: قرآن أعجمي ورسول عربي، أوالمرسل إليه عربي. وأما القراءة بغير همزة الاستفهام، فالمراد الاستخبار بأن القرآن أعجمي، والمرسل إليه عربي. وسبب نزول هذه الآية أن الكفار لأجل التعنت قالوا: [لو][١٦٧٠] نزل القرآن بلغة العجم. فنزلت هذه الآية. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ واعلم أن هذا متعلق بقولهم:

[١٦٦٨] في الأصل (ولو أنزلناه)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٦٦٩] في الأصل (و)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٩.

[١٦٧٠] في الأصل (هن)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٦٩.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ إلى آخر الآية، كأنه تعالى [يقول][١٦٧١]: إن هذا الكلام أرسلته بلغتكم لا بلغة أجنبية عنكم، فلا يمكنكم أن تقولوا قلوبنا في أكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة، فبقي أن يقال: كل من آتاه الله طبعاً مائلاً إلى الحق، وقلباً داعيا للصدق، وهمة تدعوه إلى بذل الجهد في طلب الدين، فإن هذا القرآن يكون في حقه هدىً شفاء. أما كونه هدىً [فلأنه دليل على الخيرات ويرشد إلى كل السعادات، وأما كونه شفاء][١٦٧٢] فإنه إذا أمكنه الاهتداء فقد حصل الهدى، فذلك الهدى شفاء له من مرض الكفر والجهل، وأما من غرق في بحر الخذلان، وفي معادن الحرمان، ومشغوفاً بمتابعة الشيطان، وكان هذا القرآن عليهم عمىً كما قال: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[فصلت:٥]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ بسبب ذلك الحجاب الذي حال بين الانتفاع ببيان القرآن، وفي هذا القول قال ابن عباس: يريد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء ونداء، وقيل من مكان بعيد لم يسمع، وإن سمع لم يفهم، فكذا حال هؤلاء.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ﴾ وأيضا إن هذا متعلق بما قبله، كأنه قيل: لما آتينا موسى الكتاب اختلفوا فيه، فقبله بعضهم، ورده بعضهم، فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك، ورده آخرون، وهم الذين يقولون: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني في تأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، كما قال: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ

[١٦٧١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧٠.

[١٦٧٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧٠.

مَوْعِدُهُمْ﴾[القمر:٤٦] ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني المصدق والمكذب بالعذاب الواقع بمن كذب. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ﴾ من صدقك وكتابك ﴿مُرِيبٍ﴾، فلا ينبغي أن يعظم استيحاشك من قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾.

ثم قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْها﴾ يعني خفف على نفسك إعراضهم، فإنهم إن آمنوا فنفع إيمانهم يعود إليهم، وإن كفروا فضرر كفرهم يعود إليهم، والله سبحانه يوصل إليهم وإلى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾"[١٦٧٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨) لَا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)﴾، "اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار في الآية المتقدمة

[١٦٧٣] *مفاتيح الغيب*، ٢٧/٥٦٩–٥٧٠.

بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْها﴾، ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة، وكأن سائلاً قال: ومتى يكون ذلك اليوم؟ فقال تعالى: إنه لا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك، وقت ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، وهذه الكلمة تفيد الحصر، أي لا يعلم وقت الساعة بعينها إلا الله تعالى، وكما أن هذا العلم ليس إلا عند الله، فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في أوقاتها المعينة ليس إلا عند الله في أوقاتها ليس إلا الله سبحانه، ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين: أحدهما قوله: ﴿وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها﴾[١٦٧٤]، والثاني قوله: ﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾، ونظير هذه الآية قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[القمان: ٣٤] إلى آخر الآية.

ثم إنه تعالى لما ذكر القيامة، أردفه بشيء من أحوال يوم القيامة، وهي هذا الذي ذكره ههنا شديد التعلق بما وقع الابتداء في أول السورة، يدل على أن نفرتهم عن استماع القرآن إنما حصلت لأجل أن محمداً ﷺ قد كان يدعوهم إلى التوحيد، وإلى البراءة عن الأصنام والأوثان، بدليل أنه قال في أول السورة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾[فصلت: ٦]، فذكر في خاتمة السورة وعيد القائلين بالشركاء والأنداد فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي﴾ أي [بحسب زعمكم][١٦٧٥] واعتقادكم. ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ﴾ قال ابن عباس: أسمعناك، كقوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾[الانشقاق:٢] بمعنى سمعت. ثم قال: ﴿مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ وفيه وجوه: الأول: ليس أحد منا يشهد بأن لك شريكاً. الثاني: ما منا أحد

[١٦٧٤] في الأصل (ثمرة)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٦٧٥] في الأصل (أعمالكم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧١.

يشاهدهم، لأنهم ضلوا عنهم وضلّت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة [التوبيخ][١٦٧٦].

الثالث: أن قوله: ﴿مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ كلام الأصنام كان الله يحييها، ثم إنها تقول: ما منا من أحد يشهد بصحة ما أضافوا إلينا من الشرك، وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالتهم عنهم أنهم لا ينفعونهم وكأنهم ضلوا عنهم. ثم قال: ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ وهذا ابتداء كلام من الله تعالى يقول إن الكفار ظنوا أنه لا محيص لهم عن النار، ثم إنهم أيقنوا ذلك بعده.

ولما بيّن تعالى من حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بإثبات الشركاء والأضداد لله تعالى في الدنيا تبرءوا عن تلك الشركاء في الآخرة، بيّن أن الإنسان في جميع الأوقات متبدل الأحوال، متغير المنهج، فقال: ﴿لَا يَسْأَمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ﴾ يعني أنه في حال [الإقبال][١٦٧٧] ومجيء المرادات، لا ينتهي قط إلى درجة إلا ويطلب عليها الزيادة، ويطمع بالفوز بها، وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيساً قانطاً، فالانتقال من ذلك الرجاء الذي لا آخر له إلى هذا اليأس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة، متغير الحال، في قوله: ﴿فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ﴾.

ثم بيّن تعالى أن الذي صار آيساً قانطاً لو عاودته النعمة والدولة، وهو المراد من قوله: ﴿لَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ فإن هذا الرجل يأتي للكفر والبعد عن الله تعالى، ويقول: هذا لي، يعني أن هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما حصل عندي من أنواع الفضائل وأعمال البر والقربة من الله ولا يعلم المسكين أن أحداً لا يستحق على الله شيئاً،

[١٦٧٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧٢.

[١٦٧٧] في الأصل (الأقوال)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧٢.

وذلك إن كان ذلك الشخص عارياً عن الفضائل، فهذا الكلام ظاهر الفساد، وإن كان موصوفاً بشيء من الفضائل والصفات، فهي بأسرها إنما حصلت له بفضل الله وإحسانه، وإذ تفضل الله تعالى بشيء على بعض عبيده، امتنع أن يصير تفضله عليه بتلك العطية سبباً لأن يستحق على الله تعالى شيئاً، فثبت بهذا فساد قوله: إنما حصلت هذه الخيرات بسبب استحقاقي. ومن كلماتهم الفاسدة قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ يكون شديد الوعيد في الدنيا، عظيم النفرة عن الآخرة، فإذا آل الأمر إلى أحوال الدنيا يقول: إنها لي فإذا آل الأمر إلى الآخرة يقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾. ومنها أنهم يقولون: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾. ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الأقوال الثلاثة الفاسدة قال: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي نظهر لهم أن الأمر على ضد ما اعتقده، وعلى عكس تصوره كما قال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ في مقابلة قولهم: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾.

ولما حكى الله تعالى أقوال الذين أنعم الله عليهم بعد وقوعهم في الآفات، حكى أفعالهم أيضاً فقال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ عن التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق [الله][١٦٧٨] ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِۦ﴾ أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم، ثم إن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء، وأخذ في الابتهال والتضرع، وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه، ويستعار له الطول أيضاً كما استعير الغليظ لشدة العذاب.

[١٦٧٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٥٧٣/٢٧.

واعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك، وبيّن أن المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة، ويظهرون من أنفسهم الذلة والخضوع بسبب استيلاء الخوف عليهم، وبيّن أن الإنسان جُبِلَ على التبدل، فإن وجد لنفسه قوة بالغ في إظهار الذلة والمسكنة، ذكر عقيبه كلاماً آخر يوجب على هؤلاء الكفار أن لا يبالغوا في إظهار النفرة من قبول التوحيد، وأن لا يفرطوا في إظهار العداوة مع الرسول ﷺ فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ وتقرير هذا الكلام أنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه، وما تأملتم فيه، وبالغتم في النفرة عنه حتى قلتم: ﴿قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾[فصلت:٥] ثم من المعلوم بالضرورة أنه ليس العلم بكون القرآن باطلاً علماً بديهياً، وليس العلم بفساد القول [بالتوحيد والنبوة][١٦٧٩] علماً بديهياً، فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحاً، وأن يكون فاسداً، فبتقدير أن يكون صحيحاً كان إصراركم على دفعه من أعظم موجبات العقاب، فهذا الطريق يوجب عليكم أن تتركوا هذه النفرة، وأن ترجعوا إلى النظرة والاستدلال، فإن دل الدليل على صحته قبلتموه، وإن دل على فساده تركتموه. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قولان: الأول: أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكواكبية، وآيات المواليد الثلاثة، وقد أكثر الله تعالى منها في القرآن. وقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الإنسان في ظلمات الأرحام، وحدوث الأعضاء العجيبة، كما قال تعالى: ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١] يعني نريهم من هذه الدلائل إلى أن تزول الشبهات

[١٦٧٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧٣.

عن قلوبهم، ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر، العليم، الحكيم، المنزّه عن المثل والضد. والقول الثاني: أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة، وبآيات أنفسهم فتح مكة. ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وقوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ في موضع الرفع على أنه فاعل ﴿يَكْفِ﴾. و﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه، تقديره: أو لم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد، ومعنى كونه تعالى شهيداً خلق الدلائل الدالة عليها، وقد سبق الكلام كما هي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾[الأنعام:١٩] والمعنى أو لم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله، وقررها في هذه السورة، وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد، والتنزيه، والعدل، والنبوة، والمعاد؟!. ثم ختم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي إن القوم في شك عظيم، وشبهة شديدة من البعث والقيامة. ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ أي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها، فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرها، ويجازي كل أحد على فعله بحسب ما يليق به، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ومعنى قوله: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ يعني أن علمه محيط بكل شيء واحد من الأشياء"[١٦٨٠].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾، "أي يميلون ويزيغون فيها من طريق الحق إلى الباطل، فينسبونها إلى غير الحق لاحتجابهم عنه، ويتلونها بأنفسهم، فيفهمون منها ما

[١٦٨٠] *مفاتيح الغيب*،٢٧/٥٧٠-٥٧٢.

يناسب صفاتهم. ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنآ﴾ وإن خفينا عنهم. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ منيع محمي عن أن تفهمه النفوس الخبيثة، فتغيره ويطلع عليه المبطلة.

إذ ﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِن﴾ جهة من الجهات، لا من جهة الحق فيبطله بما هو أبلغ منه وأشد إحكاما في كونه حقا وصدقا، ولا من جهتهم فيبطلونه بالإلحاد في تأويله، ويغيرونه بالتحريف، لكونه ثابتا في اللوح محفوظا من جهة الحق، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ﴾ أي هو للمؤمنين بالغيب هداية تهديهم إلى الحق، وشفاء يزيل أمراض قلوبهم من الرذائل كالنفاق والشك. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من المحجوبين لا يسمعونه ولا يفهمونه، بل يشتبه عليهم ويلتبس، لاستيلاء [الغفلة][١٦٨١] عليهم، وسدّ الغشاوات الطبيعة، والهيئات البدنية، طرق أسماع قلوبهم وأبصارهم فلا ينفذ فيها، ولا يتنبهوا بها، ولا يتيقظوا، كالذي ينادي من مكان بعيد لبعدهم عن منبع النور الذي يدرك به الحق ويرى، وانهماكهم في ظلمات الهيولى.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي نوفقهم للنظر في تصاريفنا للممكنات وأحوالها. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ بطريق الاستدلال واليقين البرهاني ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ أونبصرهم بتجليات صفاتنا في مظاهر الآفاق والأكوان. ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ بطريق العيان ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ للذين شاهدوا العوامل من الآفاق والأنفس ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ

[١٦٨١] سقط من الأصل، وكتبتها من تفسير ابن عربي،٢/٢٠٧.

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ حاضر مطلع، أي أو لم يكف شهود القدرة على مظاهر الأشياء دونه، أي دون قدرة الغير حتى يحتاج إلى الاستدلال بأفعاله، أو التوسل بتجليات صفاته.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لاحتجابهم بالكون عن المكون، والمخلوق عن الخالق. ﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ لا يخرج عن إحاطته شيء إذ لا وجود لغيره، ولا عين، ولا ذات. في الحقيقة بل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨] كما قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلاَلِ وَٱلإِكْرَامِ﴾[الرحمن٢٦-٢٧]"[١٦٨٢].

تمّ المجلد العاشر بعون الله تعالى وحسن توفيقه، وصلى الله على نبينا وعلى محمد وآله.

[١٦٨٢] تفسير ابن عربي،٢/٢٠٧.

المراجع

إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، ***المعجم الوسيط***، دار الدعوة.

ابن أبي أسامة: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب، ***بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث***، المنتقي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط (١)،١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م.

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ***تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم***، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط (٣)،١٤١٩هـــ.

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، ***مُصنف ابن أبي شيبة***، تحقيق: محمد عوامة، دار قرطبة – بيروت، ط (١)،١٤٢٧هـــ – ٢٠٠٦م.

ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، ***عيون الأنباء في طبقات الأطباء***، ترجمة وتحقيق: محمد باسل، ط (١)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م.

ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ***تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار***، تحقيق: عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم – بيروت، ط (١)، ١٤٠٧هـــ – ١٩٨٧م.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ***درء تعارض العقل والنقل***، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط (٢)، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

......، ***مجموع الفتاوى***، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

......، ***مقدمة في أصول التفسير***، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٤٩٠هـ – ١٩٨٠م.

ابن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف، شمس الدين أبو الخير، ***النشر في القراءات العشر***، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (بدون).

.......، ***منجد المقرئين ومرشد الطالبين***، دار الكتب العلمية، ط (١)، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

ابن جزي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ***التسهيل لعلوم التنزيل***، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط (١)، ١٤١٦هـ.

ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي، ***المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها***، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، وزارة الأوقاف– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ***زاد المسير في علم التفسير***، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط (١)، ١٤٢٢هـ.

.......، ***الموضوعات***، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط (١)، جـ ١، ٢: ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م ،جـ ٣: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، ***صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان***، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (٢).

ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، ***التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير***، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.

.........، ***الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة***، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد/ الهند، ط (٢)، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

.........، ***المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية***، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ط (١)، ١٤١٩هـ.

.........، ***لسان الميزان***، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط (٢)، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.

ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط (١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ***ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)***، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر- بيروت، ط (٢)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن خلكان: أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط (١)، ١٩٧١م.

ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب، ***إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام***، تحقيق: مصطفى شيخ، و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط (١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ***التحرير والتنوير***، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م.

ابن عاشور: محمد الفاضل، ***التفسير ورجاله***، مجمع البحوث الإسلامية - مصر،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

ابن العربي: محمد بن عبد الله، ***العواصم من القواصم***، المحقق: عمار طالبي، مكتبة دار التراث - مصر.

ابن عربي: محيي الدين، محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الأندلسي، ***تفسير القرآن الكريم ابن عربي***، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس – بيروت، ط (٤)، ١٩٧٨م.

.........، ***الفتوحات المكية***، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري، ***شذرات الذهب في أخبار من ذهب***، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط (١)، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ***التبيان في أقسام القرآن***، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

..........، ***مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين***، المحقق: محمد البغدادي، دارالكتاب العربي – بيروت، ط (٣)، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ***البداية والنهاية***، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الكتب العلمية، دار هجر، ط (١)، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر البغدادي، ***السبعة في القراءات***، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط (٢)، ١٤٠٠هـ.

ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ***البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير***، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض– السعودية، ط (١)، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

.........، ***العقد المذهب في طبقات حملة المذهب***، تحقيق: أيمن نصر الأزهري - سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط (١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

ابن الهائم: أحمد بن محمد بن عماد الدين، ***التبيان في تفسير غريب القرآن***، تحقيق: د.ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط (١)، ١٤٢٣هـ.

أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي، ***البحر المحيط في التفسير***، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، ***سنن أبي داود***، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

أبو شُهبة: محمد بن محمد بن سويلم، ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، مكتبة السنة، ط (٤).

أبو عمرو: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، ***ديوان طرفة بن العبد***، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط (٣)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء***، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

.........، ***المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم***، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

........، ***معرفة الصحابة***، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض، ط (١)، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

الأدرنوي: أحمد بن محمد، ***طبقات المفسرين***، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط (١)، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الأرموي: سراج الدين محمود بن أبي بكر، ***التحصيل من المحصول***، دراسة وتحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

الأصبهاني: محمد بن عبد الله، ***درة التنزيل وغرة التأويل***، تحقيق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط (١)،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

أطلاي: فيض الله، وآخرون: ***كونيا قوة الأناضول***، غرفة تجارة كونيا، ٢٠١٥م.

الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ***سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة***، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية. ط (١)، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

.........، ***ضعيف الجامع الصغير وزيادته***، المكتب الإسلامي.

الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط (١)، ١٤١٥هـ.

بامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الحضرمي الشافعي، ***قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر***، دار المنهاج – جدة، ط (١)، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، ***التاريخ الكبير***، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر – بيروت.

.........، ***صحيح البخاري***، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط (١)،١٤٢٢هـ.

البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، ***مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار***، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط (١).

البغدادي: إسماعيل بن محمد البابابي، ***هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين***، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة – استانبول، ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، ***شرح السنة***، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط (٢)،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

.........، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)***، تحقيق: شعيب الأرنؤوط– محمد زهير الشاويش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط (٤)،١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، ***السنن الكبرى***، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (٣)، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

.........، ***شعب الإيمان***، مكتبة الرشد – الرياض ،ط (١)، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

.........، ***دلائل النبوة***، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط (١)، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

الترمذي: محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم، ***نوادر الأصول في أحاديث الرسول***، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ١٩٩٢م.

الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة، ***سنن الترمذي***، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

توفيق: أحمد محمود زكريا، ***حاجي باشا القونوي وتفسيره مجمع الأنوار في جميع الأسرار (المجلد الأول) دراسة وتحقيق***، رسالة دكتوراه، جامعة نجم الدين أربكان – قونيا – تركيا، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م.

الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تحقيق: خالد محمد و ساعد الصاعدي، دار التفسير– جدة – المملكة العربية السعودية، ط (١)،١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

الجرجاني: السيد الشريف، أبو الحسن، ***الحاشية على الكشاف للزمخشري***، تحقيق: رشيد بن عمر أعرضي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠١٦م.

جعفر: محمد كمال، ***التصوف طريقا وتجربة ومذهبا***، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠م.

الجوزي: جمال الدين أبوالفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ***فنون الأفنان***، دار البشائر– بيروت، ط (١)، ١٩٨٧م.

حاجي باشا: خضر بن علي بن الخطاب، ***تحفة الأبرار في شرح مطالع الأنوار (مخطوط)***، مكتبة الدولة بايزيد، رقمها (١١٣٢).

.........، ***التعاليم في علم الطب*** (مخطوط).

.........، ***شفاء الأسقام ودواء الآلام (مخطوط)***، مكتبة جامعة المالك محمد بن سعود، قسم المخطوطات، رقمها (٤٨٤٢).

.........، ***مجمع الأنوار في جميع الأسرار***، المجلد الأول (مخطوط)، مكتبة السليمانية، قسم جار الله أفندي، رقمها (٩٤).

.......، ***مجمع الأنوار في جميع الأسرار***، المجلد العاشر (مخطوط)، مكتبة جامعة اسطنبول، رقمها (١٧٩٤).

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، ***سلم الوصول إلى طبقات الفحول***، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠م.

.........، ***كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون***، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.

الحاكم: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، ***المستدرك على الصحيحين***، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

حَمَد: عبد الله خضر، ***مدخل إلى علوم القرآن واتجاهات التفسير***، دار الكتب العلمية – بيروت.

الحِميري: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ط (٢)، ١٩٨٠م.

الخالدي: صلاح عبد الفتاح، ***تعريف الدارسين بمناهج المفسرين***، ط (١)، دار القلم – دمشق، ٢٠٠٢م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ***تاريخ بغداد وذيوله***، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤١٧هـ.

الخطيب: عبد اللطيف، ***معجم القراءات***، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق، ط (١)،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، ***مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)***، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام***، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط (١)، ٢٠٠٣م.

.........، ***سير أعلام النبلاء***، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (٣)،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الذهبي: محمد السيد حسين، ***التفسير والمفسرون***، مكتبة وهبة – القاهرة، ط (٧)،٢٠٠٠م.

الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي، ***مفاتيح الغيب***، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط (٣)، ١٤٢٠هـ.

الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، ***مقدمة جامع التفاسير***، تحقيق: أحمد حسن فرحات، مكتبة وهبة – القاهرة، ط (١)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

رضا: أحمد، ***معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)***، دار مكتبة الحياة – بيروت.

رياض زاده: عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى، ***أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون***، تحقيق:محمد التونجي، دار الفكر – دمشق/ سورية، ط (٣)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الزبيدي: محمد الحسيني، أبو الفيض، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، دار الهداية.

الزرقاني: محمد عبد العظيم، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط (٣).

الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، ***البرهان في علوم القرآن***، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، ط (١)،١٣٩١هـ.

الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، ***الأعلام***، دار العلم للملايين، ط (١٥)، ٢٠٠٢م.

زكي: عبد الرحمن، ***موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام***، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، دار الكتاب العربي – بيروت، ط (٣)، ١٤٠٧هـ.

الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد، ***تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري***، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، ط (١)،١٤١٤هـ.

.........، ***نصب الراية لأحاديث الهداية***، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر – بيروت/ دار القبلة للثقافة الإسلامية– جدة، ط (١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، ***طبقات الشافعية الكبرى***، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط (٢)، ١٤١٣هـ.

السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، ***الضوء اللامع لأهل القرن التاسع***، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

..........، *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة*، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون، دار الكتاب العربي.

السخاوي: علي بن محمد بن عبد الصمد، *جمال القرّاء وكمال الإقراء*، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث – دمشق، ط (١)، ١٩٩٧م.

سلامة: محمد علي، *منهج الفرقان في علوم القرآن*، تحقيق: د. محمد المسير، دار نهضة مصر، ط (١)،٢٠٠٢م.

السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث، *بحر العلوم*، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

السمعاني: أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، *التحبير في المعجم الكبير*، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، ط (١)، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان.

..........، *جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»*، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، وآخرون،الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط (٢)، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

..........، *حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط (١)، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

..........، *الدر المنثور*، دار الفكر - بيروت.

..........، *طبقات المفسرين العشرين*، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط (١)، ١٣٩٦هـ.

..........، *اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة*، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

..........، *نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)*، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، دار المعرفة - بيروت.

.........، *الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة*، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

الصالح: صبحي إبراهيم، *مباحث في علوم القرآن*، دار العلم للملايين، ط (٢٤)،٢٠٠٢م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ***الوافي بالوفيات***، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

صفيّ الدين: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، ***مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع***، دار الجيل– بيروت، ط (١)، ١٤١٢هـ.

طاشكبري زاده: أحمد بن مصطفى بن خليل، ***الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية***، دار الكتاب العربي – بيروت.

..........، ***مفتاح السعادة ومصباح السيادة***، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، ***المعجم الكبير***، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط (٢).

الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، أبو جعفر، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (١)،١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

طرهوني: محمد رزق عبد الناصر، ***التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا***، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤٢٦هـ.

طقوش: محمد سهيل، ***تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة***، دار النفائس – لبنان، ط (٣)، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

الطهراني: آغا بزرك، ***الأنوار الساطعة في المائة السابعة***، مكتبة مشكاة الإسلامية.

......، *إنباء الغمر بأبناء العمر*، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي– مصر، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

الطيار: مساعد بن سليمان بن ناصر، *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، ط (١)، ١٤٣٢هـ.

........، *فصول في أصول التفسير*، دار النشر الدولي، ط (٢)، ١٤٢٣هـ.

.......، *المحرر في علوم القرآن*، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط (٢)، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

عبد الجواد: خلف محمد، *مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن*، دار البيان العربي – القاهرة، ١٩٩٦م.

عبد العزيز المجدوب: *الإمام الحكيم فخر الدين الرازي من خلال تفسيره*، الدار العربية للكتاب – تونس، ط (١)، ١٩٧٦م.

العثيمين: محمد بن صالح بن محمد، *أصول في التفسير*، المكتبة الإسلامية، ط (١)، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي، *كشف الخفاء ومزيل الإلباس*، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط (١)، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

العراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، ***المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار***، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار ابن حزم- بيروت. ط (١)،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، ***الضعفاء الكبير***، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، ط (١)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

العك: خالد عبد الرحمن، ***أصول التفسير وقواعده***، دار النفائس، ط (٢)،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، ***إعراب القراءات الشواذ***، تحقيق: محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت- ط (١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

.........، ***إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات***، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العنمية- لاهور.

علي بن أبي طالب: ***ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب***، تحقيق: عبد العزيز الكرم، ط (١)، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

عمر: أحمد مختار عبد الحميد، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، عالم الكتب، ط (١)، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨.

العيساوي: مشعان سعود، ***التفسير الإشاري - ماهيته وضوابطه***، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١).

الغزالي: محمد بن محمد، ***إحياء علوم الدين***، دار المعرفة – بيروت.

الغزي: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري، ***الطبقات السنية في تراجم الحنفية***، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، ط (١)، ١٩٨٣م.

الغزي: نجم الدين محمد بن محمد، ***الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة***، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط (١)، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م.

الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد، ***القاموس المحيط***، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان، ط (٨)، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

القاري: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، ***الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى***، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة – مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (١)، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

القاضي: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد ، ***الفرائد الحسان في عد آى القرآن***، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط (١)، ١٤٠٤هـ.

القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ***الرسالة القشيرية***، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف– القاهرة.

.........، ***لطائف الإشارات***، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط (٣).

القطان: مناع بن خليل، ***مباحث في علوم القرآن***، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط (٣)،١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد، ***فوات الوفيات***، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت. ط (١).

كحالة: عمر رضا، ***معجم المؤلفين***، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الكلاباذي: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الحنفي، ***بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار***، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

اللكنوي: محمد عبد الحي الهندي، ***الفوائد البهية في تراجم الحنفية***، دار السعادة، ط (١)، ١٣٢٤هـ.

مالك: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، ***الموطأ***، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط (١)، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

محسن عبد الحميد، ***الرازي مفسراً***، ط (١)، دار الحرية للطباعة – بغداد، ١٩٧٤م.

محمد باشا: محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد، ***تاريخ الدولة العلية العثمانية***، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس – بيروت، ط (١)، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ***صحيح مسلم***، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مقاتل: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط (١)، ١٤٢٣هـ.

المقدسي: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد، ***الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما***، دار خضر، بيروت - لبنان، ط (٣)، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

محمود: منيع عبد الحليم، ***مناهج المفسرين***، دار الكتاب المصري - القاهرة، ط (١)،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة/ نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية.

موستراس: ***المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية***، ترجمة: عصام محمد الشحادات، ط (١)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

موقع الإسلام: ***تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير***.

نجم الدين الكبرى: أحمد بن عمر بن محمد، ***التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي***، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)، ٢٠٠٩م.

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، ***السنن الصغرى للنسائي***، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط (٢)،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

.........، ***السنن الكبرى***، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط (١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

النسفي: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد، ***التيسير في التفسير***، تحقيق وتعليق: ماهر أديب حبّوش وسارية فايز عجلوني، دار اللباب، ط (١)،١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

نصيرة: مختار، ***صناعة الحواشي التفسيرية في مدرسة التفسير بتركيا في المرحلة العثمانية***، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، العدد (٤)، جانفي، ٢٠١٧.

النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، ***إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق – ﷺ –***، تحقيق: عبد الباري فتح الله السلفي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

نويهض: عادل، ***معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»***، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت – لبنان، ط (٣)، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ***غرائب القرآن ورغائب الفرقان***، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)،١٤١٦هـ.

الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد***، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي – القاهرة،١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

هيكل نعمة الله وإلياس مليحة: ***موسوعة علماء الطب حياتهم وآثارهم***، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م.

الواحدي: علي بن أحمد النيسابوري، ***أسباب النزول***، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط (٢)، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

.........، *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرون: *الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»*، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط (١)، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

اليافعي: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط (١)، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي، *معجم البلدان*، دار صادر – بيروت، ط (٢)، ١٩٩٥م.

اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، *البلدان*، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤٢٢هـ.

يعقوب: طاهر محمود محمد، *أسباب الخطأ في التفسير: دراسة تأصيلية*، دار ابن الجوزي، ط (١)،١٤٢٥هـ.

Akpınar, Cemil, "***Hacı Paşa***", *DİA*, Ġstanbul, 1996.

Algül, Hüseyin, ***İslam Tarihi***, Gonca Yay., Ġstanbul, 1986.

Babur, Ahmet, ***HACI PAŞA VE MECMA'U'L-ENVÂR FÎ CEMÎ'İ'L-ESRÂR ADLI TEFSİRİNDEKİ METODU***, YÜKSEK LĠSANS TEZĠ, Konya, 2016.

Bilge, Mustafa, ***İlk Osmanlı Medreseleri***, Edebiyat Fakültesi Yay., Ġstanbul, 1984.

Bilmen, Ömer Nasuhi, ***Tabakâtül-Müfessirin***, Diyanet ĠĢleri BaĢkanlığı Yay. Ankara, 1960.

Demir, Ziya, ***Osmanlı Müfessirleri***, Ensar NeĢriyat, Ġstanbul, 2006.

Emecen, Feridun,"***BİRGİ***",*DİA*, Ġstanbul, 1992.

Câhiz, Ebu Osman Amr b. Bahr, ***Hilafet Ordusunun Menkıbeleri ve Türkler'in Faziletleri,*** Çev. Ramazan ġEġEN, Türk Kültürü AraĢtırma Enstitüsü Yay., Ankara, 1988.

Karlığa, H. Bekir, "***Muhammed b. Mübarekşah***", *DİA*, Ġstanbul, 2005.

Mecdî, Mehmet Efendi el-Edirnevî, ***Hadâikuş-Şekâik (Tercüme ve Zeyl-i Şekâik-i Numâniyye)***, Haz. Abdülkadir Özcan, Ġstanbul, 1409/1989.

Merçıl, Erdoğan, "***Aydinoğullari***", *DİA*, Ġstanbul, 1991.

ÖğmüĢ, Harun, ***حول الفهم الصحيح في تفسير القرآن الكريم Kurân-I Kerim Tefsirinde Sahih Anlayış Hakkında***, Kilis 7 Aralık Üniversitesi Ġlahiyat Fakültesi Dergisi 2019.

Togan, A. Zeki Velidî, ***Umumî Türk Tarihi'ne Giriş***, Enderun Yay., Ġstanbul, 1981.

Tuncel, Metin,"***KONYA***", *DİA*, Ankara, 2002.

Ünver, Ahmet Süheyl, ***Fatih Külliyesi ve Zamanı İlim Hayatı***, Ġstanbul, 1946.

Yıldız, Sakıp, ***Osmanlı Tefsir Hareketine Toplu Bakış***, UÜĠFD, Bursa, 1987.

Yücetürk, Orhan Seyfi, "***AYASULUK***", *DİA*, Ġstanbul, 1990.

الفهارس

فهرس الأحاديث

ابدأ بنفسك ٨٠٤
أبيت عند ربّي يطعمني ٢٠٥
إذا دخل النور في القَلْب ٨٠
إذا قضى الله في السماء أمراً ٧٧
أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ٢٤٠
أفضل الصلاة صلاة القنوت ٦٩٩
أكثر أهل الجنة البله ٧٨٣
الدنيا دار ممرّ ٢٧٤
الدنيا سجن المؤمن ٧٠٣
الصديقون ثلاثة ٨٣٩
الفقر فخري .... ١٥٩، ٢٥٠
القرآن تحت العرش ١٤٩
المسلم من سلم المسلمون ٦٠٠
الناس يحتاجون إلى شفاعتي ٢٤٧
إن آذر يحشر على صورة ضبع ٤٦٥
إن الدعاء هو العبادة ٨٥٣
إن الله خلق الجنّة وخلق لها أهلا ٢٣٥
إن الله سلطني على شيطاني ٢٠٣
إن الله لا ينظر إلى صوركم ٦٩٢
إن الله يُدني المؤمن يوم القيامة ٥٠٥
إن أمتك ستفترق من بعدك ٩٥٠
إن أهل الجنة لا يقرؤون من القرآن إلا ٣٧٥
أن بينهما أربعون ٧٨٠

إن خلق أحدكم يجمع ٩٢٦
إن في الجنة ما لا عينٌ رأت........ ٧٠٤
إن لكل شيء قلباً ٨١
أن يونس - صلوات الله عليه - كان أوعد........ ٥٣٤
أنا أعلمكم بالله ٣٣١
أنا أعلمكم بالله، وأخشاكم منه ١٥٤
أنه ﷺ طاف على بيوت أصحابه ٤٨٦
أنه سئل عن الصور........ ٧٧٢
أنه سئل عن سبأ ٢١٠
أنه لما أسلم عمر ٥٧٣
أنه نهى عن ذبح الحيوان ٦٢١
إنّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ وَلا يَنْبَغِي لِي ١٣٧
أولئك قطاع الطريق على عبادي ٢٦٧
أيُّها الناس اتقوا الله........ ٧٨
بعث الشيطان مزينا ٢٣٥
تقوم الساعة والرجل يلوط حوضه........ ٤٣٤
ثلاثة ليس لها نهاية........ ٧٠٢
حب الدنيا رأس كل خطيئة........ ٨٠
حبك الشيء يعمي ويصم........ ٢٥٦
دعوا أبا بكر........ ٧٤٨
ربِّ زِدْ أُمَّتِي ٦٩٧
سأل أعرابي رسول الله ﷺ ٧٩
سبّاق الأمم ثلاثة........ ٤١٤
سجدها داود توبة........ ٥٩٥
شفاعتي لأهل الكبائر ٣٥١
عدل ساعة خير ٦٢٨
عرفت ربي بربي ٥٦٢

علماء أمتي ٩٣٩
فُضِّلتُ على الأنبياء بستّ ٦٤٠
قال سليمان: لأطوفنّ الليلة ٦٢٢
قَبِلَ من قَبِلَ لا لعلّة ٣٥٣
قلب المؤمن كريشة في فلاة ٢٠٢
قلوب العباد عند الله ٢٠٢
كلكم راع ٦٢٥
لا أحصي ثناء عليك ١٨٦
لا إله إلا الله هي حصني ٦٨٠
لا تتفكروا في عظم ربكم، ولكن ٨٠٢
لاَ تَزَالُ الخُصومَة بَيْنَ النَّاسِ ٧٢٤
لا تفضلوني على أخي متّى ٥٣٦
لا يموتن أحدكم ٩٢١
لكل آية ظهر وبطن ١٤٩
لكل شيء ثمرة ١٢٥
لما مرض أبو طالب، دخل عليه ٥٦٩
لما نزلت هذه الآية على أمتي ٩٢٩
لو جاز أن يظهر البارئ ٩٤٧
لو دنوت أنملة لاحترقت ٢٠٤
لو شاء الله لجعلكم أغنياء ٤٣٣
لولا أن الشياطين يحومون ٩٣٦
لي مع الله وقت ٨٠
ما عُبِدَ إلــهٌ في الأرض أبغضُ ٨٠
ما يوم يصبح العباد إلا وملكان ينزلان ٧٨
ماتقولون في هذه الآية ٩٢٩
ماكنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية؟ ٤٨١
مَثَلُ المجاهد في سبيل الله ٧٩

من سعى في دم مسلم ٦٠٠

من سنَّ سُنَّةً ٣٩١

من شغله ذكري عن مسألتي ٨٦٦

من قرأ حمٓ السجدة ٨٩٠

من قرأ سورة الزمر ٦٧٧

من قرأ سورة الصافات ٤٧٧

من قرأ سورة الملائكة........ ٨١

من قرأ سورة حمٓ المؤمن........ ١٢٥

من قرأ سورة سبأ ٨١

من قرأ سورة صٓ ٥٦٦

من قرأ يسٓ أمام حاجة ٣٧٥

نحن الآخرون السابقون ٣٥١

نعوذ بالله من الحَوْرِ........ ٦٨٨

هلك المكثرون ٩٤٦

وإن زنى وإن سرق ٦٨١

وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة........ ٦٣١

يا أبا ذر أين تغرب الشّمس؟........ ٧٨

يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق........ ١٣٩

يا عثمان ما سألني أحد عنها قبلك........ ٦٨

يا عليّ أكثر من قراءة يسٓ........ ٣٧٥

يأمر الله إسرافيل فينفخ ٥٨٥

يُخرَج من النار من قال لا إلــٰه إلا الله ١٨٢

ينصب الله الميزان يوم القيامة ٧٠٤

ينفخ في الصور ثلاث نفخات ٧٧٣

فهرس الأشعار

بِسْمِ اللهِ وَبِهِ بَدَأْنَا ١٣٨
وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا ٤٢٢
أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِب ١٣٧
قَوْمٌ شَرِبُوا وَمَشْرَبُهُمُ المَحْبُوب ٥١٦
هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيت ١٣٨
شَرِبْتُ الحُبَّ كَأْساً بَعْدَ كَأْس .... ١٣٨، ٥١٦
سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلا ٤٥٦

فهرس الأعلام

ابن أبي إسحاق .... ١٠٠، ٣٨٢
ابن أبي عبلة ١٠٠
ابن عباس . ٦٩، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١٠٦، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٠، ٢١١، ٢١٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٧٦، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤١٦، ٤١٩، ٤٣١، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٨١، ٤٨٣، ٥٠١، ٥٢٠، ٥٣٣، ٥٤٢، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٧، ٦١١، ٦١٢، ٦٤٨، ٦٥٨، ٦٩٩، ٧٧٩، ٨٤٨، ٨٩٥، ٩٢٩، ٩٣٤، ٩٥٩، ٩٦١
ابن كثير ٨، ٢٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٧٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١٧٥، ١٧٦، ٢١٠، ٢١٤، ٣٧٧، ٤٣٣، ٤٨٠، ٥١٢، ٦٤٤، ٦٤٧، ٧٢٣، ٨٤٩، ٨٩٣، ٩٧٢
ابن كيسان .... ١٩٣، ٢٨٤
ابن مسعود .... ٨٤، ١٠٧، ١٢٠، ٤٧٨، ٥٣٤، ٥٥٢، ٧٤٧، ٨٤٩، ٩١٣
أبو العالية ١٢٠
أبو بكر ..٤٧، ٥٧، ٨٠، ١٠٧، ١٣٧، ١٤٩، ١٩١، ٤٣٣، ٤٥٦، ٧١٢، ٧٣٩، ٧٤٨، ٨٢٩، ٨٣٩، ٩٦٨، ٩٧٢، ٩٧٨، ٩٨٧

أبو جعفر .... ٦٩، ٨٣، ٩٦، ١٠١، ٦٣٣، ٨٩٦، ٩٨٣، ٩٨٤
أبو جعفر الرازي ٧٢٤
أبو حنيفة .... ١٣٩، ٦٠٥
أبو حيان الأندلسي ١٢٣
أبوعمرو ٩٧
أبي العالية الرياحي ٨٩
أبيّ بن كعب . ٨١، ١٢٤، ١٢٥، ١٧١، ٢٨٢، ٣٧٤، ٤٧٧، ٥٦٦، ٦٧٧، ٧٩١، ٨٩٠
أبي جهل... ١٠٦، ٣٧٨، ٩١٠، ٩١٤، ٩٣٢
أحمد بن محمد الثعلبي.. ٦٧
أحمدي الشاعر... ٢٣
إسماعيل السدي.. ١٢٠
إسماعيل بن عمر ابن كثير...................................... ٦٧
الأرموي ٣٢
الأصمعي ١٢٠
الأوزاعي.. ٨٢٩
البابرتي... ٢٥
البَزِّي ٩٨
البيضاوي .... ٣٤، ٨٢، ١٢٢، ٩٨٢
الجُرجاني ٢١
الحسن البصري.................................. ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٢٠، ٣٤١، ٦٨١
الحسن بن مسعود البغوي ٦٧
الرازي... ٣٢
الربيع... ٧٢٤
الزركشي .... ٧١، ١٢٦، ٩٧٩
السدي .... ٩٣، ٦٣٠، ٨١٠، ٨٩٤، ٩٠٩، ٩١٦
الشافعي.......................... ٣٢، ٥٥، ٨١، ٢٥٠، ٦٩٩، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٥
الضحاك بن مزاحم .... ٨٩، ١٢٠

الفناري ٢٣
القاسم بن محمد ١٢٠
الكسائي .... ٩٦، ٢١٠، ٥٢٣، ٧١٥
الكلبي ٨٩، ١٠٠، ١٠٨، ١٠٩، ١١٥، ٢١٣، ٢٧٠، ٣٨٢، ٤١٩، ٤٣١، ٤٥٤، ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٢٥، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٨٠، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦١١، ٦٣٠، ٦٩٦، ٧٤٢، ٧٤٧، ٨١٠، ٨٥٣، ٨٧٢، ٩٦٩
أنس ٧٩، ١٨٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٦٢١، ٦٩٨، ٧٢٤، ٧٩٢، ٩٢٩، ٩٨٧
بدر الدين ٢١
جابر بن عبد الله .... ٩٢، ١٠٤، ١١٠، ٣٩١
جلال الدين بن أبي بكر عبد الرحمن السيوطي ٦٨
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١٢٣
جلال الدين محمد المحلي ١٢٣
حاجي باشا .. ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٤، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٣، ٢١٠، ٣٨٢، ٣٩٢، ٦٤٧، ٧٦٥، ٩٧٦
حفص .... ٣٢، ٤٧، ٩٧، ١٠٠، ٢٥٠، ٣٩٢، ٤٨٠، ٦٤٧، ٩٧٢
حمزة... ٢١، ٩٦، ١٠٢، ٢١٠، ٢٨٥، ٤٣٤، ٤٨٢، ٤٨٧، ٥٠٩، ٦٤٧، ٦٤٩، ٧٣٩، ٧٦٥، ٨٣٢، ٩٥٨
خالد بن الوليد ٧٤٠
خلف .... ٥١، ٩٦، ٢٧٠، ٤٦٧، ٤٦٩، ٩٨٤
روزبهان الشيرازي ٦٢
زيد بن أسلم .... ٧٢، ٩٢، ١٢٠، ٩٣٠
سالم بن عبد الله ١٢٠
سعيد بن المسيب ٨٩

سعيد بن جبير .... ٨٩، ٩١، ١٢٠، ٢٢٦، ٥٦٧، ٦٢٨، ٧٤٢، ٧٧٣
شُعبة ٩٧
شهاب الدين الألوسي.. ١٢٣
شهاب الدين الخُوَيِّي ٥١
عاصم ٩٧، ١٧٦، ٢١٤، ٢٢٦، ٣٩٢، ٤٨٠، ٤٨٧، ٦٥١، ٧٤١، ٨٣١، ٨٤١، ٩٥٨
عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٦٧
عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ٦٨
عبد الرزاق القاشاني .... ١١، ٦١
عبد الله بن عمر .... ٣٤، ٥٠٥، ٨٢٩
عبد الملك بن جريج... ١٢٠
عثمان بن عفان ٥٦٩
عروة بن الزبير.. ٨٢٩
عطاء بن أبي رباح ٨٩
عطاء بن السائب ٥٩٤
عقبة بن أبي معيط .... ١٠٨، ٤٥٥، ٨٢٩
عكرمة مولى ابن عباس.. ٨٩
علاء الدين علي بن محمد الخازن ٦٧
علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي.............................. ١٢٣
علي بن أبي طالب .... ١٢٠، ٢٧٤، ٤١٤، ٤٢٢، ٩٥٠، ٩٨٥
علي بن محمد الماوردي.. ٦٧
عمر بن الخطاب.. ١٢٠
عيسى بن عمر الثقفي.. ١٠٠
عيسى بن محمد بن آيدين.. ٢٣
فخر الدين الرازي .... ٤٩، ٥٢، ٥٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٦٢، ٩٨٤
قتادة.....٨٩، ٩٠، ٩١، ١٢٠، ١٩٢، ٢٨٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٩٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٨٣، ٥٨٩، ٥٩٦، ٦٩٩، ٧٢٣، ٧٤٠، ٧٤٦، ٧٦٠، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٩١، ٨٥١، ٨٥٦، ٨٩٦، ٩٠٩، ٩٢١

مبارك شاه ٢٧
مجاهد بن جبر .... ٨٩، ١٢٠
محمد ﷺ...١٠٨، ١٠٩، ١٨٣، ٢٣٢، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧٨، ٣٣٢، ٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧٦، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٣٨، ٤٩٧، ٥٠٨، ٥١١، ٥٣١، ٥٤١، ٥٥٣، ٥٦٧، ٥٧٥، ٥٨٣، ٥٨٤، ٦٠٢، ٦٢١، ٦٣٧، ٦٥٤، ٦٦٨، ٦٧٧، ٧٢٠، ٧٣٩، ٧٩٢، ٨٥٢، ٨٩٨، ٩٤١
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٦٨
محمد الشربيني الخطيب ١٢٣
محمد بن إبراهيم بن الحارث ٨٢٩
محمد بن جرير الطبري ٦٧
محمد بن علي الشوكاني ٦٨
محمد بن كعب القرظي .... ٢٥٢، ٨٩٢
محمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي ١٢٣
محمد رشيد رضا ٦٠
محمد عبده ٦٠
محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ١٢٢
محيي الدين (خطيب زاده) ٣٠
مراد خان بن محمد خان ٤٣
مسروق بن الأجدع ٨٩
مصطفى البروسوي (خواجه زاده) ٢٩
مقاتل بن حيان .... ٨٩، ٩١٠
مقاتل بن سليمان .... ٩٣، ١٠٩، ١٢٠، ٢٧٣، ٣١٢، ٩٨٧
نافع ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٧٥، ٤٣٠، ٤٣٣، ٥١٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣٦، ٥٤١، ٥٦٧، ٦٤٥، ٦٩٥، ٩٢٠
نجم الدين القَمُولِي ٥١
نصر بن محمد السمرقندي ٦٧
نظام الدين الحسن محمد النيسابوري ١٢٣

وهب........................... ٥٠، ٩٣، ١١١، ١١٦، ٣٩٢، ٦١٢، ٦٣٠، ٩٩٠
يحي بن أبي كثير ٨٢٩
يحي بن معاذ الرازي ٧٩٥
يحيى بن سلام... ١٢٠
يعقوب ...٦٥، ٨٠، ٩٦، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ٦٣٣، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٣، ٧١٢، ٨٩٦

فهرس الأماكن

أدرنة.. ٣٠
أرضروم... ٢٥
إزمير... ٢٣، ٢٤
اسطنبول .... ٤٠، ٩٧٧
إصْطَخْر ١٩٣
الشام .... ٢٠، ٦٠، ٢١٣، ٢١٨، ٢٧٣، ٥٤٠، ٥٤٢، ٨٠٠
القاهرة٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٩، ٦٠، ٦٩، ٨٠، ١٣٨، ٥٣٨، ٦٨٣، ٧٣٥، ٨٢٧، ٨٦٢، ٨٨٦، ٩١٦، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٦، ٩٨٨، ٩٨٩
القسطنطينية .... ٣٠، ٣١
الكوفة .... ١٢٠، ٢٧٣، ٢٧٤
المدينة٢٣، ٣٤، ٥٠، ٨١، ١٠٣، ١٢٠، ٢١٤، ٢٧٣، ٢٧٤، ٦٧٦، ٦٩٦، ٧٠٤، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٥، ٩٨٦، ٩٨٩
أياثلوغ (Ayasuluk).. ٢٣
آيدين (Aydın) .... ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٤
بروسة .... ٢٢، ٢٩، ٣٠
بيت المقدس .... ١٩٣، ٢٠٨، ٢١٦
بيرجي (Birgi)... ٢٣
تركيا .... ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٩٧٧

حلب .... ٢٥، ٩٨٨
خانقاه ٢٢
دمشق ٨، ٢٧، ٣٢، ٣٥، ٥٣، ٥٩، ٦١١، ٦٧٦، ٩٧٢، ٩٧٥، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠
صنعاء.. ١٩٣، ٢١١
فلسطين ٥٤٢
قونيا (Konya).. ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤
مرسية.. ٥٩
مصر ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٥١، ٥٣، ٦٠، ٧٩، ٩٧، ١٩٤، ٥٤٣، ٨٣١، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٨١، ٩٨٣، ٩٨٦
مكة٥٩، ١٠٨، ٢٢٧، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٦٨، ٤٣١، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥١٥، ٥٥٣، ٥٦٧، ٥٨٠، ٥٨٣، ٥٨٧، ٦١٠، ٧٠٤، ٧٣٩، ٧٤٦، ٨١١، ٨٣٤، ٨٥١، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٩٢، ٩١٤، ٩٥٥، ٩٦٥، ٩٧٤

فهرس الكلمات الغريبة

الأَثرُ ٦٦
التصوف .... ٦١، ١٤٢، ٩٧٦
الجُعَل ٣٦٠
الرأي ١١٨
السحر ١٣١
السّرد ١٩٢
فرسخ.. ٤١٩
وَغْلَة.. ٥٣٣

فهرس المحتويات

المقدمة I

قائمة الاختصارات IV

مدخل البحث، وأهميته، وأهدافه وصعوباته 5

مدخل البحث: لمحة عن نشأة التفسير، ومدارسه، واتجاهاته في عهد ملوك الطوائف، وبداية العهد العثماني ٥

أهمية البحث ١٣

أهداف البحث ١٤

صعوبات البحث ١٥

القسم الأول: الدراسة 11

١.١ حاجي باشا القونوي ١٦
١.١.١ اسمه ونسبه ١٦
٢.١.١ ولادته وحياته ٢٠
٣.١.١ شيوخه ٢٤
٤.١.١ تلامذته ٢٨
٥.١.١ أهم مؤلفاته ٣١
٦.١.١ وفاته ٣٧

٢.١ مجمع الأنوار في جميع الأسرار ٤٠
١.٢.١ وصف المخطوط ٤٠
٢.٢.١ اسم الكتاب (عنوانه) ٤١
٣.٢.١ صحة نسبة الكتاب للمؤلف ٤٢
٤.٢.١ مصادر المؤلف في كتابه ٤٥
٥.٢.١ منهج المؤلف في كتابه ٦٣
٦.٢.١ أهمية الكتاب ١٥٧
٧.٢.١ منهج التحقيق ١٥٨

الخاتمة 111
٨.٢.١ صور المخطوط ١٦٥

القسم الثاني: تحقيق المخطوط 171

١.٢ سورة سبأ ١٧١

٢.٢ سورة فاطر ٢٨٢

٣.٢ سورة يسٓ ٣٧٤

٤.٢ سورة الصافات ٤٧٧

٥.٢ سورة صٓ ٥٦٦

٦.٢ سورة الزمر ٦٧٦

٧.٢ سورة غافر ٧٩٠

٨.٢ سورة فصلت ٨٩٠

لمراجع 819

الفهارس 883

فهرس الأحاديث ٩٩٣

فهرس الأشعار ٩٩٧

فهرس الأعلام ٩٩٣

فهرس الأماكن ٩٩٣

فهرس الكلمات الغريبة ١٠٠٣

فهرس المحتويات ١٠٠٤